التَّعْلِيقُ عَلَى كِتَابِ

شَرْحِ السُّنَّةِ

لِشَيْخِ الْحَنَابِلَةِ

أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْبَرْبَهَارِيِّ

رَحِمَهُ اللَّهُ

لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ:

سَعْدِ بْنِ شَايِمٍ الْحُضَيْرِيِّ

غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

https://saadshaim.com/

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد، أيها الأخوة الفضلاء نلتقي هذه الليلة في مساء يوم الأحد الموافق للعشرين من ربيع الأول سنة (١٤٤٠) من الهجرة النبوية، في هذه الدورة العلمية في «شرح السنة» للإمام أبي محمدٍ الحسن بن علي بن خلف البربهاري البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، التي ينظمها المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بمدينة عرعر، وإقامة مثل هذه الدورات كما سبقها دروةٌ في العقيدة وفي التفسير، وسبقها لمركز الدعوة والإرشاد دروات في الفقه في كتاب عمدة الطالب للبهوتي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، هذه الدورات العلمية التي تقرب كتب العلم ومسائل العلم الضرورية لطلاب العلم والشادين له، وهي أيضًا تذكرةٌ للمنتهين، لأن فيها المرور على الكتب التي قررها العلماء، وكتبوها نصيحةً للأمة، لا يستغني عنها طالب العلم خصوصًا، وكل مسلمٍ عمومًا؛ لأن درس العلم وتكراره من المقاصد الشرعية التي كُلف العبد به.

لا يظن العبد أنه يأتي في مجالس العلم أو حضور العلم لأمور كمالية أو من نافلة القول؛ بل هذا من العلم الضروري؛ لأنه لا يخفى عليكم قول النبي ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» رواه ابن ماجه وابن عبد البر وله مجموع أسانيد يصل بها إلى درجة الحسن.

ففي هذا تنبيه على أن طلب العلم ليس هو من نافلة القول، بل هو من الفريضة؛ ولذلك أول ما أُنزل على النبي ﷺ الأمر بالعلم؛ في قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ [العلق:١].

وقوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ [محمد:١٩].

فأمره بالعلم بلا إله إلا الله، والعلم بلا إله إلا الله، لا يعني فقط معرفة المعنى، بل معرفة المعنى وما يتعلق بها من الشروط والأركان وما يضادها من النواقض، وما يجب لها من الفرائض المتعلقة

بمقتضيات لا إله إلا الله؛ ولذلك يُبدأ بالعلم قبل العمل، ويستمر به، لا ينقطع طالب العلم أو الإنسان انقطع عنها، بل يكرر العلم كثيرًا؛ إذا كان العلماء في تكرار العلم يكررونه إلى درجةٍ إذا قرأناها في كتب أهل العلم أو السير يتعجب، وبعضنا يظن أنها أشياء مبالغ فيها، وهي ثابتة بأسانيد صحيحة عنهم.

يقول المزني وهو من هو في العلم والإمامة والفقه بالشريعة، من أكابر أصحاب الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الذي مختصره عليه المعول؛ مختصر المزني، يقول: **قرأت كتاب الرسالة للشافعي خمسمائة مرة**.

ناهيك عن الكتب الأخرى في العلم، عن كتب الشافعي الأخرى، ناهيك عن حضوره عند الشافعي.

بل يقول: قرأت الرسالة على الشافعي نحو خمسين مرة، كل مرةٍ يجد فيها شيئًا يصلحه، ويقول: إيهٍ، أبى الله أن تكون العصمة إلا لكتابه.

إذا كان هذا عرضه للكتاب على شيخه خمسين مرة أو أكثر، ويقرأه بمفرده خمسمائة مرة، ويقول: كل مرة أقرأها فيها أستفيد فائدة لم أستفدها سابقًا.

هذا في كتابٍ واحدٍ، فكيف بشخصٍ لا يحضر المجالس إلا لمامًا أو يقرأ بعض الكتب؟

والنماذج كثيرة جدًا.

أردت في المقدمة أن أحفز فيها، نذكر أشياء يسيرة، وإلا نماذج أهل العلم وكلام أهل العلم في جلدهم فيه كثيرٌ في الكتب، والتراجم، والسير، ونحوها، منها هذا الكتاب الذي بين أيدينا.

وهو كتابٌ في العقيدة، «**شرح السنة**» والسنة المقصود بها العقيدة، عقيدة أهل السنة والجماعة التي أمر النبي ﷺ بلزومها، هذا كتابٌ في شرحها، في بيانها، في بيان العقيدة يعني: في أهم الدين.

ولذلك العلماء حتى وإن كنا كررنا هذا في مجالس، لكن مسألة العلم فرضه أفرض الفروض، فرضه المقصود الواجب من العلم، الذي يجب، ونفله أفضل النوافل، بمعنى: أنه ننظر إلى الفرائض التي يجب تعلمها، كمعرفة العقيدة هذا واجب، أوجب الواجبات، لأن علم العقيدة أوجب الواجبات، الوسائل لها أحكام المقاصد، تعلمها أوجب الواجبات؛ لأنه لا يمكن الوصول إلى تحقيق العقيدة والتوحيد؛ إلا بالعلم.

فإذا ابتُدئ بها، كما فعل النبي ﷺ لما أرسل معاذ معلمًا إلى أهل اليمن، قال: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ»[١] كما في صحيح البخاري، وفي رواية: «إِلَى أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ»[٢] يعني: بالتوحيد «فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ؛ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ» المقصود ترتيب الأولويات:

فبدأ بأهم شيء، وهو العلم بلا إله إلا الله، التوحيد؛ فإذا أدى الإنسان من العلم الفرائض.

وبذلك فسر الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه، وغيرهم من أهل العلم قوله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» معناه أنه فرض عين على كل مسلم؛ لأن الفروض أنواع منها ما هو فرض عين، ومنها ما هو فرض كفاية؛ إذن طلب العلم فريضة على الأعيان؛ فسره العلماء بأن المقصود به طلب العلم الضروري لكل إنسانٍ وما يجب عليه معرفته؛ الذي يريد أن يصلي يجب عليه أن يعرف الصلاة، ما هي شروطها؟ وما يجب لها؟ كالوقت ونحوه، والوضوء لأنه من شروطها، ومعرفة استقبال القبلة؛ لأنه من شروطها، معرفة ما يجب من اللباس لأنه من شروطها وما يحرم لأنه مما يُنهى عنه، وهكذا.

الزكاة إن كان عنده مال.

والحج إن كان مستطيعًا.

الصيام وما يتعلق به.

والبيوع، ولذلك ذكر العلماء، بل حكى بعضهم الإجماع، كالبهوتي وغيره، أجمع العلماء أنه لا يحل لشخص أن يدخل في بيعٍ وشراءٍ وتجارةٍ إلا وقد تعلم أحكام البيع، هذا من الأشياء الواجبة.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ (٧٣٧٢)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (١٩).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة (٧٣٧٢) بلفظ: عبادة الله.

نفل العلم، وهو الصحيح وقول جمهور العلماء أنه أفضل من نفل الصلاة، لذلك اختلف العلماء أيهما إذا أدى الفرائض وأراد أن يتنفل وتعارضت النوافل، نوافل الطاعات، أيهما يبدأ يُقدم؟ هل العلم أم الصلاة أم الجهاد أم الصيام أم الحج أم نحوها؟

أكثر العلماء على أنه نفل العلم، يؤدي النوافل، لكن لو تعارضت يؤدي نفل العلم، والإمام أحمد: لا أفضل من العلم لمن صلحت نيته.

لذلك عنه أقول: أنه الجهاد، ثم النفقة فيه، ثم العلم، ثم الصلاة.

والقول الثاني، مثل الشافعي ومالك وأبو حنيفة: العلم؛ يقدمونه يبدؤون به، من النوافل، عن تزاحم الوقت وضيق الوقت.

ولذلك قال الإمام أحمد: تذاكر بعض ليلة خيرٌ من إحيائها.

تصورت هذا الكلام، ذكر شيئين: قال تذاكر، وما قال: طلب، يعني: عندك العلم، تحفظه، تذاكره.

وقال: في بعض ليلة، يعني جزء من الليل، أفضل من إحياء ليلة كلها في الصلاة.

أرأيت منزلة العلم كيف هي في الشريعة؟

مذاكرة بعض ليلة أفضل من إحياء ليلة كاملة، لماذا؟

لأنه لا تقوم الشريعة إلا بالعلم، فإذا قلنا إن الأفضل للشخص أن يصلي ويتنفل أفضل من طلب العلم سينصرف إلى القيام، ويترك النفل الذي هو في الحقيقة هو فرض كفاية؛ لأن العلم فرض عين، وما زاد عن فرض العين فرض كفاية، إذا قام به من يكفي صار نافلةً لغيرهم، هذه النافلة في الحقيقة من يقوم بها يقوم بفرض الكفاية.

لذلك اجتهدوا أن تحيوا الليل بالعلم.

تقي الدين السبكي يقول لابنه تاج الدين: عود نفسك على السهر في العلم، لا تنم.

النووي كان لا ينام إلا سويعات، ينام وهو جالس والكتب بين يديه، يقرأ ويكتب وينسخ، ويحضر في اليوم ثلاثة عشر درسًا عند أشياخه، فإذا فرغ من الدروس جلس يكتب ويحفظ.

لذلك صاروا أئمةً، أئمة الإسلام، جعلهم الله للمتقين إمامًا.

المهم: اعتنوا يا إخواني بالعلم، وتكراره وحفظه ومدراسته، وقراءته.

الإمام أحمد جلس مع وكيع بين بعد صلاة العشاء إلى صلاة الفجر في مذاكرة الحديث، حديث فلان، حديث فلان.

فقيل له، فقال: مذاكرة بعض ليلة خيرٌ من إحيائها.

ليلة كاملة مع وكيع، أدركوا صلاة الوتر إدراكًا، من مذاكرة العلم، مع أن الإمام أحمد كان يصلي في اليوم والليلة ثلاثمائة ركعة نوافل.

لكنه إذا عرض له مذاكرة العلم قدمه على ذلك.

ولما حج هو ويحيى بن معين وكان بمكة بها سفيان بن عيينة رُحلة الناس، ترحل إليه الناس، شيخهم، فلقي الشافعي بمكة، فشُغل به عن سفيان بن عيينة، سفيان محدث، وهذا فقيه، فشُغل به حتى إنه كان إذا ذهب يأخذ ببغلته ويسير بجواره ويسأله، فنظر يحيى بن معين وتعجب: تترك سفيان لهذا الغلام؟ لأن الشافعي كان شابًّا، توفي الشافعي وهو ابن (٥٤) وهو في آخر عمره، لكن الكلام هذا كان في أول الأمر، فقال: يفوتني حديث سفيان وأدركه بنزولٍ، يعني: أروي عن شخص عن سفيان، ولكن لا يفوتني علم الشافعي أو عقل الشافعي.

لأنه إذا فاتني الشافعي انقطع، ما يُروى عنه.

رحل محمد بن مسلم بن وارة من الري إلى بغداد ثم ذهب إلى مصر، وروى الحديث وما كَتَبَ كُتُبَ الشافعي؛ لأنه ما أدرك الشافعي، وإنما أدرك الربيع والمزني والناس، فرجع إلى بغداد ومر بأحمد، فقال أحمد: كتبت كتب الشافعي. فقال: لا. قال: ذهبت رحلتك، أو كلمة نحوها.

عنايتهم بالعلم، حتى كتب الشافعي.

المهم: لا يذهب الوقت منا في هذه المقدمة.

الكتاب الذي بين أيدينا تناقله العلماء بالعناية، والمصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ له كتب كثيرة، إلا أنه سبحان الله كُتب القبول والشيوع لهذا الكتاب.

ومصنفه، كما هو معكم مترجم في الكتاب الذي بين أيديكم، لكن نذكره من باب الثناء على مؤلفه، له حقٌّ علينا أن نذكره وأن نترحم عليه وندعوا له، ما يحسن لنا أن نقرأ كتاب شخص ويغمر، لا نثني عليه، نشيع الثناء عليه وإن كان موجودًا في الكتب بين أيدينا.

نسأل الله أن يتولاه برحمته، وأن يجعله من الصديقين.

وهو الإمام الحافظ الفقيه العلامة شيخ الجماعة في وقته، الإمام الحسن بن علي بن خلف، أبو محمد البربهاري، والبربهاري نسبةٌ إلى بائع البربهار، والبربهار، هي أدوية وعقاقير يُؤتى بها من الهند، فينسب إليها بربهاري.

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أهل بغداد، وهو من أبناء القرن الثالث، وتوفي في أوائل الرابع، ما بين القرنين الثالث والرابع؛ لأنه توفي سنة (٣٢٩) وهو شيخ الحنابلة وأهل السنة في زمانه، وحتى قال بعض العلماء وهو الفقيه عبد الله: إذا رأيت البغدادي يحب أبا محمد البربهاري فاعلم أنه صاحب سنة، وإذا كان يبغضه فاعلم أنه صاحب بدعة.

لأن هذا الرجل ليس له إلا نصرة السنة، وكان شديدًا على المبتدعة من جميع الطوائف، وكان له سبحان الله صيتٌ حسنٌ، وتعلق الناس من أهل السنة فيه من العامة والخاصة.

ذكر ابن كثير وأبو يعلى قصةً طريفةً أنه كان عطس يومًا وهو في موعظةٍ بمسجد الجامع، فشمته الحضور، فسمع من خارج المسجد الضجة، فسمتوه حتى وصلت الضجة إلى دار الخليفة، فقال: ما الأمر؟ فقالوا: أبو محمد البربهاري عطس، فغار الخليفة من ذلك.

ولها قصة بسبب محنته؛ لأنه تعرض لمحنةٍ، حتى مات متواريًا مختفيًا عن الخليفة، ومع ذلك يقول في هذا الكتاب.

والخليفة كان مائلًا إلى أهل البدع، ولكنه كانت للحنابلة قوةٌ في ذلك الزمان، والحنابلة في ذلك الزمان يطلقون على السلفيين في كل زمان لهم تسمية، فيقال الحنابلة في ذلك الوقت.

يقول ابن أبي يعلى رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «طبقات الحنابلة» في المجلد الثاني: كانت للبربهاري مجاهدات ومقامات في الدين كثيرة، وكان المخالفون يغلظون قلب السلطان عليه، ففي سنة (٣٢١) في خلافة القاهر ووزيره ابن مقلة، تقدم بالقبض على البربهاري.

ابن مقلة أوغر صدر الخليفة عليه، فأمر بالقبض على البربهاري، فاستتر، وقُبض على جماعةٍ من كبار أصحابه، وحُملوا إلى البصرة، فعاقب الله ابن مقلة، على فعلته تلك، بأن أسخط عليه القاهر، وهرب ابن مقلة، وعزله القاهر عن وزراته، وطرح في داره النار، فقبض على القاهر بالله، يوم الأربعاء

لستٍ من شهر جمادى الآخرة سنة (٣٢٢) وخُلع من الخلافة، وحُبس وسُملت عيناه بعد ذلك، حتى سالتا فعمي.

هؤلاء الذين تكالبوا على أهل السنة خسف الله بهم، الخليفة بذاته، ووزيره غضب عليه ذات الخليفة، ثم الخليفة خلع.

يقول: ثم تفضل الله وأعاد البربهاري إلى حشمته، وزادت، حتى إنه لم توفي أبو عبد الله ابن عرفة المعروف بـ(نفطويه)، وحضر جنازته أماثل أبناء الدنيا والدين، كان المقدم على جماعتهم في الإمامة البربهاري، وذلك في صفر سنة (٣٢٣)، وفي هذه السنة ازدادت حشمة البربهاري، وعلت كلمته، وظهر أصحابه، وانتشروا في الإنكار على المبتدعة، فبلغنا أن البربهاري اجتاز بالجانب الغربي فعطس فشمته أصحابه فارتفعت ضجتهم حتى سمعها الخليفة وهو فِي روشنة فسأل عن الحال؟ فأخبر بها فاستهولها.

استهاله الأمر.

ولم تزل المبتدعة ينقلون قلب الراضي عَلَى البربهاري فتقدم الراضي إلى بدر الحرسي صاحب الشرطة بالركوب والنداء ببغداد: أن لا يجتمع من أصحاب البربهاري نفسان، فاستتر وكان ينزل بالجانب الغربي بباب محول فانتقل إلى الجانب الشرقي مستترا فتوفي فِي الاستتار فِي رجب سنة تسع وعشرين وثلاثمائة).

هذا مع أنه كان يقول، وقد أُوذي وفُعل به يقول: إذا رأيت الرجل يدعو للسلطان فاعلم أنه صاحب سنة، وإذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب بدعة.

لأن هذه من عقيدة أهل السنة والجماعة.

والسلطان في زمانه كان على البدعة، ومع ذلك كان لا يخرج عن السنة؛ لموافقة الهوى والنصرة إلى النفس، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

نسأل الله تعالى أن يتولانا وإياه برحمته، وأن يلزمنا السنة، وأن يدخلنا جنته.

الحمد لله الذي هدانا للإسلام ومنَّ علينا به، وأخرجنا في خير أمة، فنسأله التوفيق لما يحب ويرضى، والحفظ مما يكره ويسخط.

الشرح:

هذه مقدمة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، يقول: الحمد لله، اقتداءً بالكتاب العزيز، فإنه مفتتح بسورة الحمد، وعملًا بالسنة النبوية، لأن النبي ﷺ كان يفتتح كتبه بالحمد.

وذكر ابن جرير في تفسير الفاتحة عند قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الفاتحة:٢].

ذكر أن الله يقول: إن الله تعالى حمد نفسه وأثنى عليها بما هو أهلٌ له، ثم علم ذلك عباده وفرض عليهم تلاوته، اختبارًا لهم وابتلائهم فقال لهم: قولوا: الحمد لله رب العالمين.

يقول: أن هذا وإن كانت خبراً إلا أنها مضمنة أمرًا، فاستدل باقترانها بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة:٥].

لأن ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، هو خطاب من الناس؛ من القارئ لربه، يعني: يا رب أعبدك أو لا أعبد إلا إياك.

فإذن الحمد لله، أي: أحمدك؛ فكما أوجب علينا أن نقول: إياك نعبد، أوجب علينا أن نحمده.

والحمد في الحقيقة كما قال شيخ الإسلام وابن القيم: هو الإخبار بمحاسن المحمود مع المحبة له ولمحاسنه، والإجلال والتعظيم.

الحمد هو الثناء.

وفسره ابن عباس وابن جرير أنه: الشكر.

و(أل) في الحمد، مذهب أهل السنة والجماعة أنها للاستغراق، يعني: جميع المحامد لله.

الذي هدانا: أي وفقنا وأرشدنا؛ لأن الهداية: هداية التوفيق، وهداية الإرشاد.

هداية الإرشاد بالدلالة، لأنه كم من محرومٍ لم يرشد إلى الحق، وكم من محرومٍ ظهر له الحق ولم يُوفق للهداية إليه.

فالحمد له وحده عز وجل، لهداية الإرشاد والتعليم، وهداية التوفيق.

كما قال عز وجل على لسان المؤمنين: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾[الأعراف:٤٣].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[الحُجُرات:٧ – ٨].

هذا فضل من الله، الحمد له وحده على أن منَّ علينا بذلك.

(١) اعلموا أن الإسلام هو السنة، والسنة هي الإسلام، ولا يقوم أحدهما إلا بالآخر.

الشرح:

السنة المقصود بها، كما قلت لكم: العقيدة، الإسلام هو العقيدة الصحيحة، لا يأتي الإسلام بعقيدة باطلة؛ شخص يأتي بعقيدة لما جاء به النبي ﷺ ويقول أنه مسلم، ما يكفي؛ الدعوى ما تفيد.

اليهود قالوا: إنهم مسلمون، وأنهم على الحنيفية، وأنهم تبع إبراهيم.

والنصارى قالوا ذلك.

والمشركون قالوا ذلك، قالوا: نحن المسلمون.

فرد الله عليهم ذلك، قال: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾[آل عمران:٦٧]

كلهم ادعوا إبراهيم، ثم قال: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾[آل عمران:٦٨].

أما دعوى أنه مسلم وهو خلاف السنة، وخلاف عقيدة ما كان عليه النبي ﷺ، السنة التي جاء بها وأمر بها، وقال: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعْشْ مِنْكُمْ يَرَ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتُ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتُ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(٣).

ما قال: إنها بدعة مقبولة؛ بل قال: ضلالة.

هذا حديث العرباض، وفي حديث جابر عند النسائي زيادة: «**وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ**»(٤).

---

(٣) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، باب في لزوم السنة (٤٦٠٧)، والترمذي: كتاب العلم، باب ما جاء في الآخذ بالسنة واجتناب البدع (٢٦٧٦)، وابن ماجه: كتاب المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين (٤٤).

(٤) أخرجه النسائي: في باب كيف الخطبة (٣/ ١٨٨)، وأحمد (١٤٣٧٣). وأصله في مسلم دون الزيادة: كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة (٨٦٧).

ولما ذكَر الفرق قال: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً»، مِنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»(٥).

ولذلك نسأل الله العافية والسلامة أخبر النبي ﷺ أنه سيرد عليه أقوام الحوض فيحتجبون، فيقول: «أَصْحَابِي أَصْحَابِي» وفي رواية: «أمتي أمتي»(٦) «فَيُقَالُ: إِنَّكَ لا تَدْرِى مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ»(٧).

فيحجبون ويؤخذون إلى النار نسأل الله العافية والسلامة، هؤلاء منتسبون.

فقيل: كيف تعرفهم يا رسول الله؟ قال: «من آثار الوضوء»(٨) يعني: كانوا يصلون أيضًا.

فالإسلام هو السنة، والسنة هي الإسلام؛ يأتي شخص يريد أن يجعل الإسلام واسع فضفاض، يُدخل الصوفية، ويدخل الرافضة، ويدخل الجهمية، ويدخل المعتزلة، ويدخل الخوارج، ما يمكن.

أيهم التي كان عليها النبي ﷺ؟

هذه قضية أفتى فيها النبي ﷺ، ما تحتاج إلى اجتهاد، قال: «هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»(٩) نجتهد ونفتي فتوى ثانية غير التي كان عليها النبي ﷺ؛ ضلالة.

---

(٥) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، باب شرح السنة (٤٥٩٦)، والترمذي: كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة (٢٦٤٠)، وابن ماجه: كتاب الفتن، باب افتراق الأمة (٣٩٩٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٤٩٢).

(٦) أخرجه أحمد (٢٢٨٧٣) من حديث سهل بن سعد.

(٧) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب في الحوض (٦٥٧٥) ومسلم: كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ (٢٢٨٩).

(٨) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء (٢٢٨٩) من حديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَرِدُ عَلَيَّ أُمَّتِي الْحَوْضَ، وَأَنَا أَذُودُ النَّاسَ عَنْهُ، كَمَا يَذُودُ الرَّجُلُ إِبِلَ الرَّجُلِ عَنْ إِبِلِهِ» قَالُوا يَا نَبِيَّ اللهِ أَتَعْرِفُنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ غَيْرِكُمْ تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ، وَلَيُصَدَّنَّ عَنِّي طَائِفَةٌ مِنْكُمْ فَلَا يَصِلُونَ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ هَؤُلَاءِ مِنْ أَصْحَابِي. فَيُجِيبُنِي مَلَكٌ، فَيَقُولُ: وَهَلْ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ؟».

الإسلام صراط، والصراط مستقيم.

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾[الأنعام:١٥٣].

يتقون النار، يتقون الكفر، يتقون الضلالة.

ولذلك الإنسان يحتاط إلى معرفة السنة، يحتاط فيها احتياطًا شديدًا، ويلزم ما كان عليه النبي ﷺ، وإن خالفه الناس.

قال تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[آل عمران:٨٥].

وهي التي قال فيها النبي ﷺ كما في الصحيحين: «**فمن رغب عن سنتي فليس مني**» أتدري بماذا خالفوا الذي هم سبب ورود الحديث؟

في مسائل في العمليات والسلوكيات.

في الصحيحين من حديث أنس، جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا،

لاحظ أنهم نظروا للقلة والكثرة.

فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا.

الليل كله.

وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ.

يعني: أصوم الإيام جميعًا، ليس المقصود المواصلة، المقصود الأيام.

---

(٩) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، باب شرح السنة (٤٥٩٦)، والترمذي: كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة (٢٦٤٠)، وابن ماجه: كتاب الفتن، باب افتراق الأمة (٣٩٩٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٤٩٢).

وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا.

تبتل.

والثالث قال: لَا آكُلُ اللَّحْمَ.

ترفع، لا يريد الترفه.

فأُخبر النبي ﷺ فغضب غضبًا شديدًا، ووعظ موعظةً بليغة، وقال: ما بال أقوامًا يقولون: كذا وكذا، «أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ -في رواية: وأعلمكم به- لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»(١٠).

هذه مسائل إذا نظرت إليها تجدها في السلوك، في سلوك الإنسان، وما يتعلق بعمله، بالجهد، بالكثرة، قال: لا، هي سنة، فمن رغب عنها فليس مني.

الأمر ليس سهلًا.

وذلك قال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية:١٨].

وقال: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾[هود:١١٢].

الاستقامة على ما أمر الله عز وجل.

وذلك يقول الشيخ هنا: ولا يقوم أحدهما إلا بالآخر، يعني: لا يمكن أن تقوم سنة بلا إسلام، أو إسلام بلا سنة، كيف؟

إسلام بلا سنة؟ واضح معروف.

لكن سنة بلا إسلام، يعني: لو أن شخصًا أظهر المتابعة للنبي ﷺ، لكنه لم يستسلم لله طاعةً وأمرًا، فهذا لم يدخل في الإسلام.

---

(١٠) أخرجه البخاري: كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح (٥٠٦٣)، ومسلم: كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه (١٤٠١).

قال عز وجل: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾[النساء:٦٥].

لابد من الإسلام؛ الاستسلام لله.

(٢) فمن السنة لزوم الجماعة، فمن رغب عن الجماعة وفارقها فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، وكان ضالا مضلا.

الشرح:

الآن بدأ بفروع السنة؛ العقيدة:

من السنة، من عقيدة أهل السنة لزوم الجماعة، جماعة المسلمين، والجماعة التي أمر الله بها، وأمر بها رسوله، ولا تفترق الجماعة والسنة، من ظن أنه توجد جماعة بلا سنة فقد غلط، أو سنة بلا جماعة فقد غلط.

يعني: يأتيك شخص يعتقد اعتقاد أهل السنة والجماعة إلا أنه يفارق الجماعة لا يمكن؛ لأنه أخل بأصلٍ وقاعدةٍ من قواعد الدين، وهي: لزوم الجماعة، قاعدة من قواعد الدين؛ لحديث أبي هريرة في صحيح مسلم: «إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا رَضِيَ لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا» وفي رواية في الموطأ ومسند الإمام أحمد «وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَّى اللهُ أَمْرَكُمْ»[(١١)].

قال النووي معلقًا على هذه الحديث: قوله: «وَلَا تَفَرَّقُوا» أمرٌ بلزوم جماعة المسلمين، وتألف بعضهم ببعض، وهذه إحدى قواعد الإسلام.

لزوم الجماعة ليس من نافلة الأمر، أو من الواجبات التي هي معصية؛ لا، بل هي من قواعد الدين.

ولهذا شرعها الله لمن قبلنا من الأنبياء والرسل والأمم؛ لأن هذه من الضروريات، تجده مفروض على جميع الأمم، قال عز وجل: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾[الشورى:١٣].

---

(١١) أخرجه مسلم: كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة (١٧١٥)، وأحمد (٢/ ٣٦٧)، ومالك: كتاب الجامع، باب ما جاء في إضاعة المال (١٨٦٣)، من حديث أبي هريرة.

المشركون لما دعاهم إلى توحيد الله والجماعة، والاجتماع على توحيد إله واحد، تفرقوا، قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ٥﴾[ص:٥].

ولذلك يقول عز وجل: ﴿۞ مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا﴾ أحزاب﴿كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٣٢﴾[الروم: ٣١ - ٣٢].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ﴾[الأنعام:١٥٩] تبرئه، في شيء؛ لاحظ كلمة في ﴿فِي شَيۡءٍ﴾، نكرة؛ أي شيءٍ لست منهم، لا يتوافق دينك ودينهم.

تعجب أنت الآن ممن يدعي الإسلام والنصرة للإسلام يدعو إلى التفرق، عجائب هذه.

ولذلك بدأ الشيخ به؛ لأنه من أهم الأشياء التي ينبغي العناية بها، وهي أول ما حصل من التفرق؛ الثورة على عثمان رضي الله عنه، ثورة الخوارج، وتفرق المسلمين، فرقوا الإسلام.

ولذلك يقول الله: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ [آل عمران:١٠٣].

لاحظتم هذه الآية في النهي عن التفرق جاءت في سياق طويل، من قوله:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ١٠٠ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٠١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[آل عمران: ١٠٠ - ١٠٤] سببها أن يهودي كان أن يفتن بين الأوس والخزرج ويتفرقوا ويقتتلوا، فسماه الله كفرًا وردةً عن الدين، وأمر بلزوم الجماعة، وسمى الإسلام، ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾؛ اجتماع.

كما قال النبي ﷺ في الصحيحين: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»(١٢) التفرق سماه كفرًا.

---

(١٢) أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب حجة الوداع (٤٤٠٥)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان معنى قول النبي ﷺ: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا» (٦٥).

وكما قال النبي ﷺ: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ» لاحظ أنه مسلم؛ لكنه يحل دمه: «إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ» هاتان اثنتان، ثم قال: «وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ المُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ»(١٣)، سمى فرقة الجماعة تركًا للدين، مع أنه في أول الأمر سماه مسلمًا، لو كان مرتدًا، لكان الحكم فيه حكم الكفار، إنما الكلام في مسلم ارتكب جرمًا عظيمًا استحق أن يسمى في الشريعة كفرًا وتركًا للدين.

والآن، ناسٌ ينادون بهذا على أنه من الدين؛ لا ولي، والنبي ﷺ قال: «اسْمَعْ وَأَطِعْ لِلأَمِيرِ وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرَكَ وَأُخِذَ مَالَكَ»(١٤).

لماذا؟

لأنه حفاظ على الدين.

وهذه الآيات لما نزلت، انظر ماذا يقول الله: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾، يقول العلماء: يدعون إلى الخير، إلى الجماعة، ويأمرون بالمعروف الجماعة، وينهون عن المنكر الفرقة؛ لأن الآية نزلت في ذلك.

العجيب أن الخوارج الذي يدعون للفرقة يستدلون بهذه الآية على الخروج على ولي الأمر، لأن من أصول الخوارج الخمسة:

التوحيد، ويقصدون به نفي الصفات.

والعدل، ويقصدون به نفي القدر.

والمنزلة بين المنزلتين، ويقصدون به إخراج المسلم من الإسلام، إذا عصى؛ العاصي الفاسق.

---

(١٣) أخرجه البخاري: كتاب الديات، باب قول الله تعالى: {أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ} (٦٨٧٨)، ومسلم: كتاب القسامة، باب ما يباح به دم المسلم (١٦٧٦) من حديث ابن مسعود.

(١٤) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة (١٨٤٧) من حديث حذيفة.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويقصدون به الخروج به على أئمة الجور بالسيف.

ويستدلون بهذه الآيات! الآية التي نزلت بلزوم الجماعة يستدلون بها بالخروج عن الجماعة؛ وهذا من قلب الحقائق.

إن الله أمرنا بهذا، ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ﴾، أهل خير وبر وإحسان، ينصحون الناس ويعلمونهم.

الآن الذين ينصحون الناس يقولون الزموا الجماعة، يسمونهم الآن: غلاة الطاعة، وهم دعاةٌ إسلاميون!

يلقبون الذين يأمرون بلزوم الجماعة والسمع والطاعة التي هي مقتضى الشريعة والعقيدة ودلائل الكتاب والسنة وإجماع السلف يسمونهم: غلاة الطاعة! تنفيرًا من هذا المنهج.

وهذه مصيبة أن تنقلب الحقائق والشريعة؛ بسبب الجهل والهوى.

ولذلك حديث حذيفة لما قال: يَا رَسُولَ اللهِ، كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ». قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ».

وفي رواية قال: «جماعةٌ على أقذاء».

لاحظ لما قال: شر، ثم قال: خير، ووصف الخير فقال: وفيه دخن، ثم وصفه فقال: جماعة على أقذاء.

وصف الجماعة بأنها خير، لكن فيها أقذاء، أصحاب فتن وأصحاب مشاكل مقموحين.

قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «يَكُونُ بَعْدِي يعني: أمراء أَئِمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ، وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي ».

يعني: يخالف في المعاصي والمنكرات.

قال: «وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ» مضادة لهؤلاء؛ لأمراء السوء.

قال ابن حجر: يحذر من الخوارج ونحوهم.

وقال في روايةٍ في المسند: قَالَ: « دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا».

قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ».

الجماعة.

قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ» (١٥) هذا الحديث في الصحيحين.

في روايةٍ في المسند وسنن أبي داود بسندٍ صحيحٍ، قال: «فَإِنْ كَانَ لِلَّهِ يَوْمَئِذٍ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةٌ جَلَدَ ظَهْرَكَ، وَأَخَذَ مَالَكَ فَالْزَمْهُ، وَإِلَّا فَمُتْ وَأَنْتَ عَاضٌّ عَلَى جِذْلِ شَجَرَةٍ»(١٦).

الآن يُقال: لا، لا تلزمه، ثوروا عليه.

ما سمعتم الذين يقولون: ثوروا، اخرجوا.

مشكلة ذاتها، دعاة على أبواب جهنم يدعون الناس لهذه الأمور التي يحذر منها النبي ﷺ.

ولذلك المصنف بدأ أول ما بدأ بهذا الأمر؛ لأن هذا الأمر أول فتنة صارت، فتنة الخوارج، فرقوا الإسلام.

ولذلك عمر رضي الله عنه في سنن الترمذي، خطب في أصحابه وهو عائد من الحج، فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَنَالَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ، فَلْيَلْزَمْ الْجَمَاعَةَ»(١٧)، «وَمَنْ شَذَّ شَذَّ إِلَى النَّارِ»(١٨).

---

(١٥) أخرجه البخاري: كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة (٧٠٨٤)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن (١٨٤٧).

(١٦) أخرجه أبو داود: كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها (٤٢٤٤)، وأحمد (٢٣٤٢٩).

(١٧) أخرجه الترمذي: كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة (٢١٦٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٥٤٦).

(١٨) أخرجه الترمذي: كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة (٢١٦٧) من حديث ابن عمر، ولم أرها في حديث عمر، وضعف هذه الجملة انظر: تخريج المشكاة (١٧٣) وضعيف الترمذي (٢١٦٧)، وصحيح الجامع (١٨٤٨).

عمر لا يخفاه وجود هذه الفتن والأشياء؛ لأنه كما في الصحيحين قال: بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ عُمَرَ إِذْ قَالَ: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْفِتْنَةِ؟! قَالَ: فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصَّدَقَةُ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ.

يعني الذنوب التي تكون بسبب الأهل والأولاد.

قَالَ: لَيْسَ عَنْ هَذَا أَسْأَلُكَ، وَلَكِنِ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ. قَالَ: لَيْسَ عَلَيْكَ مِنْهَا بَأْسٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا. قَالَ عُمَرُ: أَيُكْسَرُ الْبَابُ أَمْ يُفْتَحُ؟! قَالَ: بَلْ يُكْسَرُ. قَالَ عُمَرُ: إِذًا لَا يُغْلَقَ أَبَدًا؟!

هي الفتنة، مقتل عثمان، صار التفرق بين المسلمين.

قُلْتُ: أَجَلْ. قُلْنَا لِحُذَيْفَةَ: أَكَانَ عُمَرُ يَعْلَمُ الْبَابَ؟! قَالَ: نَعَمْ، كَمَا يَعْلَمُ أَنَّ دُونَ غَدٍ لَيْلَةً، وَذَلِكَ أَنِّي حَدَّثْتُهُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ، فَهِبْنَا أَنْ نَسْأَلَهُ مَنِ الْبَابُ، فَأَمَرْنَا مَسْرُوقًا فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: مَنِ الْبَابُ؟ قَالَ: عُمَرُ(١٩).

ولذلك لما رأى عمر بوادر الأشياء، وهو الإقبال على الدنيا، والناس توسعوا في العمران خطب بهم وقال: يا معشر العريب الأرضَ الأرضَ، إنه لا إسلام إلا بجماعةٍ ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بسمعٍ وطاعةٍ.

تنبيه لهم؛ لأنهم أول ما يشذون فيه يشذوا على أمرائهم، قال: لا إسلام إلا بجماعة؛ لو كان المسلمون مفرقين ليس لهم جماعة ولا إمام، سيبقى المسلم فردًا لا يستطيع أن يرفع صوته في الإسلام ولا يدعو إلى الله، مقموع، ولا تُقام شريعة، ولا تُقام فريضة، ولا تجبى زكاة، ولا تقام حدود؛ بسبب التفرق؛ إذن ليس هناك إسلام؛ دين قائم، هناك أفراد ضعفاء مسلمون، قد يوجد ضعيف، لكن إسلام قائم لا يمكن؛ إلا بجماعة.

ولذلك في زمن النبي ﷺ أرسلهم إلى الحبشة، فرارًا بدينهم، ثم إلى المدينة، ثم قامت الجماعة فقام الإسلام، صار للإسلام دولة، قوة، جماعة، جهاد، ولاية؛ بهذه الأصول.

---

(١٩) أخرجه البخاري: كتاب الفتن، باب الفتنة التي تموج كموج البحر (٧٠٩٦).

لا تظن أن هذه من المسائل التي هي نافلة القول، أو واجب يأثم بتركه، لا؛ بل هذا من أصول الدين وقواعده، كما قال النووي وغيره من العلماء.

فليحرص طلاب العلم على هذه الأصول وهذه القاعدة.

قال: ومن رغب عن الجماعة، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، وكان ضالًّا مضلًا.

صدق رَحِمَهُ اللَّهُ، وهذا الذي دلت عليه الشريعة، وجاء عن النبي ﷺ، من حديث ابن عباس وغيره: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»[٢٠] والحديث في الصحيحين.

النبي ﷺ شيئًا يكرهه، قال: «أمراء يهدون بغير هدي ويستنون بغير سنتي»، ومع ذلك أمرنا بالصبر.

ولما قال النبي ﷺ لأبي ذر: «كَيْفَ أَنْتَ إِذَا كَانَتْ عَلَيْكَ أُمَرَاءُ يُمِيتُونَ الصَّلَاةَ أَوْقال يُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا؟»، قُلْت: فَمَا تَأْمُرنِي ؟ -وفي رواية: أجالدهم بالسيف- قَالَ: «صَلِّ الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا فَإِنْ أَدْرَكْتَهَا مَعَهُمْ فَصَلِّ فَإِنَّهَا لَكَ نَافِلَةٌ»[٢١].

أدركتها معهم كانت نافلةً لك، وإلا أحرزت صلاتك، يعني: إذا أذن المؤذن صل حتى لا يؤخرونك، وقال: صل معهم، وما قال: هؤلاء فسقة، وهؤلاء فجرة، بل قال: صل معهم.

وقال ﷺ في الصحيحين للأنصار، يريدون ولايات، قال: «إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الحَوْضِ»[٢٢].

ما قال: حتى تتمكنوا، بل قال: إلى الحوض.

---

(٢٠) أخرجه البخاري: كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أمورًا تنكرونها» (٧٠٥٣) من حديث ابن عباس.

(٢١) مسلم: كتاب المساجد ومواضع السجود، باب كراهية تأخير الصّلاة عن وقتها المختار، وما يفعله المأموم إذا أخّرها الإمام (٦٤٨).

(٢٢) أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة الطائف (٤٣٣٠)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام (١٠٦١).

وقال النبي ﷺ: «**الجماعة رحمة والفرقة عذاب**»(٢٣).

لاحظ هذا الحديث، واقرنه بالآيات التي نزلت في:

﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٣ - ١٠٥] عذاب الفرقة؛ الفرقة أشد عذاب، انظر إلى التفرق الذي حصل في بلدان المسلمين، كيف نالهم من الضيم والتقاتل؟ وأن يأتيهم كل أحد يريد أن يأخذ منهم ويقتل فيهم؟

ضيم عظيم، وما قامت شريعة، وما أقام إسلام، تقاتل على الدنيا، ما فيها خير، لذلك نهانا الله عنه.

ولذلك يقول النبي ﷺ: «**وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ، السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ وَالجِهَادُ وَالهِجْرَةُ وَالجَمَاعَةُ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ، وَمَنْ ادَّعَى دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُثَا جَهَنَّمَ**»(٢٤).

دعاوى أهل الجاهلية هي العصبيات، ولذلك فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ؟ قَالَ: «**وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ، فَادْعُوا بِدَعْوَى اللهِ الَّذِي سَمَّاكُمُ المُسْلِمِينَ المُؤْمِنِينَ، عِبَادَ اللهِ**».

فالأمور هذه ينتبه لها.

---

(٢٣) أخرجه أحمد (١٨٤٤٩) من حديث النعمان بن بشير، وحسنه الألباني في الصحيحة (٦٦٨).

(٢٤) أخرجه الترمذي: كتاب الأمثال، باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة (٢٨٦٣)، وأحمد (١٧٨٠٠) من حديث الحارث الأشعري، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٢٤).

(٣) والأساس الذي تبنى عليه الجماعة، وهم أصحاب محمد ﷺ ورحمهم الله أجمعين، وهم أهل السنة والجماعة، فمن لم يأخذ عنهم فقد ضل وابتدع، وكل بدعة ضلالة، والضلالة وأهلها في النار.

الشرح:

هذا أصلٌ لابد أن تنتبهوا له: ما هو الأصل أو الأساس الذي نعرف أنه الجماعة؟

نقول: الأساس في الجماعة هم أصحاب النبي ﷺ، كما نص عليه المصنف هنا، كما نص عليه الإمام أحمد في رسالة أصول السنة، قال: أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، والاقتداء بهم، وترك البدع، وكل بدعةٍ ضلالة.

وهذا دل عليه الكتاب والسنة.

أما الكتاب فالله يقول: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾[النساء:١١٥].

المؤمنون هم أصحاب النبي ﷺ.

والنبي ﷺ أمر بالاقتداء بهم، قال: «اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ»(٢٥).

والحديث لما أوصى أصحابه: ««أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتُ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتُ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»(٢٦) كما في هذا الحديث الذي ذكره المصنف.

---

(٢٥) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٣٢٤٥)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٢٣٣).

(٢٦) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، باب في لزوم السنة (٤٦٠٧)، والترمذي: كتاب العلم، باب ما جاء في الآخذ بالسنة واجتناب البدع (٢٦٧٦)، وابن ماجه: كتاب المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين (٤٤).

وقال الله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾[التوبة:١٠٠].

الفوز العظيم في اتباعهم، من هم السابقون الناجون أهل الإيمان الذين في الجنة؟

ثلاثة أصناف: السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والثالث: من تبعهم بإحسان على سنتهم.

ولذلك النبي ﷺ لما ذكر افتراق الأمة على « **ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ، ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الجَنَّةِ**» قال: «**وَهُمُ الجَمَاعَةُ**»(٢٧)، وفي الرواية الأخرى: «**هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي**»(٢٨).

فبين لنا الجماعة هي ما كان عليه النبي ﷺ والصحابة، ليست الجماعة الكثرة.

قال عز وجل: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾[يوسف:١٠٣].

وقال: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[الأنعام:١١٦].

الكثرة ليست هي المعيار، المعيار ما دل عليه الكتاب والسنة، وما كانت عليه الجماعة أصحاب النبي ﷺ، هذه الجماعة التي أُمرنا أن نتبعها.

وكذلك إذا أراد الإنسان أن يميز كما في حديث حذيفة: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**».

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: لا عذر لأحد في ضلالة ركبها حسبها هدى، ولا في هدى تركه حسبه ضلالة، فقد بينت الأمور، وثبتت الحجة، وانقطع العذر.

هذه المسألة، لأنه قد بينت الأمور، لا يأتي شخص ويترك العلم والتعلم ويقول: أنا معذور بالجهل.

---

(٢٧) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، باب شرح السنة (٤٥٩٧)، من حديث معاوية.

(٢٨) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، باب شرح السنة (٤٥٩٦)، والترمذي: كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة (٢٦٤٠)، وابن ماجه: كتاب الفتن، باب افتراق الأمة (٣٩٩٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٤٩٢).

لا؛ الكتاب واضح بين أيدينا.

لما قال الله عز وجل: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ﴾ يعني: تبين الهدى، ونزل القرآن، ﴿وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ السبيل واضح، طريقتهم واضحة موجودة في السنن والكتب والعقيدة المروية عن السلف؛ اتبعها، ما تحتاج القضية لاجتهاد.

بالمناسبة، من رحمة الله عز وجل بنا أن عقيدة السلف مجمع عليها، ما تحتاج إلى اجتهاد، محل إجماع، يعني: يكفيك أن تعرف أن هذه عقيدة السلف، ومن رحمة الله بنا، أن جعل الأئمة الذين لهم القدوة الأئمة الأربعة على عقيدة السلف، على عقيدة الصحابة، ما تحتاج أن تذهب إلى الأشاعرة أو الماتريدية أو الصوفية أو الرافضة أو المعتزلة، أو أي فرقة من هذه الفرقة، ما تحتاج، هؤلاء الأئمة الذين جعل الله لهم الإمامة في الدين هؤلاء هم أهل السنة، في الفقه، وهم في العقيدة على عقيدة واحدةٍ.

ومن رحمة الله بنا، واحفظوا هذا: أن الله جعل الإمامة في القرآن، أئمة القراءات السبعة والعشرة، بل والأربعة عشرة الذين عليهم الجماعة كلهم أهل السنة والجماعة أتباع السلف، حتى لا تكون الإمامة للرافضة والمعتزلة والمذاهب الأخرى الباطلة.

لا، لا يكون، هذا من رحمة الله بنا.

ومن رحمة الله بنا: أن أئمة الحديث رواة الحديث من التابعين إلى أصحاب الكتب المصنفة كلهم على مذهب السلف، البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، وقبلهم مالك في الموطأ والشافعي في المسند، هؤلاء هم أئمة الإسلام.

كلهم أئمة أهل السنة والجماعة، ما تحتاج أن تذهب تبحث أنت.

ومن رحمة الله بهذه الأمة: أن أئمة التاريخ سواءً في تاريخ الرجال أو في تاريخ تدوين الإسلام كلهم أهل السنة والجماعة.

ومن رحمة الله بهذه الأمة: أن أئمة اللغة، سيبويه والفراهيدي والكسائي من أهل الكوفة وأصحابه، وأبو عمرو بن العلاء من البصريين من أئمة اللغة، والأصمعي، وأصحابهم، كلهم أئمة أهل السنة والجماعة.

ليسوا من أصحاب البدع، الإمامة ما جعلها الله لأحدٍ من أهل البدع.

كذلك في التفسير، أئمة المفسرين، سواءً من أصحاب ابن عباس وأصحاب ابن مسعود، ثم من بعدهم، إلى أئمة المفسرين، ابن جرير الطبري، ابن أبي حاتم، إلى البغوي، وابن كثير، هؤلاء كلهم أهل سنة.

ولذلك تجد كتب أهل البدع في التفسير يبين العلماء كل ما يجدونه مخالف لكتب أهل السلف.

الآن أي مفسر سينقل عن ابن عباس، عن سعيد بن جبير، عن عكرمة، عن مجاهد، عن هؤلاء، هؤلاء أئمة أهل السنة.

أصحاب النبي ﷺ ومن تبعهم بإحسانٍ جعل الإمامة فيهم، إلى هذ الزمان، ما جعل الله الإمامة العامة في الدين والذين لهم القبول في أصحاب البدع، بل تكون لأهل الإسلام، وتجد العامة من عامة المسلمين يعرفونهم.

وهذه من رحمة الله بهذه الأمة.

قول عمر هذا، إسناده الصحيح يروي عن عمر بن عبد العزيز، وإسناده عن عمر بن الخطاب منقطع.

لا عذر لأحدٍ في ضلالةٍ ركبها حسبها هدى، هذا من حيث أنه استحق، انتبهوا لهذه الكلمة: من حيث استحق الملامة أم لا، أما من حيث أن الله سيعاقبه أم لا، فهذا أمره إلى الله، يعفوا الله عن الجاهل، عن كذا، أراد عمر أن يبين هذا، أنه يستحق الملامة أما العفو فأمره إلى الله.

لما يقول العلماء: الحرام ما يستحق مرتكبه العقاب، أو الملامة، أو الذم يعبرون بأصح عبارة، بغض النظر عن كونه يُعذر أو لا يعذر.

فكذلك من ركب الضلالة فعليه الملامة، فإن قصر في العلم حُوسب على التقصير في العلم، فإن عاند العلم حوسب على معاندة العلم.

والسنة بينة قائمة ظاهرة، نسأل الله أن يجعلنا من أهل السنة.

هذا المجلس الثاني في التعليق على شرح السنة للإمام البربهاري رَحِمَهُ اللَّهُ.

ووقفنا عند قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: وقال عمر بن الخطاب.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا عذر لأحد في ضلالة ركبها حسبها هدى، ولا في هدى تركه حسبه ضلالة، فقد بينت الأمور، وثبتت الحجة، وانقطع العذر.

وذلك أن السنة والجماعة قد أحكما أمر الدين كله، وتبين للناس، فعلى الناس الاتباع.

ذكر قول عمر رَحِمَهُ اللَّهُ، وتقدم الكلام على هذا وأن الثابت في الإسناد أن هذا من قول عمر بن عبد العزيز.

وإنما الذي روي عن عمر بن الخطاب فذُكر عند ابن بطة عن الأوزاعي عن عمر مرسلًا، يعني: بإسنادٍ فيه انقطاع؛ لأن الأوزاعي لم يدرك عمر بن الخطاب.

وإنما الثابت بالإسناد أنه من قول عمر بن عبد العزيز، والظاهر أن عمر بن العزيز تلقاها عن جده عمر بن الخطاب، فعمر بن الخطاب عدوي، وعمر بن عبد العزيز أموي؛ لأن جدة أبيه لأمه بنت عاصم بن عمر بن الخطاب.

وكلٌّ إمام هدى، عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز، وكلهم أهل علمٍ، ومشهورون في ذلك.

ثم عقب المؤلف على كلام عمر بقوله: **وذلك أن السنة والجماعة قد أحكما أمر الدين كله، وتبين للناس، فعلى الناس الاتباع.**

ما قال: الكتاب والسنة والإجماع، إنما قال: السنة والجماعة؛ لأنه ما أراد الكلام على الأدلة، الكتاب والسنة والإجماع هذه الأدلة التي يُؤخذ منها.

أراد السنة والجماعة التي كان عليها السلف الصالح من الصحابة والتابعين؛ لأن النبي ﷺ قال: «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين من بعدي».

وهي الجماعة التي قال فيها النبي ﷺ لما ذكر افتراق الفرق، قال في الناجية: «الجماعة» وفي الرواية الأخرى: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»[٢٩].

---

(٢٩) سبق تخريجه مرارًا.

فأراد بذلك طريقة النبي ﷺ وأصحابه والجماعة التي أجمعوا عليها؛ ولذلك تجد في كلام شيخ الإسلام كثيرًا كثيرًا إذا ذكر الفرق، يقول: والذي عليه الجماعة كذا وكذا، وإذا ذكر المعتزلة قال: وخالفوا الجماعة في كذا وكذا، وإذا ذكر الخوارج قال: وخالفوا الجماعة في كذا وكذا.

ويعني بالجماعة هذه، طريقة السنة والجماعة.

فمراده: أن ما كان عليه السلف وأجمعوا عليه قد أحكم أمر الدين كله، يعني: الأصول في العقائد وأصول الشرائع، وتبين للناس؛ فعلى الناس الاتباع؛ ليس لهم أن يحدثوا شيئًا ويبتدعوا.

ولذلك لما خالفهم أهل الكلام وأحدثوا الكلام في الدين في العقيدة بدعهم السلف، وحكموا عليهم بأحكامٍ شديدةٍ.

حتى قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **حكمي في أهل الكلام أن يُضربوا بالجريد والنعال ثم يُطاف، يُركب على حمار أو بغلة ويُطاف به في القبائل والبوادي والناس، ويقال: هذا حكم من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام**.

وضللوهم، وبدعوهم تبديعًا، وجاء فيهم كلامٌ شديد، إلى حد التكفير في بعضهم.

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام:١٥٣] من أراد تقوى الله واتقاء النار واتقاء الزيغ فعليه بالصراط المستقيم الذي كان عليه أصحاب النبي ﷺ، وقد بينه النبي ﷺ بيانًا شافيًا، فقال ﷺ: «**وأيم الله، لقد تركتم على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء**»(٣٠).

يعني الذي يسير فيها بالليل كالذي يسير فيها بالنهار؛ لأنها واضحةٌ بُينت وفُصلت، ولذلك كان ابن مسعود وغيره من السلف يقول: **اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم؛ فإن كل محدثةٍ بدعةٍ، وكل بدعة ضلالة**.

فقد كفيتم، فلا يحتاج إلى اجتهاد، ولا قياس ونظر وتأمل؛ الأمر واضح، ما تحتاج في العقيدة إلى أن تقول: والله أريد أن أبحث المسألة، مثل مسألة الاستواء، أنظر فيها وأشوف الأدلة والقياس واختلاف العلماء.

---

(٣٠) أخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين (٤٢).

ما في اختلاف، محل إجماع، السلف أجمعوا عليها.

وكل من أراد أن يخالف السلف في هذا ضل.

تأتي إلى مسألة الرؤية، وأن الله يُرى يوم القيامة، وتقول: أريد أن أنظر في الأدلة، نقول: انظر في الأدلة على تثبيت ما عليه السلف، لا على النظر في أقوال الناس؛ لأنه ما خالفهم إلا أهل البدع.

أجمع العلماء، والأدلة متكاثرة في الكتاب والسن والإجماع والآثار السلفية في هذا عن الصحابة والتابعين كثيرة جدًّا.

فلو جاء شخص يقول: والله المعتزلة يقولون، وينفون، والخوارج يقولون كذا، والأشاعرة يقولون كذا، وأتباع السلف يقولون كذا.

يريد أن يبحث.

نقول: أنت الآن تبحث في الضلالة؛ لأن الأمر انتهى؛ فُرغ منه، الآن هل يأتي شخص، ويريد أن يبحث: هل القرآن حق أم باطل؟ هل الرسول ﷺ رسول ولا ما هو رسول؟

نقول: ضللت، فمثل هذه المسائل في العقيدة؛ فإن السنة قد بُينت، ولذلك حذيفة ابن اليمان كما في صحيح البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، كان يقف عل حِلق القراء، حفظة القرآن، وهم يتدراسون، يقول لهم: **يا معشر القراء استقيموا فقد كفيتم، فإن استقمتم فقد أخذت سبقًا بعيدًا، وإن أخذتم يمينًا وشمالًا فقد ضللتم ضلالًا بعيدًا.**

وفي روايةٍ عند ابن وضاح وغيره: **اقتدوا بنا**، يعني: بالصحابة؛ **لأنهم كانوا على الهدى، على الصراط المستقيم.**

(٤) واعلم - رحمك الله - أن الدين إنما جاء من قبل الله تبارك وتعالى، لم يوضع على عقول الرجال وآرائهم، وعلمه عند الله وعند رسوله، فلا تتبع شيئا بهواك، فتمرق من الدين، فتخرج من الإسلام، فإنه لا حجة لك، فقد بين رسول الله ﷺ لأمته السنة، وأوضحها لأصحابه وهم الجماعة، وهم السواد الأعظم، والسواد الأعظم: الحق وأهله، فمن خالف أصحاب رسول الله ﷺ في شيء من أمر الدين فقد كفر.

الشرح:

يقول: اعلم رحمك الله، أن الدين إنما جاء من قبل الله تبارك وتعالى، ولم يوضع على عقول الرجال وآرائهم؛ ليس محل اجتهادات، تشريع الدين في العموم، أصول الدين من الله عز وجل؛ ليس فيه إلا الاتباع؛ ديننا هذا دين اتباع، دين إسناد، ليس دين آراء، لو كان دين آراء لتفرقت الناس في دينها وصارت البدع، ولذلك لما أدخلوا الرأي في الدين خرجت الخوارج ورفضت الرافضة واعتزلت المعتزلة وضلت أهل الفرق وأهل الكلام؛ لأنهم أدخلوا الرأي في الدين.

حتى أدخلوا الرأي في الله، في الكلام في صفة الله وأسمائه وأفعاله، وفي القدر الذي هو سر الله المخفي؛ الإنسان لا يستطيع أن يعرف ما يفعل غدًا، وما كتب له في المستقبل؟

أخفاه الله؛ وتكلموا فيه، وهو سر الله.

والذي ليس فيه إلا التسليم.

بل أعجب من هذا تكلموا في الذي قال الله: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:٨٥] تكلموا فيها.

قطع الله الأمر حتى على رسوله ﷺ، وقال: هذا من أمر الله المخفي؛ تكلم فيه أهل الكلام، من أين الروح؟ وكيف هي؟ هل هي جوهر أم عرض؟

والأمر محسوم، الله نهى عن الكلام فيها.

بل تكلموا في أمر الساعة، التي قال الله فيها: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَاۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةًۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَاۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:١٨٧].

هل هي بعد الألف أو بعد الألفين؟ وأخذوا يحسبون.

أمرٌ نهاكم الله عنه، وحسم الكلام فيه.

فمثله الدين.

ولذلك يقول: وعلمه عند الله وعند رسوله؛ فلا تتبع شيئًا بهواك، يعني: وافق عقلك أم لم يوافقه؛ فتمرق من الدين فتخرج من الإسلام، فإنه لا حجة لك.

لأن بعض الناس يقول: أريد أن أُفكر؟ أريد أن أميز؟

نقول: هذا الدين بُني على الاتباع؛ لأنه لا يصلح للناس إلا ذلك، الرسالة من الله.

ولذلك قال الزهري: من الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم.

ولذلك يقول المصنف: لم يوضع على عقول الرجال وآرائهم.

الله يقول: ﴿ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الزمر:٥٥].

اتبع وسلم، قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء:٦٥].

ما يأتي يقول: ليش قال كذا؟ لماذا حكم بكذا؟

التسليم، وإلا ما كان الإنسان مسلمًا مستسلمًا لله إذا لم يسلم للنصوص؛ لأن العقول لا تدرك، لماذا المغرب ثلاث ركعات؟ والعصر أربعًا؟ والفجر ركعتين؟

سلم لله، تعبد، أمرنا الله بذلك؛ لنقول: سمعنا وأطعنا.

إبليس ماذا قال: ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأعراف:١٢].

اعترض، وعلل، واستفسر، وعاند، وفي النهاية: ﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأعراف:١٨].

استفاد شيء من هذا الاعتراض؟

ما استفاد شيء، التعليل الذي ذكره نفعه؟ القياس الذي ذكره نفعه؟

ما نفعه، غضب الله عليه وسخط عليه.

وآدم لما استسلم لله، مع أنه عصى، وتاب وأناب، ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف:٢٣].

استغفر، وتاب الله عليه، وقبل الله توبته واستغفاره؛ العبد لابد أن يشعر أنه عبد، لست ربًّا ولا نظيرًا لله، وعقلك ضعيف، والهوى غلاب، والفتن والشهوات والشطيان وأصحاب الشبهات.

ولذلك قال عز وجل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ أصل الكتاب ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٧﴾ ﴾ [آل عمران:٧].

تأمل هذه القضية، من هم الذين يستسلمون؟

الراسخون في العلم.

العادة أن الذي يستسلم في نظر الناس، الجاهل والذي لا يعرف، المقلد، يقول: ما أدري ويتبع.

هنا مدح الله الراسخين في العلم بذلك؛ لأن هذا منتهى أمرهم، لأن رسوخه في العلم دله على أن الأمر يقف، وأن له نهاية وحد.

أما الجاهل فما يقف، يغامر، صاحب الفتنة ما يقف، يغامر.

ولذلك قال: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾، بعضهم يريد الفتنة، يريد أن يفتن الناس؛ وأن يُضلوا.

وبعضهم: طمعًا في أن يفهم كل شيء، والتأويل هنا المآل، ليس تأويله بالمعنى الاصطلاحي الذي جرى عند الناس أنه صرف الشيء عن ظاهره.

كما قال:﴿ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ ﴾ [يوسف:١٠٠] تفسيرها الذي آلت إليه.

فبعض الناس يريد في كل شيء أن يصل إلى حدٍّ فيه.

لا؛ ولذلك في المسند والسنن، لما تنازع بعض الصحابة في القدر، يقول عبد الله بن عمرو بن العاص: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ، وَهُمْ يَخْتَصِمُونَ فِي الْقَدَرِ، فَكَأَنَّمَا يُفْقَأُ فِي وَجْهِهِ، حَبُّ الرُّمَّانِ مِنَ الْغَضَبِ، فَقَالَ: «بِهَذَا أُمِرْتُمْ، أَوْ لِهَذَا خُلِقْتُمْ، تَضْرِبُونَ الْقُرْآنَ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ، بِهَذَا هَلَكَتِ الْأُمَمُ قَبْلَكُمْ»(٣١) ثم قال لهم: «إِنَّ مِرَاءً فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ»(٣٢).

فلابد للإنسان حد يقف عنده.

فهنا يقول: فقد بين رسول الله ﷺ لأمته السنة وأوضحها لأصحابه.

ولهذا يقول الصحابي: والله ما مات رسول الله وطائرٌ يطير بجناحيه إلا أخبرنا خبراً عنه.

فكيف بأصول الدين؟

بينها رسول الله بيانًا كافيًا شافيًا.

وبينها لأصحابه وهم الجماعة، من هم الجماعة الذي تلزمهم؟

كثرة الناس؟

لا، الصحابة.

لأن النبي ﷺ بينها وقال: «وَهُمُ السَّوَادُ الْأَعْظَمُ» لأنه لما سئل عن الفرقة الناجية في افتراق الأمة ثلاثة أجوبه:

---

(٣١) أخرجه ابن ماجه: المقدمة، باب في القدر (٨٥)، وهو في مسلم (٢٦٦٦) مختصرًا.

(٣٢) الزيادة للطيالسي (٢٤٠٠)، وابن أبي شيبة (٣٠١٦٦). وقد أخرجه أبو داود: كتاب السنة، باب النهي عن الجدال في القرآن (٤٦٠٣) من حديث أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٦٨٧).

«**الْجَمَاعَةُ**»[٣٣].

ورواية: «**السَّوَادُ الْأَعْظَمُ**»[٣٤].

ورواية: «**هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي**»[٣٥].

فسرت بعضها بعضًا، والنصوص الأخرى تبينها، فقال: هم الجماعة.

ليست الجماعة كثرة الناس، ولذلك بعض الناس يورد سؤالًا، يقول: إذا كان الأكثر من الناس أشاعرة مثلًا؟

والجواب: مثل ما نبه عليه الشيخ ابن عثيمين في القواعد المثلى في آخرها، نبه على هذه المسألة، الكثرة؛ قال: أولًا لا نسلم بذلك؛ لأن الكلام أنه المهم الأكثر، هذا غير صحيح؛ لأن عامة المسلمين ليسوا على عقيدة المتكلمين، سواءً كانوا أشاعرة أو ماتريدية، لأن عامة المسلمين على الفطرة، يجهلون هذا الكلام، لا يعرفون إلا ما قرؤوه من الكتاب والسنة، وما درسوا هذه المسائل الكلامية.

هذا أولًا.

وثانيًا: على فرض ذلك، ليست الجماعة التي أمرنا هو مصطلح كثرة الناس، لا؛ المقصود به ما فسره النبي ﷺ السواد الأعظم، هم من كان على مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، أما أخبر النبي ﷺ أن الطائفة المنصورة في آخر الزمان قلة: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ**»[٣٦].

وهم قلة.

---

(٣٣) سبق تخريجه.

(٣٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٧٨٩٢) من حديث أبي أمامة، وله شواهد، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن.

(٣٥) سبق تخريجه.

(٣٦) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم» (١٩٢٠).

أما أخبر النبي ﷺ قال: «بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»[٣٧].

فهؤلاء القلة.

القضية ليست مرتبطة بالكثرة، القضية من كان على مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، هؤلاء هم الجماعة.

قال: والسواد الأعظم، الحق وأهله، فمن خالف أصحاب رسول الله ﷺ في شيءٍ من أمر الدين فقد كفر.

يعني: مما أجمعوا عليه، والذي أجمعوا عليه العقائد وأصول الشرائع، أما مسائل اختلفوا فيها، فالعبرة بالدليل؛ لأن الله بين لنا ذلك بيانًا شافيًا.

قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء:٥٩].

تأمل هذه الآية: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾، هذا مفروغ منه، أطيعوا الله في كتابه، والنبي ﷺ في حياته، وبعد مماته في سنته.

﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾، ذكر العلماء من الصحابة ومن غيرهم:

أنها في أمور القيادة والحكم والسياسة، أصحاب الولايات من الأمراء.

وفي أمور الشرع والبيان: العلماء.

هذا الذي جاء عن الصحابة ابن عباس وأبي هريرة، ومن بعدهم الإمام أحمد وغيره.

فهو شامل لهؤلاء وهؤلاء.

---

(٣٧) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا. وأنه يأرز بين المسجدين (١٤٥)، من حديث عبد الله بن عمر.

وأولي الأمر منكم، يقول العلماء: هنا أطلق، إذا أجمعوا يجب طاعتهم، المسألة في الإجماع، يجب طاعتهم إذا أجمعوا، ولا يجوز الخروج عنهم؛ لأن النبي ﷺ يقول: «إِنَّ اللهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ».(٣٨)

لا يمكن أن يجتمع علماء الأمة على ضلالة.

فلا نأتي إلى مسألة محل إجماع، وظهر الإجماع فيها، ثم نقول: لعل الحق في غيرها.

أبدًا لا يمكن ذلك.

قال: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ﴾ ليس محل إجماع، العلماء اختلفوا فيها، فإلى أي شيء: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾.

ارتفعت قضية وجوب تقليد العلماء أو اتباع قولهم.

﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾، في محل الإجماع.

فإن تنازعوا، فردوه إلى الله والرسول، انتفى قضية وجوب اتباع شخص بعينه، ينظر إلى من هو الذي دلل عليه الكتاب والسنة قوله من العلماء.

فيرجع إلى ما دل عليه الكتاب والسنة.

ولا يعني ذلك أن العامي إذا ترك العلماء اختلفوا يتركهم ويذهب يفتح القرآن وينظر في الأدلة، هذا غير معتبر قوله؛ لأنه سيفهم القرآن والسنة بضلالة وخطأ، المقصود: من دل على قوله من العلماء دل على قوله الكتاب والسنة إذا كان ليس في المسألة إجماع.

ثم قال: ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ المسألة ليست سهلة، يعلق فيها الإيمان.

---

(٣٨) أخرجه الترمذي: كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة (٢١٦٧) من حديث ابن عمر، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٨٤٨).

ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٌ﴾ لكم، ﴿وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ أحسن مآلا، الرجوع إلى العلماء إذا أجمعوا، هذا هو الخير والمآل للناس، فإن رأيت الناس يعرضون عن العلماء فاعلم أن مآلهم إلى الشر، ولا خير لهم في ذلك.

على كلٍّ، هذه المسألة أدلتها كثيرة، ولذلك العلماء يذكرون في المسح على الخفين حديث علي بن أبي طالب: **لَوْ كَانَ الدِّينُ يُؤْخَذُ بِالرَّأْيِ؛ لَكَانَ أَسْفَلُ الخُفِّ أَوْلَى بِالمَسْحِ مِنْ أَعْلَاهُ، وَقَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَمْسَحُ ظَاهِرَ خُفَّيْهِ**(٣٩).

ليست قضية قياس؛ لأن الذي يلي الأرض هو أسفل الخف، لكن القضية قضية تنظيف، الآن لما تغسل يديك وتتوضأ بماءٍ، كان النبي ﷺ يتوضأ بالمد، بما يعادل هذه القارورة، وكان يغسل يديه منها ثلاثًا، ووجهه ثلاثًا، ويستنشق بكفٍ واحدةٍ ثلاثًا، ويغسل رجليه ثلاثًا، ويمسح رأسه، هل هذه تكفي لتنظيف الأوساخ؟

لا تكفي، إنما المقصود التطهير، الطهارة المعنوية، لأن الحدث وصفٌ معنويٌّ يحل بالبدن يمنع من الصلاة ونحوها؛ فهي المقصود التعبد لله بالطهارة، وليس المقصود إزالة الأوساخ، أو كان عليه شيء من عرق؛ لا. هو هكذا.

أرأيت ذبح الشاة، وقول: بسم الله عليها، فتحل وتطهر وتطيب.

وبين ذبحها بدون تسمية فتخبث ولا تحل ولا تطيب.

والدم أهريق؛ لأنه اسم الله يطيبها، حكم شرعي، تطيب، وتذهب منها الفساد.

كذلك النكاح، ما الفرق بين الوطء بسفاح أو بنكاح؟

كلمة الله، زوجتك قبلت، «**اسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكِتَابِ اللهِ**»(٤٠) التي أذن لكم بها، وهي التزويج، على ما قال العلماء في هذا.

---

(٣٩) أخرجه أبو داود: كتاب الطهارة، باب كيفية المسح (١٦٢)، وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٥٢٥).

(٤٠) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته (٣٣٣١)، ومسلم: كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء (١٤٦٨)، من حديث أبي هريرة.

أرأيت الشرع كيف بين ذلك؟

لو قال قائل: إيش الفرق؟ رضيت أخذتها وتزوجتها؟

نقول: الفرق أمر الله، لا يُوضع على العقول.

يقول: فلا تتبع شيئًا بهواك، فتمرق من الدين فتخرج من الإسلام فلا حجة لك.

أما سمعت قول الله عزو جل: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية:٢٣].

الهوى يضل ويُعمي البصيرة، نسأل الله العافية والسلامة، ولذلك يقول عز وجل فإن ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [القصص:٥٠].

نسأل الله العافية والسلامة.

(٥) واعلم أن الناس لم يبتدعوا بدعة قط حتى تركوا من السنة مثلها، فاحذر المحدثات من الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، والضلالة وأهلها في النار.

الشرح:

صدق رَحِمَهُ اللَّهُ.

أن الناس لم يبتدعوا بدعةً قط، أي بدعة، كبيرة أو صغيرة، حتى تركوا من السنة مثلها؛ لأنه إما أن يجعل بدعة مكان سنة من هذه الجهة، بمعنى: لو أردنا تفصيلًا إذا فعل بدعةً ترك مكانها سنةً لأنها محل التعبد، البدعة ما كان في الدين تعبدًا.

لكن قد يكون ليس ذلك، قد يكون شيء زيادة لم يخرج شيئًا من السنن وإنما زاد شيئًا من البدع، نقول: ترك من السنة سنة الاتباع والاستسلام والتسليم والتعظيم لأمر الله ورسوله.

ولذلك قالت عائشة: من ابتدع بدعةً فقد زعم أن محمدًا خان الرسالة.

لماذا؟

لأن الدين كمل، يقول عز وجل: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣] هذا المرضي، ما سواه غير مرضي، ولو زيادة شعرة واحدة.

ولذلك في صحيح البخاري، لما جاء عمر إلى الحجر الأسود ووقف عنده يقبله، قال: والله إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك[٤١].

انظر: ترك الرأي هنا، الرأي: أنه حجر لا يضر ولا ينفع، لكن هنا اتباع، ولم يُلحق به غيره، يقبل مثلًا: المقام أو الركن اليماني، الركن اليماني جاء فيه المسح، ما قبلوه الصحابة.

---

(٤١) أخرجه البخاري: كتاب الحج، باب ما ذكر في الحجر الأسود (١٥٩٧)، ومسلم: كتاب الحج، باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف (١٢٧٠).

ولذلك أيضًا في صحيح البخاري، كان معاوية يمسح الأركان الأربعة من البيت، وجاء المسح في الحجر الأسود والركن اليماني، وكان معه ابن عباس، فقال ابن عباس رضي الله عنه: إنما مسح رسول الله الحجر الأسود والركن اليماني. قال معاوية: ليس شيئًا من البيت مهجورًا.

أدخل الرأي هنا.

قال ابن عباس: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١].

قال: صدقت(٤٢).

وقفٌ، قال: إن كنت تريد الخير فاقتد برسول الله، الأسوة الحسنة في رسول الله.

الآن لو جئت إلى شخص، يعظم بدعةً، وتقول له: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١] قال: ما فيها شيء، زيادة خير، ما يقول: صدقت ويقف؛ لأن تعظيم السنن ضعف من القلوب.

لابد الإنسان يفحص هذا الشيء، أقل ما هناك اجتنب الإحداث، إذا كان الإنسان لا يتمسك بالسنن فيجتنب الإحداث، فإن الإحداث أشد استدراك على الله وعلى رسوله.

يقول أبو إدريس الخولاني: **ما أحدثت أمةٌ في دينها بدعة إلا رفع بها عنهم سنة.**

نعوذ بالله.

يحرمون السنة، إما فعلها واشتهارها، وإما حرمان تعظيمها في القلوب.

الآن: في سنن مهجورة كثيرة، لكثرة وجود البدع، فصارت هذه السنن تهجر، نسأل الله أن يصلح أحوالنا وأحوال المسلمين.

وهنا المصنف يقول: كل بدعةٍ ضلالة، وهذا فيه رد على من يقول: بدعة حسنة، وبدعة سيئة، وبعضهم يقول: بدعة مكروهة وبدعة واجبة وبدعة مستحبة.

---

(٤٢) أخرجه البخاري: كتاب الحج، باب من لم يستلم إلا الركنين اليمانيين (١٦٠٨).

هذا ضلالات، ذكرها بعض الفقهاء، لكن النبي ﷺ كان كل جمعة يخطب في أصحابه في حديث جابر يقول: «إِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»(٤٣)، ولهذا الصحابة لما يكرر عليهم هذا والنبي ﷺ يواظب على تكراره، رسخ هذا الشيء، ويدلك على أهمية هذا الموضع.

وفي حديث العرباض بن سارية لما قالوا: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ يعني: أمير، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتُ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»، هذا حديث العرباض في المسند والسنن بسند صحيح(٤٤).

فالبدع ليس فيها حسن، بدعة حسنة!

لو قال قائل: قول النبي ﷺ في صحيح مسلم «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ»(٤٥) هل تظنون أن النبي ﷺ يقصد إحداث البدع وهو يقول: «كل بدعةٍ ضلالة»؟

لا، السن هو أن يسلك الطريق، ويُتبع.

وجاء له سبب ورود، وهو أن النبي ﷺ في حديث جرير البجلي، قال: جاء قوم من مضر، بل كلهم من مضر، مجتابي النمار، فقراء يعني، فلما رآهم النبي ﷺ تغير وجهه لذلك، يعني: رق لهم، فدخل بيته ثم خرج، فأمر بالصلاة فثوب بها، ثم صعد المنبر فصلى ثم صعد المنبر فقال: ««تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ - حَتَّى قَالَ - وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ، قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ، حَتَّى رَأَيْتُ

---

(٤٣) أخرجه مسلم: كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة (٨٦٧)، والنسائي في باب كيف الخطبة (٣/ ١٨٨)، وأحمد في «المسند» (١٤٣٧٣). وقد تفرَّد النسائي بـ«وكل ضلالة في النار».

(٤٤) سبق تخريجه.

(٤٥) أخرجه مسلم: كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، أو كلمة طيبة (١٠١٧).

كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ، كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ، فقال النبي ﷺ: « مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً».

هذا الرجل الذي سن للناس التصدق، التصدق مشروع، أمر الله به وأمر به رسوله وحث عليه، فقام هذا الرجل وسن لهم، فاقتدوا به، فهذا سبب ورود الحديث، ما يُنقل إلى غيره وتصادم الأحاديث، الذهاب إلى هذا الحديث لتشريع البدع هو أخذٌ بالمتشابه وتركٌ للمحكم.

الذي قال فيه عز وجل: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾ [آل عمران:٧].

وفي صحيح البخاري ومسلم عن عائشة قال رسول الله: «فَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ» (٤٦).

الذي يدع محكم النصوص في التحذير من البدع ويذهب إلى المتشابه الذي له مورد خاص، ثم يجعله أصلًا هذا ضلال.

كذلك قول عمر لما جمع الناس في التراويح، وقال: نعمت البدعة.

يستدلون به أن هناك بدعةً ممدوحةً.

نقول: هذا غير صحيح؛ لأن عمر جمعهم على التراويح التي شرعها النبي ﷺ وصلى به أيامًا من رمضان من آخره، ثم خشى أن تفرض عليهم فاحتجب عنهم، وحث عليها، فلما جمعهم عمر رآهم أوزاعًا متفرقين يصلي الرجل بالرجلين وبالثلاثة وكذا، فجمعهم على أبي بن كعب وتميم الداري، ثم يقول عبدٌ القاري: فمررت معه وهم يصلون، فوقف وقال وهو يتفقد أهل المدينة: نعمت البدعة، والتي ينامون عنها خيرٌ منها، يعني: التهجد آخر الليل، فسماها بدعة، لغةً، وإلا أصلها مسنون مشروع، تكلم على أهل المشروع، فلا يحتج به في مصادمة الأصل وهو أن كل بدعةٍ ضلالة.

ما هي البدعة؟

---

(٤٦) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب منه آيات محكمات (٤٥٤٧)، ومسلم: كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير (٢٦٦٥).

يقول ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (**وَالْمُرَادُ بِالْبِدْعَةِ: مَا أُحْدِثَ مِمَّا لَا أَصْلَ لَهُ فِي الشَّرِيعَةِ يَدُلُّ عَلَيْهِ، فَأَمَّا مَا كَانَ لَهُ أَصْلٌ مِنَ الشَّرْعِ يَدُلُّ عَلَيْهِ، فَلَيْسَ بِبِدْعَةٍ شَرْعًا، وَإِنْ كَانَ بِدْعَةً لُغَةً**)[٤٧].

وهذا مثل قصة عمر التي ذكرنا.

ويقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (**وَقَدْ قَرَّرْنَا فِي قَاعِدَةِ السُّنَّةِ وَالْبِدْعَةِ: أَنَّ الْبِدْعَةَ فِي الدِّينِ هِيَ مَا لَمْ يَشْرَعْهُ اللهُ وَرَسُولُهُ**)[٤٨].

وله كلام جميل في أوائل كتاب الاستقامة، لشيخ الإسلام، يراجع.

كذلك الشاطبي، كتاب الاعتصام مفيدٌ في هذا الباب، الاعتصام هو في الحقيقة هو اعتصام بالكتاب والسنة، كله أصلًا في رد البدع، مفيدٌ هذا الكتاب والقراءة فيه.

---

(٤٧) جامع العلوم والحكم (٢/ ١٢٧).

(٤٨) مجموع الفتاوى (٤/ ١٠٧).

(٦) واحذر صغار المحدثات من الأمور؛ فإن صغير البدع يعود حتى يصير كبيرًا، وكذلك كل بدعةٍ أحدثت في هذه الأمة، كان أولها صغيرًا يشبه الحق، فاغتر بذلك من دخل فيها، ثم لم يستطع الخروج منها، فعظمت وصارت دينا يدان به فخالف الصراط المستقيم، فخرج من الإسلام.

الشرح:

يقول: احذر صغار المحدثات، لا تقل: هذه سهلة، صغيرة، فروعية، بعض الناس يقول: هذه في الفروع.

البدع بدع، بدع في الدين، النبي قال: «**كل بدعة ضلالة**» ما قال: الكبار ضلالات والصغار غير ضلالات.

قال: كل بدعة، صغيرة أو كبيرة، وقال: «**وإياكم ومحدثات الأمور**» هذا عموم، أي محدثة، حذر منها، «**فإن كل بدعةٍ ضلالة**»، فلذلك يحذر الإنسان صغير البدع وكبيرها، فإنها تكبير حتى تصير بدعةً كبيرة، مما قد تكون على وضعها هي نفسها، لكنها تبقى بدعةً في نفوس الناس تعظم، ويعظم تعظيمها في نفوس الناس، وإقرارها، وبقاؤها؛ هذا يعظم.

أليست الصغيرة إذا استُمرئت وكررت تحل محل الكبيرة؟

كذلك المحدثة الصغيرة.

وكذلك: كل بدعةٍ تحدث في هذه الأمور، أولها كان صغيرًا تشبه الحق، ترى البدعَ ما صارت بدعًا إلا وقد أشبهت الحق، يعني: له شيءٌ يتشبث به المبتدع يظن أنه يرضي الله به، فيكبر، وينموا حتى يصبح كبيرًا، وهكذا.

مثلًا: بدعة الخوارج لما خرجوا كانوا يريدون الحق وإقرار العدل، بزعمهم، لكنها نمت حتى صارت تكفيرًا للمسلمين، وسفكًا للدماء.

مما يحسن ذكره هنا حديث ابن مسعود مع بذرة الخوارج الأولى الذي رواه الدارمي في سننه، وابن وضاح وغيرهم، من طريق عمرو بن يحيى عن أبيه عن جده عمرو بن سلمة، قال: كُنَّا نَجْلِسُ

عَلَى بَابِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَبْلَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ، يعني: قبل الفجر، قبل أن يخرج إلى المسجد، فَإِذَا خَرَجَ، مَشَيْنَا مَعَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَجَاءَنَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأبو موسى أمير الكوفة، وابن مسعود القاضي والمفتي وصاحب بيت المال.

فَقَالَ: أَخَرَجَ إِلَيْكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ قُلْنَا: لَا، بَعْدُ. فَجَلَسَ مَعَنَا حَتَّى خَرَجَ، فَلَمَّا خَرَجَ، قُمْنَا إِلَيْهِ جَمِيعًا، فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ آنِفًا أَمْرًا أَنْكَرْتُهُ.

دخل المسجد فرأى المنكر فخرج، بس؛ يعرض الأمر على العالم، أبو موسى فقيه من كبار فقهاء الصحابة، إذا عُد أفراد فقهاء الصحابة عُد أبو موسى منهم، من العلماء؛ لكن هنا الأمر يحتاج إلى اجتهاد ونظر، ويشاور من هو أعلم منه.

والأمر في الفتيا في الكوفة لابن مسعود، لا يتدخل فيه أبو موسى.

قال: إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ آنِفًا أَمْرًا أَنْكَرْتُهُ وَلَمْ أَرَ -وَالْحَمْدُ لِلَّهِ- إِلَّا خَيْرًا.

هو استنكره، لكن في الظاهر خير؛ فلذلك تردد الأمر عنده، احتاج إلى مشاورة أهل العلم.

قَالَ: فَمَا هُوَ؟ فَقَالَ: إِنْ عِشْتَ فَسَتَرَاهُ. قَالَ: رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَوْمًا حِلَقًا جُلُوسًا يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ فِي كُلِّ حَلْقَةٍ رَجُلٌ، وَفِي أَيْدِيهِمْ حصًا، فَيَقُولُ: كَبِّرُوا مِائَةً، فَيُكَبِّرُونَ مِائَةً، فَيَقُولُ: هَلِّلُوا مِائَةً، فَيُهَلِّلُونَ مِائَةً، وَيَقُولُ: سَبِّحُوا مِائَةً، فَيُسَبِّحُونَ مِائَةً، قَالَ: فَمَاذَا قُلْتَ لَهُمْ؟ قَالَ: مَا قُلْتُ لَهُمْ شَيْئًا انْتِظَارَ رَأْيِكَ أَوِ انْتِظَارَ أَمْرِكَ. قَالَ: أَفَلَا أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهِمْ، وَضَمِنْتَ لَهُمْ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ. ثُمَّ مَضَى وَمَضَيْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَى حَلْقَةً مِنْ تِلْكَ الْحِلَقِ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ.

في روايةٍ أنه كان قد لف عمامته على وجهه متلثمًا، ووقف عليهم، وكشفها، وقال: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا عبد الله بن مسعود.

العالم هنا يحتاج إلى أن يظهر نفسه حتى يعرفوا الكلام من أين أتى؟

من عالم.

فَقَالَ: مَا هَذَا الَّذِي أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَ؟ قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ حصًا نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّسْبِيحَ. قَالَ: فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ، فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ.

ما يعني: أن يجلس كل واحدٍ يقول كذا، ولكن أراد هذا مثل قول الله: ﴿قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا﴾ [الإسراء:٥٠] ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ [الكهف:٢٩].

هل معناه أنه إذنٌ بالكفر؟

لا، يعبرون عنه العلماء بالتهديد.

قال لهم، أولى لكم شخص يقف يحاسب نفسه، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، هذا المقصود.

وَيْحَكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، مَا أَسْرَعَ هَلَكَتَكُمْ هَؤُلَاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ مُتَوَافِرُونَ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبْلَ، وَآنِيَتُهُ لَمْ تُكْسَرْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ مُفْتَتِحُو بَابِ ضَلَالَةٍ.

أحد الأمرين، ما فيه خيار؛ هذه بدعة، إما أن تكونوا أنتم أصبتم الملة الصحيحة الأصوب، أو أنكم على ضلالة.

قَالُوا: وَاللهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ.

يعني: هونك علينا.

قَالَ: وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَدَّثَنَا «**أَنَّ قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ**»، وَايْمُ اللهِ مَا أَدْرِي لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ، ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ. فَقَالَ عَمْرُو بْنُ سَلَمَةَ: رَأَيْنَا عَامَّةَ أُولَئِكَ الْحِلَقِ يُطَاعِنُونَا يَوْمَ النَّهْرَوَانِ مَعَ الْخَوَارِجِ (٤٩).

الشخص الذي يرضى بالبدعة الصغيرة قلبه مستعدٌ لأكبر منها، الشخص الذي دخلت عليه البدعة الصغيرة، ستدخل عليه التي هي أكبر منها وأشد شبهةً، فلذلك احذر صغار البدع، فإنها تكبر حتى تكون كبيرةً.

ولذلك كان ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: **اقتصادٌ في سنةٍ خيرٌ من اجتهادٍ في بدعة.**

---

(٤٩) أخرجه الدرامي: كتاب العلم (٢١٢).

ولذلك كان أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: **يا حبذا نوم الأكياس وإفطارهم، كيف يغبنون سهر الحمقى وصيامهم؟**

يقصد، يا حبذا نوم الأكياس، العقلاء الذين على السنة، وإفطارهم، ينامون بالليل لا يتهجدون، ويفطرون النهار؛ المقصود النوافل، لأنهم على السنة؛ اقتصاد، كيف تأتي وتقول: أولئك أصحاب البدع الخوارج، كانوا يصومون، كما قال ﷺ: «**يُحَقِّرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ**»(٥٠) كيف يُغبنون، ويكون هؤلاء خيرٌ منكم؛ هؤلاء حمقى تركوا السنة، نعم.

فانظر رحمك الله كل من سمعت كلامه من أهل زمانك خاصة فلا تعجلن، ولا تدخلن في شيء منه حتى تسأل وتنظر هل تكلم به أصحاب رسول الله ﷺ أو أحد من العلماء؟ فإن وجدت فيه أثرا عنهم فتمسك به، ولا تجاوزه لشيء، ولا تختر عليه شيئا فتسقط في النار.

نعم، هذه قاعدة: انظر كل شيءٍ سمعته من كلام أهل زمانك، وهذا يقوله في الزمن الأول، يقول: فلا تعجلن، وتدخل فيه؛ لا؛ انظر إليه، واسأل عنه، هل كان عليه السنة والصحابة؟

فإن قيل لك: والله ما ندري.

انظر إلى العلماء، يقصد بالعلماء علماء السنة الذين على الأثر، لا يقصد كل من تنصب للعلم، و الناس نصبوه للعلم.

لا؛ بل الذي لزم العلم حتى عُرف به، واتباع السنة؛ ولذلك أمرنا الله بطاعة العلماء كما في قوله: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل:٤٣].

وفي قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء:٥٩].

ولذلك كان ابن سيرين يقول: **إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم.**

---

(٥٠) أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب بعث عليّ بن أبي طالب، وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع (٤٣٥١)، ومسلم: كتاب الزَّكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم (١٠٦٤).

وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: من كان منكم مستنًا فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه **الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ، أبر هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، قومٌ أختارهم الله لإقامة دينه وصحبة نبيه، فاعرفوا لهم حقهم، وتمسكوا بهديهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم.**

وجاء عن ابن عمر أيضًا مثل هذا الكلام.

ولذلك كان الإمام أحمد يقول كما في رسالته في أصول السنة التي كتبها لعبدوس، وأيضًا كتبها لمسدد، قال: **أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم وترك البدع.**

ولذلك يقول المصنف: **ولا تختر عليه شيئًا فتسقط في النار**؛ نعوذ بالله.

يقول الأوزاعي: **عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوا لك القول.**

كما قال عز وجل: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء:١١٥].

مشهورة كلمة الإمام مالك، ويا حبذا من شخصٍ يتتبع كلام الإمام مالك ويستخرج، الذي يقول: **لا يصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، فما لم يكن يومئذٍ دينًا لا يكون اليوم دينًا.**

وكذلك لو تتبعت كلمات الإمام مالك والإمام أحمد والإمام الشافعي.

والشافعي بالمناسبة؛ النووي في كتابه «تهذيب الأسماء واللغات» ترجم للشافعي في أول الكتاب، ثم قال: فصلٌ، نماذج من كلمات الشافعي، فذكر نحو ثلاث صفحات أو أربع من الكلمات التي لو أُبرزت وشُرحت كانت نبراسًا للناس يقتدون بها.

(٧) واعلم أن الخروج من الطريق على وجهين.

هذه مسألة مهمة.

المخالف للسنة على نوعين، هذا مقصوده، على وجهين يعني على نوعين.

أما أحدهما: فرجل زل عن الطريق، وهو لا يريد إلا الخير، فلا يُقتدى بزلته، فإنه هالك، وآخر عاند الحق وخالف من كان قبله من المتقين، فهو ضال مضل، شيطان مريد في هذه الأمة، حقيق على من يعرفه أن يحذر الناس منه، ويبين لهم قصته؛ لئلا يقع أحد في بدعته فيهلك.

الشرح:

يقول: الخروج عن الطريق، يعني: عن الجماعة، الخارجين عن الجماعة على نوعين:

رجلٌ زل عن الطريق، وهو لا يريد إلا الخير، فلا يقتدى بزلته، قضية أنه أخطأ فهذا أمره إلى الله، لكن لا يُتقدى به، لا يُتخذ إمامًا في هذه، يقال: والله فلان؛ مثل بعض الجهلة يقول: الخروج يجوز، إن الحسين خرج على يزيد بن معاوية.

نقول له: أخطأت، عليك بالسنن، بالذي قاله النبي ﷺ، بالذي دل عليه الكتاب والسنة، هذه زلةٌ، نهاه عنها ابن عباس وأخوه محمد بن الحنفية وابن عمر وأبو سعيد الخدري وجابر، فلا يُقتدى به، وهو ندم عليها، لما رأى أن الأمر كذا، وقال: اذهبوا بي إلى يزيد، فلا يقتدى بها، هذه زلة، ولا شك أنه من أهل الجنة، ريحانة النبي ﷺ، «**الحَسَنُ وَالحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ**»(٥١)، فلا يقتدى بها، هذا ابتلاء، امتحان.

عائشة لما جاءت مع الزبير وطلحة يوم الجمل على علي بن أبي طالب يريدون أن يقتصوا لعثمان من الذين قتلوه، هذا خطأ؛ لأنه الآن الأمر للخليفة لا يُنتزع منه، فلما رأها عمار بن ياسر، معهم زوجة

---

(٥١) أخرجه الترمذي: كتاب المناقب، باب مناقب الحسن والحسين (٣٧٦٨)، من حديث أبي سعيد، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٧٩٦).

النبي ﷺ، والناس انخدعوا، واغتروا، قالوا: كيف، لابد أن الصواب معهم، هؤلاء طلحة والزبير وعائشة، هؤلاء أهل الجنة.

فقال: والله أشهد أنها زوجته في الجنة، ولكن الله أراد أن يبتليكم بها؛ امتحان؛ أتطيعوه أم تطيعوها.

ما الذي أمر به النبي ﷺ؟

أمر بالجماعة والسمع والطاعة، وهذا الخليفة، أم تطيعوها؟

فلما ذُكر الزبير رجع، وعائشة ندمت، وكانت تتصدق، وتعتق عن تلك.

فلا يُقتدى بمن زل، يُترحم عليه، ويُعفى عنه إن كان من أهل السنة.

ولذلك قال معاذ بن جبل ليزيد بن عميرة: وإياك وزيغة الحكيم، وتلق الحق إذا سمعته، وإن المنافق قد يقول كلمة الحق.

قال: يرحمك الله، كيف أعلم زيغة الحكيم، يعني: الحكيم العالم المُحكم للعلم، وكيف أعرف أن المنافق يقول الحق؟

قال: إن على الحق نورًا.

هذا نور الدليل الذي يدل عليه.

قال: واتق من كلام الحكيم المشتهرات، التي إذا قالها، قال الناس: يعني: العلماء: ماذا أراد بها.

إذا أحد من العلماء قال قولًا، ونظراؤه في العلم والذين هم خير منه في العلم، قالوا: ماذا يقول؟ وخطؤه، فاتق هذه.

قال: ولا يُنأينك ذلك عنه، وفي رواية: ولا يثنينك ذلك عنه، فإنه لعله أن يُراجع[٥٢].

حتى ولو مات وهو مقتنع بهذا القول، زلة، لكن لا يقتدى به، تُطمر، ولا تجعل سبةً عليه.

لأن النبي ﷺ قال كما في صحيح البخاري: «إِذَا اجْتَهَدَ الحَاكِمُ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ، وَإِذَا أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ»[٥٣] فنعرف أنه في خطأه مأجور، ليس مأجورًا على الخطأ، لا، الخطأ في محل العفو، وإنما مأجور على الاجتهاد في إصابة الحق ولم يصبه.

---

(٥٢) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، باب لزوم السنة (٤٦١١)، وقال الألباني: صحيح الإسناد موقوف.

فهذا هو الميزان الصحيح.

قول المصنف: فلا يقتدى بزلته فإنه هالك، يعني: مخطئ، أخطأ، لكن العقوبة ونحوها عند الله، ما نحن نحكم، الدلائل دلت على أنه معفو عنه، أما الحكم على صدقه من غيره فهذا إلى الله.

والصنف الثاني: عاند الحق وخالف من كان قبله من المتقين، قضية محسومة، محل إجماع، حال طريق السنة ماشية فيها، ويخالفها، لا؛ هذا معاند للحق.

ما حكمه، قال: فإنه ضال شيطان مريد، مريد أي مارد بفتح الميم، أما فتحها فمن الإرادة.

لا يُتبع في ذلك.

ولذلك ينبغي اجتنابه.

قال: وحقيقٌ على من يعرفه أن يحذر الناس منه.

قضية التحذير من أهل البدع، والتحذير من أهل الضلالة، ويبين لهم قصته؛ لئلا يقع أحدٌ في بدعته فيهلك.

شيخ الإسلام ابن تيمية له كلام جميل في هذا مذكور في مجموع الفتاوى في المجلد الثامن والعشرين: (**وَمِثْلُ أَئِمَّةِ الْبِدَعِ مِنْ أَهْلِ الْمَقَالَاتِ الْمُخَالِفَةِ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَوْ الْعِبَادَاتِ الْمُخَالِفَةِ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ**)؛ أصحاب بدعٍ يعني، إما في المقالات، يعني: العقائد، مثل مقالة التجهم، مقالة التعطيل، مقالة نفي القدر، مقالة الجبر، هذه مقالات.

أو العبادات، مثل المحدثات في البدع، كالمولد ونحوه.

قال: (**فَإِنَّ بَيَانَ حَالِهِمْ وَتَحْذِيرَ الْأُمَّةِ مِنْهُمْ وَاجِبٌ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ. حَتَّى قِيلَ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: الرَّجُلُ يَصُومُ وَيُصَلِّي وَيَعْتَكِفُ أَحَبُّ إلَيْك أَوْ يَتَكَلَّمُ فِي أَهْلِ الْبِدَعِ؟ فَقَالَ: إذَا قَامَ وَصَلَّى وَاعْتَكَفَ فَإِنَّمَا هُوَ لِنَفْسِهِ وَإِذَا تَكَلَّمَ فِي أَهْلِ الْبِدَعِ فَإِنَّمَا هُوَ لِلْمُسْلِمِينَ هَذَا أَفْضَلُ. فَبَيَّنَ أَنَّ نَفْعَ هَذَا عَامٌّ**

---

(٥٣) أخرجه البخاري: كتاب الاعتصام، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ (٧٣٥٢)، ومسلم: كتاب الأقضية، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ (١٧١٦)، من حديث عمرو بن العاص.

لِلْمُسْلِمِينَ فِي دِينِهِمْ مِنْ جِنْسِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ؛ إِذْ تَطْهِيرُ سَبِيلِ اللهِ وَدِينِهِ وَمِنْهَاجِهِ وَشِرْعَتِهِ وَدَفْعِ بَغْيِ هَؤُلَاءِ وَعُدْوَانِهِمْ عَلَى ذَلِكَ وَاجِبٌ عَلَى الْكِفَايَةِ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ).

الرد على أهل البدع واجبٌ بالاتفاق.

قال: (**وَلَوْلَا مَنْ يُقِيمُهُ اللهُ لِدَفْعِ ضَرَرِ هَؤُلَاءِ لَفَسَدَ الدِّينُ وَكَانَ فَسَادُهُ أَعْظَمَ مِنْ فَسَادِ اسْتِيلَاءِ الْعَدُوِّ مِنْ أَهْلِ الْحَرْبِ**).

بعض الناس يقول: تركتم اليهود والنصارى ورجعتم تردون على المسلمين.

نقول: والله هذا واجب، ما يُترك الواجب، إذا قُصر في واجبٍ آخر؛ على فرضٍ، أيترك الواجب هذا؟

ما يُترك.

قال: (**فَإِنَّ هَؤُلَاءِ** -يعني: أهل الحرب الكفار- **إِذَا اسْتَوْلَوْا لَمْ يُفْسِدُوا الْقُلُوبَ وَمَا فِيهَا مِنَ الدِّينِ إِلَّا تَبَعًا وَأَمَّا أُولَئِكَ فَهُمْ يُفْسِدُونَ الْقُلُوبَ ابْتِدَاءً**)[٥٤].

لأنهم يتكلمون في البدع، يبثونها، فبيان عورتهم، وفضحهم من الجهاد في سبيل الله.

---

(٥٤) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٣١).

(٨) واعلم رحمك الله أنه لا يتم إسلام عبد حتى يكون متبعا مصدقا مسلما، فمن زعم أنه بقي شيء من أمر الإسلام لم يكفوناه أصحاب محمد ﷺ فقد كذَّبهم، وكفى به فرقة وطعنا عليهم، وهو مبتدع ضال مضل، محدث في الإسلام ما ليس منه.

الشرح:

في نسخة: فيه.

يقول: واعلم رحمك الله أنه لا يتم إسلام عبد حتى يكون متبعًا للسنة مصدقًا ما جاء به النبي ﷺ أو جاء في القرآن.

قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء:٦٥].

فمن زعم أنه بقي شيءٌ من أمر الإسلام لم يكفوناه أصحاب محمدٍ ﷺ، فقد لم يكفوناه أصحاب محمد ﷺ فقد كذَّبهم، وكفى به فرقة وطعنا عليهم، وهو مبتدع ضال مضل؛ مثل أهل الكلام.

أهل الكلام لما أحدثوا علم الكلام، هم يعلمون أنه ليس من طريقة الصحابة، ومع ذلك أحدثوه، ومع ذلك زعموا أنه علم يقي العقل والذهن، ويصحح الفكر، وجعلوا العقائد تُؤخذ منه، وهذا ضلالٌ مبينٌ، وهذا بدعةٌ.

كيف شيء لا يعرفه أصحاب النبي ﷺ يصير دينًا؟

كيف شيء لم يأمر به الله ولا رسوله؛ بل نهينا عنه، ومع ذلك جعلوه دينًا يُدان به؟

هذا هو الضلال المبين.

ولذلك الشافعي له كلمة مشهورة: لو أن أحدًا أوصى لأهل العلم لم يدخل فيه أهل الكلام؛ لأنه ليس بعلمٍ.

يعني: علم شرعي.

وقوله ﷺ في الحديث الذي في الأربعين: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِـمَا جِئْتُ بِهِ»(٥٥)

هذا يدل على أن العبد لا يتم إيمانه حتى يسلم ويتبع ويصدق الرسول.

ولذلك من شهادة أن محمدًا رسول الله، تفسيرها؛ حقيقتها: تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع.

هذه لابد تُحفظ، قيدوها عندكم، أربع كلمات.

فلما يأتي شخص لا يصدق أو يشكك أو يتردد لا يسلم، ويزعم أنه مسلم فقد كذب على نفسه وعلى الناس، أو يتبع غير النبي ﷺ.

قال عز وجل: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣١ - ٣٢].

وقال عز وجل: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝٥٤﴾ [النور:٥٤].

لا تكون الهداية إلا بطاعته ﷺ، واتباعه.

قال ابن عباس: **عليك بالاستقامة واتباع الأثر، وإياك والتبدع.**

وقال ابن مسعود: **اتبعوا ولا تبتدعوا.**

وقال حذيفة: **كل عبادة لم يتعبد بها أصحاب رسول الله ﷺ فلا تتعبدوا بها، فإن الأول لم يدع للآخر مقالًا، فاتقوا الله يا معشر القراء، خذوا طريق من كان قبلكم.**

إلخ ما قالوه.

نقف عند هذا والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(٥٥) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٤)، وضعفه الألباني في «ظلال القرآن» (١٥).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد، أيها الأخوة الفضلاء، هذا المجلس الثالث في الدورة في التعليق على شرح السنة للإمام البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٩) واعلم رحمك الله أنه ليس في السنة قياس، ولا يُضرب لها الأمثال، ولا تتبع فيها الأهواء، وهو التصديق بآثار رسول الله ﷺ بلا كيف ولا شرح، ولا يقال: لم ولا كيف؟.

الشرح:

يقول الآن في مسألةٍ وأصلٍ ينبغي أن يُضبط وأن يُحفظ؛ لأجل معرفة منهج السلف وطريقتهم في العقيدة والسنة.

قال: واعلم رحمك الله أنه ليس في السنة قياس، السنة يعني العقيدة، فيما يتعلق بأمر الله، وفي شأنه، صفاته وأسمائه، ليس فيها قياس، قياس مثيل ونظير، ولا قياس شمول؛ لأنه قد قطع الله هذا السبيل فقال عز وجل: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧٤﴾ [النحل:٧٤].

وقال عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

القياس هو أن يُلحق النظير بنظيره والمثيل بمثليه، والله ليس له نظير ولا مثيل.

ومراده بالسنة هنا العقيدة، ليس المقصود أنه ليس في الشريعة قياس، فالشريعة فيها قياس في مسائل الفقه، الذي دل عليه الكتاب والسنة وما كان عليه الفقهاء والأئمة الأربعة أن القياس في الفقه وسيلةٌ من وسائل الاجتهاد في التشريع، بمعنى: إلحاق النظير بنظيره في الحكم، وليس القياس مصدرًا مستقلًا، وإنما هو وسيلة وآلة يلحق بها ما ليس له حكم بما له حكم، في الفقه والشرائع.

هو إلحاق الفرع بالأصل، إلحاق فرعٍ بأصلٍ في حكمٍ بعلة جامعةٍ بينهما.

وهو أقسام: قياس الأولى، قياس الدلالة، قياس العلة، قياس الشبة، القياس بنفي الفارق، إلخ.

المهم أن هذا في باب الفقه والشرعيات، أما في العقيدة والسنة فليس فيها قياس؛ ليس فيها إلا النص.

وهو الذي يعبر عنها العلماء بقولهم: أسماء الله توقيفية.

وهي التي قال فيها الإمام أحمد: لا يُتبع إلا القرآن والحديث.

وقالها الإمام الشافعي كذلك.

وقال الإمام أحمد في رسالته في السنة لعبدوس العطار كما رواه ابن أبي يعلى في الطبقات: **ليس في السنة قياس، ولا تضرب لها الأمثال، ولا تدرك بالعقول.**

العقيدة ما تدرك بالعقول.

والمقصود: أنه لا يكون العقل والقياس هو المصدر في الحكم على الله، في صفةٍ من صفاته أو ما يتعلق بالقدر أو أسمائه عز وجل.

أما أن العقل وسيلة يُدرك بها ويُفهم بها الكتاب والسنة فلا شك، ولذلك العقل مناط التكليف.

وقوله: ولا تدرك بالعقول، يعني: بالقياس.

ثم يقول المصنف: ولا يُضرب لها الأمثال، ولا تُتبع فيها الأهواء.

الأهواء ما يهواه الشخص، سواءً ظن أنه حق، أو هواه لأجل أنه مذهبه أو ما نشأ عليه من نحلةٍ، لا تتبع، إنما التقديس والتعظيم والاتباع للكتاب والسنة؛ لأن ما يتعلق بعلم العقيدة لا يُؤخذ إلا عن الله ورسوله، وإذا أدخلنا العقول والقياس أدخلنا التشريع، ولا يمكن إلحاق النظير بنظيره؛ لأن هذا يتعلق بأسماء الله وصفاته، والله لا تُعلم أسمائه وصفاته إلا منه عز وجل، ولذلك قال عز وجل: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

قطعًا للتمثيل والتشبيه والقياس، وهذه أدوات القياس: التشبيه والتمثيل؛ إلحاق النظر بنظيره.

وقال: ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ [النحل:٧٤] النظراء، حتى تقولوا: صفته كذا؛ لأن كذا.

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن الذي يُنفى من القياس هو قياس التمثيل وقياس الشمول، وأما قياس الأولى من الكمال فهذا يقول إنه يجوز، ليس من باب القياس ولكن من باب أن كل كمالٍ مطلقٍ لا قدح فيه ولا نقص فيه فالله أولى به.

كل كمالٍ مطلقٍ لا نقص فيه فالله أولى به، ولك عيبٍ فالله أولى أن يُنزه عنه.

وهذا الأصل ليس لأجل أنه افترضه العلماء؛ لا؛ لأنه دل عليه الكتاب والسنة.

فمثلًا قوله عز وجل: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ﴾ [الحشر:٢٣].

القدوس، أصل التقديس في اللغة: التنزيه والتطهير.

والسلام من السلامة.

هذه أسماء الله دلت على صفة القداسة، والقدسية، ودلت على صفة السلامة؛ فهو مقدسٌ عن كل نقصٍ وعيبٍ.

فإذن كل نقصٍ وعيبٍ فالله منزه عنه من باب أولى.

وكذلك: السلامة، واسم السلام يدل على السلامة من كل عيبٍ ونقصٍ.

فهنا نقول: من باب الأولوية، من كل عيبٍ ونقصٍ، فالله ينزه عنه، وهو الذي دل عليه الكتاب والسنة.

وكذلك: الأولوية بالكمال، فإنه من أسمائه القيوم والأحد والصمد، هذه الأحدية والصمدية والقيومية تدل على الكمال المطلق، فكل كمالٍ مطلقٍ لا نقص فيه فالله أولى به.

قال: وهو، أي: السنة التصديق بآثار رسول الله ﷺ بلا كيف ولا شرح، يعني: ما جاء عن النبي ﷺ فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته وفي العقدية وفي القدر، بلا كيفٍ ولا شرحٍ، وشرح يعني: تفسير خارج عن الظاهر.

لماذا نفوا الكيفية والشرح؟

لأنه وُجد من يشرحه على خلاف الظاهر.

السلف يقولون في الأسماء والصفات: أمروها كما جاءت.

كما فهمها الصحابة، يعني: لما قال النبي ﷺ «عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ خَيْرِهِ» فقال: رجلٌ يا رسول الله، أويضحك ربنا. قال: «نعم» قال: لن نعدم من ربٍّ يضحك خيرًا[٥٦].

وفي رواية: «يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ يَدْخُلانِ الْجَنَّةَ، يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ عَلَى الْقَاتِلِ فَيُسْتَشْهَدُ»[٥٧]

الرجل فهم على ظاهر النص، لكنه منزه، يعلم أنه منزه، ليس كمثله شيء، لا يشبه خلقه، لكن لما يأتي ويشرحها شخص على خلاف ظاهرها.

أما أقر النبي ﷺ للأعرابي هذا السؤال.

وجاء هذا من حديث أبي هريرة وعائشة وأحاديث أخرى، وله نظائر كثيرة.

وأقره النبي ﷺ على هذا السؤال، ما قال له: لا تشبه، ولا قال له: معنى آخر غير الذي تفهمه، بل أقره على ذلك وقال: «نعم»، فقال الأعرابي: لن نعدم من ربٍّ يضحك خيرًا.

أقرب الصفة، وأقر بلازمها، ولازمها: لزوم الخير، إذا كان يضحك إذن يرضى، فأقر بالصفة نفسها، وأقر بلازمها وهو الرضى.

فلما يأتي شخص ويصرف الصفة، يقول: لا تقل أنه يضحك على ظاهرها، بل المقصود به الرضى فقط.

أنقص المعنى، وشرحه شرحًا أخرجه عما فهمه الصحابة، وأقره به النبي ﷺ، ورواه وبينه، أنه على ظاهره؛ لأن الرجل قال: أيضحك؟ إذن هنا صفة سأل عنها، فأقره عليها.

وهكذا لما يقول عز وجل: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه:٥].

---

(٥٦) أخرجه ابن ماجه: كتاب المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية (١٨١)، وضعفه الألباني في «ضعيف ابن ماجه».

(٥٧) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد، باب الكافر يقتل مسلمًا ثم يسلم (٢٨٢٦)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة (١٨٩٠)، من حديث أبي هريرة.

نقول: كما قال الله، استوى، لكن استواءً يليق بجلاله، لا يشبه الخلق، لأن الله ليس كمثله شيء، كما أنه سميعٌ بصيرٌ، كما قال عز وجل، لذلك هذه الآية، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، يقول العلماء: هذه قاعدة في الرد على المشبهة والرد على المعطلة.

المعطلة: الذين يعطلون، يخلون الصفات عن الله، أقر فيها وثبّت أنه سميع بصير، ولكن ليس كمثله شيء، حتى لا يشبه أحد سمع الله وبصره وصفاته بغيره أو بخلقه، فإن الله قطع ذلك عليهم.

وهذا الأمر ضرب له العلماء مثالين، كما ذكر شيخ الإسلام في التدمرية وفي غيرها:

المثال الأول: الروح.

الروح بين جنبيك، لكن هل تعرف كيف صفتها، ألا تقر أنها تذهب وتجيء؟ وتخرج وتعود؟ وأنها تتألم وتفرح؟ وأنها تتأثر بالعوارض؟ ألا تقر بذلك.

ولها صفة، ولها حياة، لكن كيف ذلك؟

لا نعلم؛ لأن الله قال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:٨٥].

قف، هذا خلقٌ من خلق الله لا تعلم عنه شيئًا، لا تعلم إلا أنه حقيقة، ولها صفات حقيقة، ولها أحوال حقيقة، فليس لك إلا الإقرار بذلك.

لا تقل: مجازية، بل حقيقة.

هذا مثال واضح.

المثال الثاني: نعيم الجنة.

أما ذكر الله نعيم الجنة؟ وذكر فيها فاكهةً ورمانًا؟ وذكر فيها أنهارًا تجري من ماء، ومن عسل إلخ؟ وحوريات وكذا؟

كيف ذلك؟

قال الله في الحديث القدسي: أشهرها: بنى الله له مثله في مسمى البيت في الجنة، وأما صفته فهي داخلة تحت قول النبي ﷺ: «قَالَ اللهُ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ

خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»(٥٨)؛ يعني لا يمكن أن تتخيله؛ أي بشر؛ لو اجتمع كل البشر، وكل شخص منهم ضرب خيالًا، كل هذه الخيالات لا تصيب ما في الجنة، وهي خلقٌ من خلق الله، لا يمكن أن تصل إليها.

أليست جنة حقيقة؟ أليست حوريات حقيقة؟ وولدان مخلدون حقيقيون؟ وأنهار من لبن وخمر؟

كل هذا حقيقي، ومع ذلك يمكن أن تتخيلها؛ معاني حقيقة.

فإذا كان هذا من خلق الله وأعجزكم عن إدراكه، فكيف بصفاته عز وجل؟

المثال الثالث: ذات الله.

أليست حقيقة؟ كيف هي؟

هل يأتي شخص ويقول: ليست حقيقة، بل مجازية.

كفر وإلحاد.

كيف هي؟

لا نعملها.

صفاته كذاته، والكلام في الذات كالكلام في الذات، يُحتذى حذوه، نثبت ذاتًا حقيقةً، ونثبت صفاتًا حقيقةً لله عز وجل، ولكن لا ندري كيفيتها، أما المعنى فنثبت، سمع سمع، بصر بصر، عين عين، قدم قدم، يد يد، رحمة رحمة؛ إلخ الصفات التي جاءت، والتي لا يمكن أن نحصيها؛ لأن كل اسمٍ من أسماء الله متصمن لصفة، وقال النبي ﷺ في الدعاء الذي يدعو به العبد: «اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ: كتابك أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ

---

(٥٨) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: {فلا تعلم نفسٌ مّا أخفي لهم مّن قرّة أعينٍ} (٤٧٧٩)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٢٤).

الْعَظِيمَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجَلَاءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ حُزْنَهُ وَهَمَّهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا» [(٥٩)] ما استأثر الله به، لم يعلم به أحدًا من خلقه، وكل اسمٍ متضمن لصفة.

فمن صفات الله ما لم نسمع به ولم يعلم به أحدٌ من خلقه؛ استأثر الله به.

فلذلك يقول: بلا كيفٍ ولا شرح.

المقصود بالشرح هنا، ما يسميه الناس: التأويل، الذين يصرفون الصفة، يقولون: الاستواء الاستيلاء، حرفوا المعنى.

الذي يسميه علماء أهل السنة: التحريف.

يحرفون المعاني عما أنزل، لأن الله سماه في القرآن: التحريف، ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء:٤٦].

هذا اسمه الحقيقي.

فلذلك لما جاء رجلٌ إلى الإمام مالك كما صح عنه بعدة أسانيد مختلفة عن أصحابه، فقال له: يا أبا عبد الله، الرحمن على العرش استوى، كيف استوى؟

فسأل عن الكيفية.

فقال: الاستواء غير مجهول، يعني: معنى الاستواء غير مجهول، يعرفه الناس بلغتهم.

والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

السؤال عن الكيفية بدعة؛ لأن هذا الأمر الذي لم يطلعنا الله عليه، وهو كيفية الصفات، إنما نؤمن بمعناها على ما يليق بجلال الله، لا يشبه خلقه؛ لأن الله قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

---

(٥٩) أخرجه أحمد (٣٧١٢)، من حديث عبد الله بن مسعود، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٩٦)، وقال: «رواه أحمد وأبو يعلى والبزار... والطبراني، ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني، وقد وثقه ابن حبان»، والحديث أعله الدارقطني في «العلل»، وقال: «أبو سلمة الجهني لم يتبين لأئمة الجرح والتعديل من هو؛ فهو في عداد المجهولين» وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٩٩).

فهذا معنى كلامه: بلا كيفٍ ولا شرح، قال العلماء: المراد به الشرح الذي يصرفه عن ظاهره.

قال: ولا يقال لم ولا كيف؟

لا يأتي شخص ويقول: لم قدر الله كذا، في القدر؟ لم قال كذا؟ لما أمر بكذا؟ لم جعل الشريعة كذا؟ لم جعل الحكم كذا؟

لا، نقول: سمعنا وأطعنا.

ولذلك لما أنزل الله في قوله: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٨٤]، يعني: حديث النفس.

قَالَ: فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ، فَقَالُوا: أَيْ رَسُولَ اللهِ، كُلِّفْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ، الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْجِهَادَ وَالصَّدَقَةَ، وَقَدِ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةُ وَلَا نُطِيقُهَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ»، قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ، فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ، ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِي إِثْرِهَا: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة:٢٨٥] [البقرة: ٢٨٥]، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللهُ تَعَالَى.

اعتراض على التشريع، فقالوا: سمعنا وأطعنا أول الأمر يعودون أنفسهم حتى استقرت أنفسهم على ذلك، ورضوا، لأن أول الأمر بنوعٍ من التشاق أو إظهار الأمر شاق على أنفسهم.

فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾ [البقرة:٢٨٦] قَالَ: «نَعَمْ» ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ﴾ [البقرة:٢٨٦] قَالَ: «نَعَمْ» ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ﴾ [البقرة:٢٨٦] قَالَ: «نَعَمْ» ﴿وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٨٦] قَالَ: «نَعَمْ».

هذا الشرع الذي أنزله، آمنوا به، وصفهم بأنهم آمنوا به: ﴿وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥].

لأنهم قالوا هذه الأدعية فاستجاب الله لهم، كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة، وكذلك من حديث ابن عباس «قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: قَدْ فَعَلْتُ»[٦٠] أي: عفوت عن ذلك، ولا آؤاخذكم بما نسيتم ولا بما حدثت به أنفسكم، ولا بما أخطأتم.

فهنا الواجب على العبد أن يقول: سمعنا وأطعنا، لا يقول: لم ولا كيف؟ فيما يتعلق بالعقيدة والسنة.

---

(٦٠) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أنه سبحانه لم يكلف نفسًا إلا وسعها (١٢٦)، من حديث ابن عباس.

(١٠) والكلام والخصومة والجدال والمراء محدث يقدح الشك في القلب، وإن أصاب صاحبه الحق والسنة.

الشرح:

صدق رحمة الله عليه.

لأن الكلام، يعني: علم الكلام؛ الخصومات، وإدخال علم الكلام في السنة، والجدال المراء، محدثٌ، بدعةٌ، ما كان السلف يفعلون ذلك.

بل لما أصبحوا يسألون، منعوا من السؤال، قال عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴾ [المائدة:١٠١].

يقول ابن عباس: **فما سألوا رسول الله إلا بضعة عشر مسألة.**

خلاص؛ لأن الله نهاهم عن ذلك.

ولما تحاوروا في القدر، نزع رجلٌ بآيةٍ ونزع رجلٌ بآيةٍ، خرج عليهم النبي ﷺ كأنما فقأ في وجهه حب الرمان، وقال: «**أَبِهَذَا أُمِرْتُمْ، أَمْ بِهَذَا أُرْسِلْتُ إِلَيْكُمْ؟ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حِينَ تَنَازَعُوا فِي هَذَا الْأَمْرِ، عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ أَلَا تُنَازِعُوا فِيهِ، فَإِنَّ مِرَاءًا بِالْقُرْآنِ كُفْرٌ**»(٦١).

لذلك المراء والجدال في تعارض الآيات، ودلالاتها فيما يتعلق بالعقيدة والخصومة في ذلك محدث؛ ما كان السلف يفعلونه.

هذه الآيات مثل ما قال عمر بن عبد العزيز، لما سئل عن القدر؛ قال: هذا أسهل مسألة، أسهل قضية أحدثتموها، كتب له رجل يسأله عن القدر وهو الخليفة، قال: أمره في الكتاب والسنة بين، الأدلة على القدر، ولكن يقول: إن السلف قرؤوا من كتاب الله ما قرأتم، فسمعوا وسلموا وأقروا، ولم يكن

---

(٦١) سبق تخريجه.

عندهم في ذلك شك، أين النقل عنهم في التجادل في هذه الآيات، فيما يتعلق بالأسماء والصفات، لماذا ما نُقل عنهم الخصومة، وهو الجدل؟

وإنما هو التسليم، هذا الذي أُمرنا باتباعه.

فإذا رأيت الرجل يكثر الجدل فاعلم أنه صاحب هوى وفتنة، نسأل الله العافية والسلامة.

ولذلك العقيدة مسلمة، مجمع عليها، النصوص دالة عليها، ما تحتاج إلى جدال، وإنما هي تسليمٌ لأن الله يقول: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥].

وللمصنف رَحِمَهُ اللَّهُ كلامٌ آخر يقول: واعلم أنها ما كانت زندقةٌ قط، ولا كفرٌ ولا شكٌ ولا بدعةٌ ولا ضلالةٌ ولا حيرةٌ في الدين إلا من الكلام وأصحاب الكلام، والجدال والمراء والخصومة والعجب، وكيف يجترئ الله على المراء والخصومة والجدال والله تعالى يقول: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [غافر:٤]، فعليك بالتسليم والرضا بالآثار وأهل الآثار والكف والسكوت.

ولذلك يقول المصنف هنا: والمراء محدث يقدح الشك في القلب.

صحيح؛ لأن الشيطان يجد له مجالًا في الدخول.

أما قال النبي ﷺ: «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزَنْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ؛ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا، لَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ (لَوْ) تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»(٦٢)

إذن إذا بدأت في الشك أو الجدال؛ لأن الجدال مبني على وجود شكوك، فيبدأ الجدال في العقيدة، فعند ذلك يدخل الشيطان من أوسع الأبواب، ويلقي الشبهات والشكوك، حتى يصبح الرجل وليس عنده إيمان من كثرة من دخل عليه من ورادات الشكوك، نسأل الله العافية والسلامة.

ولذلك كان الإمام مالك ينهي عن الجدال نهيًا شديدًا.

---

(٦٢) أخرجه مسلم: كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة (٢٦٦٤).

يقول إسحاق بن عيسى: سمعت مالك بن أنسٍ يعيب الجدال في الدين، ويقول: كلما جاءنا رجلٌ أجدل من رجلٍ تركنا ما جاء به جبريل إلى محمدٍ ﷺ لجدله.

كما رواه الدارمي واللالكائي وغيرهم.

وقال أبو ثور رَحِمَهُ اللَّهُ فيما يرويه عن الشافعي أنه قال: كان مالك بن أنس إذا جاءه بعض أهل الأهواء، يعني: يجادلونه، قال: أما إني على بينةٍ من ربي وديني، وأما أنت فشاكٌّ فاذهب إلى شاكٍّ مثلك فخاصمه.

يعني: ما تدخل على الإنسان إلى بسبب الشكوك.

ولذلك لما جاء رجل إلى الإمام مالك وقال يا أبا عبد الله إني أريد أن أكلمك، يعني: جدال، قال: فإن غلبتني؟ قال: تتبعني. قال: فإن غلبتك؟ قال: أتبعك، قال: فإن جاءنا ثالث وغلبنا؟ قال: نتبعه. فقال: كل يوم لنا دين؟ وندع ما جاء به محمدٌ ﷺ لجدلك، اذهب وابحث عن شاكٍّ مثلك.

الراسخ في العلم ما يحتاج إلى جدال، الكتاب والسنة بينة، تحتاج إلى تسليم، ولجوء إلى الله، وكثرة دعائه، كما نبه عليه أهل العلم، منهم شيخ الإسلام ابن تيمية في الوصية الصغرى، وغيرها.

يقول المصنف في بعض المواضع: وإذا سألك أحدٌ عن مسألةٍ في هذا الكتاب وهو مسترشد، يعني في مسائل العقيدة، قال: فكلمه وأرشده.

لأنه قد يأتي يسأل سائل يقول: والذي يريد أن يستفتي أو يسترشد.

يقول: كلمه وأرشده، لا بأس.

وإذا جاءك يناظرك فاحذره، فإن في المناظرة المراء والجدال والمغالبة والخصومة والغضب، وقد نُهيت عن هذا جدًّا، يُخرجان جميعًا من طريق الحق، ولم يبلغنا عند أحدٍ من فقهائنا وعلمائنا أنه ناظر أو جادل أو خاصم.

قال الحسن، يعني البصري: الحكيم لا يماري ولا يداري، حكمته ينشرها إن قُبلت حمد الله، وإن رُدت حمد الله.

ولذلك جاء رجلٌ من أصحاب الإمام أحمد فقال: يا أبا عبد الله، إني أكون في المجلس فيتكلم المبتدع، أفأرد عليه؟ قال: بين السنة، واسكت. قال: أفأجادله؟ قال: إنك رجلٌ مخاصمٌ.

يعني: تحب الخصومة.

لأن السنة واضحةٌ بينةٌ إن قبلها فالحمد لله، وإن لم يقبلها اسلم منه أنت حتى لا تقع في لشبهات.

ولذلك جاء رجلٌ من أهل البدع القدرية في البصرة، قال: أقرأ عليه آية. قال: ولا نصف آية، فبدأ يقرأ العنيد هذا، فوضع أصابعه في أذنه، حتى خرج، فقالوا له: يا أبا بكر، ما يضرك إن ناظرته؟ قال: خشيت أن يحرفها فيقر في قلبي.

وهو من هو، ابن سيرين الإمام فقيه البصرة.

وجاءه رجلٌ ودخل عليه في بيته قال: إني أريد أن أناظرك؟ قال: لا تناظري، إما تخرج أو أخرج، فبدأ الرجل يناظر، فقال ابن سيرين: إن لم تقم أقوم أنا. فقالوا للرجل: قم، اتق الله، لا تخرج الرجل من بيته.

هكذا كان السلف، وسيأتي مزيد من هذا في آخر الكتاب.

(١١) واعلم – رحمك الله – أن الكلام في الرب محدث، وهو بدعة وضلالة، ولا يتكلم في الرب إلا بما وصف به نفسه في القرآن، وما بين رسول الله ﷺ لأصحابه، وهو – جل ثناؤه– واحد ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

الشرح:

يقول: الكلام في الرب محدث؛ المتكلمون لما بدأوا يتكلمون في الله بكلامٍ غير ما جاء به الكتاب والسنة، ويحدثون أشياء، قال: هذه كلها بدع، ما يجوز الكلام فيها، وهو بدعةٌ وضلالةٌ، ولا يتكلم في الرب إلا بما وصف ولا يتكلم في الرب إلا بما وصف به نفسه في القرآن، وما بين رسول الله ﷺ لأصحابه،

الله قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف:١٨٠].

وذكر أسمائه كثيرة: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤].

والآيات كثيرة في الأسماء والصفات: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الأنعام:١٣٣].

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس:١٠٧].

هذه نتكلم بها؛ لأن الله هو الذي تكلم بها، ونهانا أن نتجاوز ذلك، فقال: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [النحل:٧٤].

لأن الإنسان متى يستطيع أن يتوسع إذا كان يعرف عن الله أكثر مما في الكتاب والسنة، ولا يمكن ذلك لأحدٍ، ولذلك قال الإمام أحمد والشافعي وغيرهم: لا يوصف الله إلا بما وصفه به نفسه أو وصفه به رسوله، لا يتجاوز القرآن ولا الحديث.

هي التي يقول العلماء: توقيفية، أي: نتبع ونقف مع الكتاب والسنة.

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ في «التمهيد»: (**أهل السنة مجمعون** -هذه حكاية الإجماع - **على الإقرار بالصفات الواردة كلها في الكتاب والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئًا من ذلك، ولا يحدون فيه صفةً محصورةً، وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة والخوارج، فكلهم ينكرها** -ينكرون الصفات- **ولا يحملون شيئًا منها على الحقيقة**) يقولون: الأسماء والصفات هذه مجازية، ليست صفات حقيقة، وهذا خلاف أهل السنة والجماعة، مجمعون على أنها صفات حقيقة وأسماء حقيقة).

قال: (**ويزعمون أن من أقر بها مشبه**) يزعمون أمن من يثبت الأسماء والصفات مشبه، هذا قول المعتزلة والخوارج والجهمية).

قال: (**وهم عند من أثبتها نافون للمعبود**).

أهل السنة والجماعة يقولون: إن من ينفي صفات المعبود هو في الحقيقة ينفي المعبود، لأن الذي له صفات هو المعدوم، كل موجودٍ لابد له من صفة، أقل ما هنالك صفة الوجود، فإذا قالوا: لا يوصف بأنه حي، سبحان الله، ينفون عن الله صفة الحياة، كيف هذا يكون؟

هؤلاء المعتزلة والجهمية ينفون ذلك.

فإذن هم في الحقيقية كما قال يحيى بن سعيد القطان وغيره: القوم يدورون على أنه ليس في السماء إله.

ينفون الإله، لكن بدل ما يلحدون ويقولون: ما فيه إله، مثل الملاحدة، أخذوا يمنةً ويسرةً في نفي الصفات.

نسأل الله العافية والسلامة.

يقول: (**وهم عند من أثبتها** -يعني السلف- **نافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله، وهم أئمة الجماعة، والحمد لله**)[٦٣] .

---

(٦٣) التمهيد (٧/ ١٤٥).

أئمة الجماعة يعني السلف.

ذكرنا لكم فيما مضى، فيما ذكره شيخ الإسلام وابن عبد البر يسمون أهل السنة بالجماعة.

ربنا أول بلا متى، وآخر بلا منتهى، يعلم السر وأخفى، وهو على عرشه استوى، وعلمه بكل مكان، ولا يخلو من علمه مكان.

ربنا أول بلا متى، لا ابتداء له، وهو الذي يقوله العلماء: أولٌ بلا ابتداء، وآخرٌ بلا انتهاء.

كما قال عز وجل: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد:٣].

محيطٌ بكل شيء، أولية وآخرية، هذه في الزمان.

وظاهرية وباطنة، هذه في المكان.

أولية وآخرية، إحاطة زمان، وظاهرية وباطنية إحاطة مكان، محيطٌ بكل شيء عز وجل.

وفسر هذا النبي ﷺ كما في صحيح مسلم، كان النبي ﷺ إذا آوى إلى فراشه، «**اللهم رب السموات السَّبْعِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى مُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ**»(٦٤).

فهذا تفسير واضحٌ مفسر لهذه الأولية.

ولذلك الآية: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾ قال: ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾، إحاطته بالعلم.

قال: ﴿ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [طه:٧]، وهو على عرشه استوى، كما في القرآن في سبعة مواضع، قال: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه:٥]، استواءً حقيقيًا يليق بجلاله، ولم يأت ولا مرة لا في القرآن ولا في السنة ولا في كلام الصحابة ولا في التابعين تفسير استوى بغير ظاهرها، إنما على ظاهرها، ولكنه بما يليق بجلاله.

---

(٦٤) أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع (٢٧١٣).

قال: وعلمه بكل مكان، ولا يخلو من علمه مكان، علمه محيطٌ بكل شيءٍ، علمه في كل مكان، أما هو ففي العلو تبارك وتعالى.

ولذلك في صحيح مسلم، لما أراد رجلٌ أن يعتق جاريةً، قال النبي ﷺ: أتني بها، هل هي مسلمة تستحق العتق أما لا؟ فقال لها: «أَيْنَ اللهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ قَالَ: «مَنْ أَنَا؟» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ قَالَ: «هِي مُؤْمِنَةٌ فَأَعْتِقْهَا»(٦٥).

هذا في صحيح مسلم وموطأ الإمام مالك وغيرها من الكتب والسنن.

الآن من الأشاعرة ومن الجهمية والخوارج والمعتزلة كلهم يقول: لا يجوز أن تقول: أين الله؟ هذا واحد.

ولا يجوز أن تقول: في السماء.

طيب، النبي ﷺ قال: «أين الله؟» نتبعكم أم نتبع رسول الله؟ بالأسانيد الصحيحة عنه، ولما قالت الجارية: في السماء، قال ﷺ: مؤمنة.

وهؤلاء يقولون: من قال في السماء فهو كافر.

عجيب أمر هؤلاء الناس، رسول الله يقول: مؤمنة، نصدقكم أم نصدق رسول الله؟

نصدقكم ونكذب القرآن؟

الله عز وجل يقول: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦].

من في السماء، بمعنى: في العلو، أو بمعنى: فوق السماء.

في، أصلها للظرفية، وتأتي بمعنى فوق وعلى.

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك:١٥] في الآية التي قبلها.

يعني: داخلها ولا فوقها؟

فوقها؛ إذن في تأتي بمعنى فوق.

(٦٥) أخرجه مسلم: كتاب المساجد مواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته (٥٣٧).

وفي قوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه:٧١].

بمعنى: على جذوع النخل.

إذن تأتي في السماء بمعنى على السماء، إذا كان المقصود بالسماء هذا السقف، كما قال تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ [الأنبياء:٣٢] يعني: فوق السماء.

وإذا أخذنا معنى السماء بمعنى السمو والعلو؛ لأن السماء، كل علوٍّ، هذا يسمى سماءً، قال عز وجل: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾ بحبل ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾ [الحج:١٥].

يعني: السقف، فيسمى سماءً؛ لأنه علو.

ولذلك الناس يقولون: أصحاب السمو، يعني: أصحاب العلو والرفعة.

فقوله: ﴿مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦] أي: في العلو، الله يقول هو في العلو، فنأتي نقول: لا، ما هو في العلو؟ هل يمكن هذا؟

أجمع الصحابة على ذلك.

والفطرة تدل عليه، ما يمكن لشخص يدعو إلى وقلبه يتجه إلى السماء، فطر الله الناس على هذه الفطرة الصحيحة، فجاء المعطلة ونفوا ذلك.

ولذلك ذكروا عن أبي المعالي الجويني أنه يثبت أن الله في كل مكانٍ وليس في السماء، ويحاول، فأخذ يتكلم بكلامٍ طويل في محاضرة، فقال له أبو العلاء الهمداني: دعنا من هذا، وفسر لنا ما نجده في أنفسنا إذا دعونا الله وتجوهنا قلوبنا اتجهت إلى السماء، ما نستطيع، هذا الشيء ما هو بأيدينا.

فضرب رأسه بيديه، وقال: حيرني الهمداني، حيرني الهمداني.

يعني: أورد علي شيئًا لا أجد جوابًا عنه.

﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم:٣٠].

(١٢) ولا يقول في صفات الرب: كيف؟ ولم؟ إلا شاك في الله.

الشرح:

صحيح، ما دام شخص يأتي ويقول: لم في السماء؟ لم في العلو؟ لم ينزل؟ وكيف ينزل؟

هذا شكاك، وعنده من الشكوك ما ملأ قلبه.

ولذلك لما قالوا: جاء رجلٌ، وهو الرازي، وهو شيخ مشهور، والحقيقة مذهب الأشاعرة الذي بناه وأصله هذا التأصيل هو الرازي، الذي حوله من مذهبٍ قريبٍ إلى السنة إلا مذهبٍ منحرفٍ إلى البدعة وإلى قول المعتزلة وما شابهه هذا الرجل، ثم في النهاية ندم، وقال: وجدت أقرب الطريق إلى كذا، طريقة القرآن، أقول: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠] ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦]، أقر في النهاية ورجع عند موته، نسأل الله أن يعفو عنه وعنه.

هذا الرجل مر في طريقٍ ومعه موكب كبير من الطلبة ومن الناس؛ لأنه كان له شأنٌ كبيرٌ في بلاد الري، فإنه فقيه كبير وأصولي كبير، فقالت: امرأةٌ عجوز: من هذا؟ قالوا: هذا الرازي أبو عبد الله، ما تعرفينه، الذي أثبت وجود الله بألف دليل. قالت: والله لو ما عنده ألف شك ما بحث عن ألف دليل.

ما يحتاج، القضية إلى أكثر من؛ انظر إلى العوام من المسلمين ومن الكفار، هل يشكون في وجود الله؟

الملاحدة قليل، ويعاندون أنفسهم معاندة.

فهنا يقول: لا يقول في صفة الرب كيف ولم؟ إلا شاكٌّ في الله.

نسأل الله العافية والسلامة.

(١٣) والقرآن كلام الله وتنزيله ونوره، ليس بمخلوق؛ لأن القرآن من الله، وما كان من الله فليس بمخلوق، وهكذا قال مالك بن أنس وأحمد بن حنبل والفقهاء قبلهما وبعدهما، والمراء فيه كفر.

الشرح:

القرآن كلام الله، كما نص الله على ذلك.

قال: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ﴾ [التوبة:٦].

يعني: القرآن، ما يحتاج إلى مزيد كلامٍ، لكنهم شكوا فيه، وهذا محل إجماع بين السلف، ودل عليه الكتاب والسنة، ولكن شك فيه الجهمية، وقالوا: ما تكلم الله، وما يتكلم.

طيب: الله يقول يتكلم، والرسول أنه يتكلم، وأخبر النبي ﷺ بالأحاديث الصحيحة المتواترة أن الله ينادي يوم القيامة كما في صحيح البخاري ومسلم، يقول: «أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ»، الحديث(٦٦).

والله أخبر أنه كلم الملائكة، وكلم إبليس.

﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ﴾ [البقرة:٣٠].

وأخبر أنه يوم القيامة يتكلم ويقول ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة:١١٦].

وأخبر أنه كلم موسى، وقربه نجيا، وقربناه، وناجاه، وكلمه من الشجرة، ولما سمع كلامه عز وجل، قال الله: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه:١٤].

هم يقولون: الذي تكلمت الشجرة.

هل الشجرة تقول: فاعبدني؟ يعبد موسى الشجرة؟

سبحان الله.

---

(٦٦) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج (٣٣٤٨)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب قوله: يقول الله لابن آدم: أخرج بعث النار من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين (٢٢٢).

وموسى كليم الله، أيش الفرق بين موسى وغيره إذا قلنا أن الله لا يتكلم.

وقال الله عز وجل: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢٥٣].

وقال: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف:١٤٣].

يدل على ذلك أكثر من عشرات الأدلة، وهم يقولون: الله لا يتكلم، والقرآن ما هو كلام الله.

أما قال المشركون: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل:١٠٣] وقالوا: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ [المدثر:٢٥].

فرد عليهم وبين أنه كلامه ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء:١٩٢ - ١٩٥].

هم يقولون: ما هو كلام الله، هو كلام بشر، كلام محمد أو كلام جبريل.

نعوذ بالله.

قال: ليس بمخلوق.

لأنهم يقولون: مخلوق، خلقه الله في الشجرة، ونحو ذلك.

تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

قال: لأن القرآن من الله وما كان من الله فليس بمخلوق.

صفة الله ليست بمخلوقة، هكذا قال مالك وأحمد، صرحوا بهذه الكلمة: القرآن من الله، وما كان من الله ليس بمخلوق.

وهذه محل إجماع بين السلف والأئمة الأربعة وغيرهم.

(١٤) والإيمان بالرؤية يوم القيامة، يرون الله بأبصار رؤوسهم، وهو يحاسبهم بلا حجاب ولا ترجمان.

الشرح:

قال عز وجل: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ ﴾ [يونس:٢٦].

والزيادة فسرها النبي ﷺ بأنها الرؤية، رؤية الله يوم القيامة.

وقال عز وجل: ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣ ﴾ [القيامة: ٢٢ – ٢٣].

من النضرة، ﴿ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ٢٤ ﴾ [المطففين:٢٤].

إلى ربها ناظرة، تنظر إلى الله، الله يمدحهم بذلك.

وذم الله المشركين قال: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥ ﴾ [المطففين:١٥].

إذا كان الكفار محجوبون عن الله، فميزة المؤمنين أنهم لا يحجبون عن الله، يرونه؛ ولذلك استدل بها الإمام مالك والشافعي، كما قال المزني، جاءت الشافعي رقعة من الصعيد يُسأل فيها عن الرؤية، فكتب هذه الآية، قال: إذا كان حجب أعداءه إذن تجلى لأوليائه.

والأدلة على هذا كثيرة.

كما قال النبي ﷺ في الصحيحين: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**»[٦٧] يقول العلماء: المقصود تشبيه الرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي؛ لا يُشبه القمر بالله، لا؛ إمكانية الرؤية؛ القمر إذا طلع الناس يتمكنون؛ كلٌّ ينظر إليه، لا يحتاجون إلى ضيام، يقول شخص: أَخِّر عَنِّي؛ لا؛ الجميع ينظر إلى السماء.

النبي ﷺ يقول إنكم جميعًا سترونه، أهل الجنة، وهذا نعيم لأهل الجنة، فكيف نحرمهم إياه، وهذا ينكره أهل البدع، ويثبته أهل السنة إجماعًا بنصوص الكتاب والسنة والإجماع.

---

(٦٧) أخرجه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر (٥٥٤)، ومسلم: كتاب المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما (٦٣٣).

قال: وهو يحاسبهم بلا حجابٍ ولا ترجمان، كما جاء في الأحاديث الكثيرة، مثل حديث عديّ وغيره،: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَسَيُكَلِّمُهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» (٦٨) في الصحيحين.

فدل على أنه يكلمهم الله، ويسمعون كلامه.

(٦٨) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب كلام الرب -عَزَّ وَجَلَّ- يوم القيامة مع الأنبياء (٧٥١٢)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة (١٠١٦).

(١٥) والإيمان بالميزان يوم القيامة، يوزن فيه الخير والشر، له كفتان ولسان.

الشرح:

الميزان يوم القيامة، دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف.

خالف فيه المعتزلة والخوارج، فأنكروا الميزان.

والله نص عليه في كتابه قال: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [الأنبياء:٤٧] نص أنها موازين.

وقال: ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٠٢ – ١٠٣].

والدلائل من الكتاب والسنة تدل على ذلك، والإجماع.

وحديث أنه «يُؤْتَى بِالرَّجُلِ الثَّمِينِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَلَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ»(٦٩).

لا نطيل فيها؛ لأنها من المعلوم عند أهل السنة.

يوزن فيها الخير والشر، يعني: أعمال العباد.

وله كفتان ولسان، هذه صفته، يعني: أنه ميزان حقيقي، كما جاء في بعض الآثار، اللسان الشعيرة التي تدل على الوزن، كفتان، كفة لوضع الأعمال الحسنة وكفة لوضع الأعمال السيئة، واللسان بينهما يعدل إلى أين ثقلت، كما في حديث الشخص الذي يُخلص يوم القيامة، قال ﷺ: «إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لا يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لا يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً فَإِنَّهُ لا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ. فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ. فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ

---

(٦٩) أخرجه البخاري: كتاب التفسير، باب أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم (٤٧٢٩)، ومسلم كتاب صفة القيامة والجنة والنار (٢٧٨٥)، من حديث أبي هريرة.

مَعَ هَذِهِ السِّجِلاتِ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ لا تُظْلَمُ. قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلاتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، فَلا يَثْقُلُ مَعَ اللهِ شَيْءٌ»(٧٠).

نسأل الله أن يرحمنا برحمته.

فدل على أنه ميزان حقيقي، بخلاف ما قالت المعتزلة، قالوا: مجرد العدل.

لكن الله أخبر انه ميزان، فنؤمن به، نصدق خبر الله وخبر رسوله ﷺ.

---

(٧٠) أخرجه الترمذي: كتاب الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله (٢٦٣٩)، وابن ماجه: كتاب الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة (٤٣٠٠)، من حديث عبد الله بن عمرو، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٧٦).

(١٦) والإيمان بعذاب القبر، ومنكر ونكير.

الشرح:

أي: من السنة أيضًا، من العقيدة الإيمان بعذاب القبر، هذا الذي أجمع عليه السلف، ودل عليه الكتاب والسنة، بخلاف المعتزلة الذين أنكروا عذاب القبر، وقالوا: القبر ما فيه شيء، ما يكون لله يوم القيامة، إنما القبر يكون مرحلة بين الحياة الدنيا والبعث.

وهذا غير صحيح.

الله عز وجل يقول في آل فرعون: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر:٤٦].

فهم في القبر يُعذبون غدوًّا وعشيًا في هذه الحياة الدنيا.

وأخبر النبي ﷺ والأحاديث متواترة عن النبي ﷺ بعذاب القبر، وأن من أسباب عذاب القبر الذي لا يستنزه من البول، وهذا في الصحيحين.

وقال:: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» (٧١).

وحديث البراء، وأبي هريرة، وعائشة، وأسماء، الأحاديث كثيرة متواترة في عذاب القبر.

ونحن نقول في الصلاة نقول: «اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَعَذَابِ النَّارِ، وَفِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَشَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ» (٧٢).

إذن هناك شيء دلت عليه دلائل الكتاب والسنة وإجماع السلف، ولا ينكره إلا من يستحق أن يعاقب.

كذلك: منكر ونكير، يعني الملكين الذين يسألان العبد في قبره، يقال لأحدهما المنكر، والآخر النكير، «فَيَقُولَانَ لَهُ مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ رَبِّيَ اللهُ. فَيَقُولانِ لَهُ مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ دِينِي الإِسْلامُ. فَيَقُولانِ لَهُ مَا

---

(٧١) أخرجه مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه (٢٨٦٧).

(٧٢) مسلم: كتاب المساجد، باب ما يستعاذ به في الصلاة (٥٨٨ / ١٣٢).

هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ هُوَ رَسُولُ اللهِ. فَيَقُولانِ لَهُ وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ. فَيُنَادِى مُنَادٍ فِى السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الجَنَّةِ»[٧٣] هذه أحاديث في الصحيحين وغيرهما معروفة.

(٧٣) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر (٤٧٥٣)، والنسائي: كتاب الجنائز، باب الوقوف للجنائز (٢٠٠١)، وابن ماجه: كتاب ما جاء في الجنائز، باب ما جاء في الجلوس في المقابر (١٥٤٩)، وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (١٣١).

(١٧) والإيمان بحوض رسول الله ﷺ، ولكل نبي حوض، إلا صالح النبي عليه السلام؛ فإن حوضه ضرع ناقته.

الشرح:

هذه أيضًا أحاديث متواترة.

ودل عليه القرآن، وهو قوله عز وجل: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر:١] ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟» فَقُلْنَا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: رَبِّ، إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ»(٧٤).

وهذا النهر الذي في الجنة يمد الحوض، يعني: يصب ماءه في الحوض، وجاءت الأحاديث المتواترة عن النبي ﷺ أن في يوم القيامة حوضًا كيزانه «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، من شرب منه فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا»(٧٥).

والأحاديث متواترة في الصحيحين وغيرها.

لا يشرب منه إلا المؤمنون، «وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا» (٧٦) إلخ ما جاء في وصفه.

وأنكره أيضًا المعتزلة.

وقال العلماء: من أنكر الحوض يوشك ألا يشرب منه.

---

(٧٤) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، باب حجة من قال البسملة في أول كل سورة سوى براءة (٩٢١).

(٧٥) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب في الحوض (٦٥٧٩)، ومسلم: كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا محمد ﷺ (٢٢٩٢).

(٧٦) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب في الحوض (٦٥٧٩)، ومسلم: كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا محمد ﷺ (٢٢٩٢)، من حديث عبد الله بن عمرو.

من أنكره في الدنيا لم يشرب منه في الآخرة، ولا يُحرم منه مؤمن؛ ما يُحرم منه إلا المرتدين.

قال: «**ولكل نبيٍّ حوض**»، هذا جاء فيه حديث، لكن إلا صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ حوضه ضرع ناقته، فهذا لا يصح، فيه حديث موضوع، رواه العقيلي وضعفه وابن الجوزي في الموضوعات وبين أنه موضوع، والظاهر أنه كغيره من الأنبياء؛ لأنه في الحديث الذي رواه ابن أبي الدنيا وغيره أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدُهُ، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدُهُ**»(٧٧) كذلك رواه الطبراني وغيره، هو حديث يبين ذلك، فمادام أنه جاء حديث أخبر أن لكل نبيٍّ حوضًا، ثم جاء حديث موضوع يقول: إن حوض صالح ضرع ناقته، فالحديث الموضوع ملغي لا عبرة به، ويبقى الحديث على عمومه، فجميع الأنبياء لهم أحواض.

---

(٧٧) أخرجه الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ما جاء في صفة الحوض (٢٤٤٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧/ ٢١٢/ ٦٨٨١)، (٧/ ٢٥٩/ ٧٠٥٣)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٥٨٩).

(١٨) والإيمان بشفاعة رسول الله ﷺ للمذنبين الخاطئين؛ في يوم القيامة، وعلى الصراط، ويخرجهم من جوف جهنم، وما من نبي إلا له شفاعة، وكذلك (الصديقون) والشهداء (والصالحون)، ولله بعد ذلك تفضل كثير فيمن يشاء، والخروج من النار بعدما احترقوا وصاروا فحما.

الشرح:

هنا يقول الإمام: بشفاعة رسول الله ﷺ.

الشفاعة للرسول ﷺ ثلاثة أنواع، يخصه منها ثلاث شفاعات، وله شفاعة يشارك فيها غيره من الأنبياء، فنقول أنواعها أربعة، فما للنبي ﷺ أربعة، ثلاثًا تخصه، ورابعة مشتركة:

أما الذي يخصه، فالشفاعة بإقامة الحساب.

هذه يثبتها السلف، ودل عليها ظواهر القرآن ونصوص السنة، وهي قوله عز وجل: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ ﴾ [الإسراء:٧٩]. بينت السنة أن المراد به مقام الشفاعة.

وهذه يقر بها الخوارج والمعتزلة؛ لأنها في إقامة الحساب.

الثانية من خصائصه ﷺ: الشفاعة في فتح باب الجنة للمؤمنين، لا يُفتح إلا على يده.

والثالثة من خصائصه ﷺ: أنه شفع في عمه أبي طالب في تخفيف العذاب عنه، لا في إخراجه من النار.

الرابعة: شفاعته التي ذكر المصنف، للمذنبين الخاطئين في يوم القيامة وعلى الصراط، ويخرجهم من جوف جهنم، هذه شفاعات له ﷺ.

وشفاعة له في رفع درجات أهل الجنة في الجنة، هذه يشفع فيها النبي ﷺ، وهذه من المشتركة، وليست من الخصائص.

والشفاعة في المذنبين نص عليها النبي ﷺ بقوله: «شَفَاعَتِي لأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»(٧٨) وهذه ينكرها الخوارج والمعتزلة، يقولون: المذنب العاصي إذا مات على عصيانه في النار خالدًا مخلد فيها لا يُشفع فيه.

وهذا ضلالٌ مبينٌ، وردٌّ لما صح عن النبي ﷺ من الأحاديث الكثيرة، أنه يخرج الجهنميون من النار، بشفاعة النبي ﷺ وشفاعة الملائكة وشفاعة الأنبياء وشفاعة المؤمنين، بل ويخرجون برحمة أرحم الراحمين، يقول الله: «شَفَعَتْ الْمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنْ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الحَيَاة فيخرجون كَمَا تخرج الحبة فِي حميل السيل»(٧٩).

المهم، أن هذه الشفاعة تُثبت.

كذلك شفاعة الأفراط، وهم أبناء من مات قبل الحلم قبل بلوغ الحلم.

---

(٧٨) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، باب في الشفاعة (٤٧٣٩)، والترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٣٥)، وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٥٥٩٨).

(٧٩) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: {وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} (٧٤٣٩)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية (١٨٣).

(١٩) والإيمان بالصراط على جهنم، يأخذ الصراط من شاء الله، ويجوز من شاء الله، ويسقط في جهنم من شاء الله، ولهم أنوار على قدر إيمانهم.

الشرح:

كذلك مما يجب الإيمان به مما جاءت به عقيدة أهل السنة والجماعة: أن الصراط مضروب على متن جهنم.

ودل على ذلك الكتاب والسنة.

من الكتاب: قوله عز وجل: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم: ٧١ - ٧٢].

هذه جاءت الأحاديث عن النبي ﷺ وعن الصحابة تبين أن المراد به المرور على متن جهنم، على الصراط.

وكذلك قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الحديد: ١٢ - ١٤].

فبين عز وجل أنهم على متن الصراط يُطفئ نور المنافقين.

وقال ﷺ كما في الصحيحين: «**وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ مِثْلَ شَوْكِ السَّعْدَانِ هَلْ رَأَيْتُمُ السَّعْدَانَ**» قالوا: نعم يا رسول الله قال: «**فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا**

يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إِلَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ فَمِنْهُمُ الْمُوبَقُ بِعَمَلِهِ، وَالمُوثَقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمُ المُخَرْدَلُ أَوِ المُجَازَى أَوْ نَحْوُهُ»(٨٠).

المهم ذكر في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة وحديث أبي سعيد أن الصراط يضرب على متن جهنم، نعوذ بالله منها، ونسأل الله الجواز وأن يحمينا من النار.

يكفي هذا.

---

(٨٠) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: {وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} (٧٤٣٨)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية (١٨٢).

إن شاء الله سيكون المرور سريعًا؛ لأن كثيرًا من مسائله التي ستأتي واضحة؛ سنمر عليها سريعًا، ولا نقف إلا مع الأشياء التي تحتاج إلى توكيد أو بيان أو كشف أو استدرك إن كان، وإن كان ذلك قليل جدًّا.

(٢٠) والإيمان بالأنبياء والملائكة.

الشرح:

الواو، هذا عطف على ما تقدم، من قوله: ومن السنة كذا، أي: من السنة الإيمان بالأنبياء وبالملائكة.

وهذا لا شك أنه من أركان الإيمان المعروفة، لقوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة:١٧٧].

فمن لم يؤمن بالأنبياء أو لم يؤمن بالملائكة كفر؛ خرج من الإسلام.

ولذلك صح عن النبي ﷺ في حديث جبريل: قال: «الإيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»[(٨١)] وهذا من حديث عمر في صحيح مسلم، ومن حديث أبي هريرة في الصحيحين.

والإيمان بما عُرف منهم بعينه، كالخمسة والعشرون المذكورون في القرآن، وأن منهم رسل، ومنهم من هو نبي رسول، ومنهم من هو نبي وليس برسول.

والفرق بين النبي والرسول: أن الرسول أُوحي إليه بشرعٍ وبُعث إلى قومٍ مخالفين.

والنبي أوحي إلي بشرعٍ وبُعث إلى قومٍ موافقين، كالمجدد لرسالة من قبله.

والإيمان بمن عُرف منهم باسمه صريحًا.

---

(٨١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ (٥٠)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان (٩) من حديث عمر.

وكذلك ما أُنزل عليهم من الكتب، كالقرآن على محمدٍ، والإنجيل على عيسى، والتوراة على موسى، وهي الصحف صحف موسى، وكذلك صحف إبراهيم المذكورة في قوله: ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى:١٩].

وكذلك الإيمان بالملائكة وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم..

وأنهم كما قال عز وجل: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر:٣١] في الكثرة والعدد وصفاتهم التي مذكورة في الكتاب والسنة.

ومن عُرف منهم باسمه منهم، كجبريل وميكائيل وإسرافيل، وملك الموت الذي يسميه الناس عزرائيل، وإن كان لم يصح فيه الحديث.

المهم هذا من الأشياء المعروفة التي لا تحتاج إلى طول وقوف.

(٢١) والإيمان بأن الجنة حق والنار حق، والجنة والنار مخلوقتان، الجنة في السماء السابعة، وسقفها العرش، والنار تحت الأرض السابعة السفلى، وهما مخلوقتان، قد علم الله عدد أهل الجنة ومن يدخلها، وعدد أهل النار ومن يدخلها، لا تفنيان أبدا، هما مع بقاء الله تبارك وتعالى أبد الآبدين، في دهر الداهرين، وآدم كان في الجنة الباقية المخلوقة، فأخرج منها بعدما عصى الله.

الشرح:

ثم قال: والإيمان بأن الجنة حقٌّ والنار حقٌّ، هذا لا شك فيه؛ لأنه من أصول الإيمان باليوم الآخر، والإيمان باليوم الآخر ركنٌ من أركان الدين، من أركان الإيمان.

والجنة والنار مخلوقتان، الآن موجودة مخلوقة.

دل على ذلك الكتاب والسنة.

قال عز وجل في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣].

وقال: ﴿وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [الحديد:٢١].

أُعدت، مجهزةٌ، معدة.

وفي الحديث القدسي: «قَالَ اللهُ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»(٨٢) وهو في الصحيحين.

وقال عن النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة:٢٤].

وقال: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾﴾ [النبأ: ٢١ - ٢٢].

مرصودة معدة.

والأدلة تدل على ذلك، والنبي ﷺ رأى الجنة، لما أُسرى به.

---

(٨٢) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: {فلا تعلم نفسٌ مّا أخفي لهم مّن قرّة أعينٍ} (٤٧٧٩)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٢٤).

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ ﴾ [النجم: ١٣ - ١٥].

رأى جبريل نزلة أخرى، عند سدرة المنتهى؛ هناك، التي عندها جنة المأوى؛ إذن هي مخلوقة وموجودة رآها النبي ﷺ.

ولذلك بين النبي ﷺ في قصة الإسراء ما يبين هذه الآية قال: « ثُمَّ رُفِعْتُ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى فَإِذَا نَبْقُهَا مِثْلُ قِلَالِ هَجَرَ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفِيلَةِ، قَالَ: هَذِهِ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ نَهْرَانِ ظَاهِرَانِ وَنَهْرَانِ بَاطِنَانِ»[(٨٣)] هذا في الصحيحين من حديث أنس.

فهي مخلوقة موجودة، وهذا محل اتفاق.

قال: الجنة في السماء السابعة، وسقفها العرش، كما قال عز وجل: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴾ [المطففين:١٨] علو، عليين؛ العلو.

وسقفها عرش الرحمن، كما أخبر بذلك النبي ﷺ.

يقول: والنار تحت الأرض السابعة السفلى، كما في الحديث، «اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّين، فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى» [(٨٤)] في حديث البراء بن عازب في قصة عذاب القبر.

المهم أن فيه أن النار في الأرض السفلى.

قال: وهما مخلوقتان، الآن.

قال: قد علم الله عدد أهل الجنة ومن يدخلها، كما في حديث عبد الله بن عمرو، خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتابان فقال: «أَتَدْرُونَ مَا هَذَانِ الْكِتَابَانِ؟» قال: قلنا: إلا أن تخبرنا يا رسول الله، قال للذي في يده اليمنى: «هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِأَسْمَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ ثُمَّ أُجْمِلَ على آخرهم فلا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا» ثم قال للذي في يساره: «هَذَا كِتَابٌ

---

(٨٣) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب المعراج (٣٨٨٧)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ (١٦٢).

(٨٤) أخرجه أحمد (٣٠/ ٤٩٩) رقم (١٨٥٣٤) وصححه الألباني في «أحكام الجنائز» ص/ ١٥٧.

أَهْلِ النَّارِ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَى آخِرِهِمْ لَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا»[٨٥].

فهذا الحديث وهو حديث صحيح كما في «السلسلة الصحيحة» و«المسند» وغيره، يبين فيه أن فُرغ منه.

وكذلك ما جاء في دلائل الكتاب والسنة أن الله كتب كل شيء وقدر كل شيء.

ثم يقول: لا تفنيان أبدًا، هما مع بقاء الله أبد الآبدين في دهر الداهرين، يعني: الجنة والنار لا تفنيان، خلاف عقيدة الجهمية الذين يقولون: تفنيان، وأهل السنة والجماعة يقولون: لا تفنيان؛ لأن الله خلقهما للبقاء، وجعلهما دار جزاء لأوليائه الذين جعل لهم النعيم الأبدي في الجنة، ولأعدائه الذين جعل لهم العذاب الأبدي في النار.

وقال في النار: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:١٦٧].

وقال عن الجنة: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر:٤٨].

وأخبر أنهم فيها خالدين فيها أبدًا، في آيات كثيرة.

المهم، أن ذلك دل على أنهما لا تفنيان؛ لأن الله خلقهما للبقاء فهما مخلوقتان.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتاوى»[٨٦]: **(وَقَدْ اتَّفَقَ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتُهَا وَسَائِرُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَلَى أَنَّ مِنْ الْمَخْلُوقَاتِ مَا لَا يَعْدَمُ وَلَا يَفْنَى بِالْكُلِّيَّةِ كَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْعَرْشِ وَغَيْرِ ذَلِكَ)**.

هذه الثلاثة خلقها الله للبقاء.

---

(٨٥) أخرجه الترمذي: كتاب القدر، باب ما جاء أن الله كتب كتابًا لأهل الجنة وأهل النار (٢١٤١)، وصححه الألباني في الصحيحة (٨٤٨).

(٨٦) مجموع الفتاوى (١٨/ ٣٠٧).

(وَلَمْ يَقُلْ بِفَنَاءِ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ إِلَّا طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ الْمُبْتَدِعِينَ كَالْجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ وَمَنْ وَافَقَهُ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَنَحْوِهِمْ، وَهَذَا قَوْلٌ بَاطِلٌ يُخَالِفُ كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ وَإِجْمَاعَ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا).

مخالفون، ولذلك لا يلتفت إليه.

فهذا محل إجماع.

ثم قال رَحِمَهُ اللهُ وآدم كان في الجنة الباقية المخلوقة، فأُخرج منها بعدما عصى.

الجنة التي أُخرج منها آدم هي الجنة التي خلقها الله وأعدها لأوليائه، أُخرج لمعصيته، وهذا هو الصحيح الذي دلت عليه الأدلة.

(٢٢) والإيمان بالمسيح الدجال.

(٢٣) وبنزول عيسى ابن مريم، ينزل فيقتل الدجال ويتزوج، ويصلي خلف القائم من آل محمد ﷺ، ويموت، ويدفنه المسلمون.

الشرح:

من عقيدة أهل السنة والجماعة، من السنة الواجبة الإيمان بالمسيح الدجال أنه كائن، الإيمان بظهوره تصديقًا لخبر النبي ﷺ.

وحديثه من الأحاديث المتواترة التي لم ينكرها إلا الخوارج والمعتزلة.

المصنف ذكرها تنبيهًا على أنها من السنة التي خالف فيها أهل البدع.

الخوارج والمعتزلة أنكروا وجود المسيح الدجال.

ولكن النبي ﷺ أخبر عنه في أحاديث كثيرة يعرفها الناس، ومما ذكر أنه قال: «**الدَّجَّالُ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ**»(٨٧).

«**وَإِنَّ الدَّجَّالَ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ غَلِيظَةٌ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ «كَافِرٌ» يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ كَاتِبٌ وَغَيْرُ كَاتِبٍ**»(٨٨) يعني: يعلم القراءة أو لا يعلم؛ إنما معرفته هو بالإيمان، يجعلها الله في نفس المؤمن أن يقرأ ما كُتب، ولذلك ذكر النبي ﷺ «**ثُمَّ تَهَجَّاهَا ك ف ر، يقرؤه كُلُّ مُسْلِمٍ**» الحروف التي كتبت بين عينيه.

ثم قال: والإيمان بعيسى بن مريم، ينزل فيقتل الدجال، ويتزوج عيسى، ويصلي خلف القائم من آل محمدٍ، يعني: المهدي الذي يكون في آخر الزمان، ويموت عيسى في الأرض ويدفنه المسلمون؛ لأن عيسى رفعه الله كما قال عز وجل: ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ ﴾ [النساء:١٥٨].

---

(٨٧) ما قبله واللفظ لمسلم.

(٨٨) أخرجه البخاري: كتاب الفتن، باب ذكر الدجال (٧١٣٠)، ومسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه (٢٩٣٤).

ثم ينزل آخر الزمان، هذه من عقائد أهل السنة والجماعة، من لم يؤمن به يقدح في إيمانه، ويُخشى عليه الكفر، يظن أن عيسى قُتل أو مات أو نحوه؛ بل هو حيٌّ يُرزق في السماء الدنيا، ثم ينزل آخر الزمان.

وفيه أحاديث كثيرة، هو وحديث الدجال ويأجوج ومأجوج موجودة في كتب أشراط الساعة، مشهورة بين الناس، لا نطيل فيه؛ لأنه من العلم المشهور.

(٢٤) والإيمان بأن الإيمان قول وعمل، وعمل وقول، ونية وإصابة، يزيد وينقص، يزيد ما شاء الله وينقص حتى لا يبقى منه شيء.

الشرح:

هذه المسألة مما خالف فيها أهل السنة أهل البدع سواءً من الوعيدية أو من المرجئة.

لأن المرجئة قالوا: لا يزيد ولا ينقص، وأنه تصديقٌ فقط، وليس بعمل.

ومنهم من قال: تصديق وقول فقط، قول لا إله إلا الله الشهادة فقط.

والخوارج والمعتزلة قالوا: نعم، هو قول وعمل ونية، لكن لا ينقص، فارقوا أهل السنة بأنهم قالوا: يزيد ولا ينقص، كيف هذا؟

قالوا: نقصانه هو نقضانه؛ ينتقض، المعصية تنقضه؛ الكبيرة عندهم تبطله كليًّا، ففارقوا أهل السنة من هذه الجزئية، أقصد الوعيدية من الخوارج والمعتزلة.

فكفرته الخوارج، وخرجته من الإسلام المعتزلة؛ لأن المعتزلة قالوا: خرج من الإسلام بالمعصية الكبيرة، ولم نحكم بكفره وإلا في الآخرة هو في النار خالد مخلد.

في النهاية وافقوا الخوارج على هذا العذاب.

الجهمية المرجئة قالوا: إنه لا يزيد ولا ينقص، وليس بعملٍ.

منهم من قال: هو قول، لكنه أنكر العمل؛ يقولون: إن الصلاة والصيام وهذه الأعمال ليست إيمانًا على الحقيقة، وإنما تسمى إيمانًا مجازًا.

وهذا قولٌ باطلٌ.

وقول أهل السنة والجماعة الذي أجمع عليه السلف، وعليه الصحابة والتابعون والأئمة: أن الإيمان قولٌ وعملٌ ونيةٌ.

قولٌ، يعني باللسان، كل عمل صالح تقوله بلسانك هو من الإيمان.

وكل عمل صالح تفعله بجوارحك فهو من الإيمان.

وكل عمل صالح يكون في قلبك سواءً من التصديق أو من أعمال القلوب؛ لأن القلب له قولٌ وعملٌ:

قوله: **التصديق**.

وعمله ما يكون في القلب من الخشية والخوف والرجاء والحب إلخ أعمال القلوب.

قال: **ونية، وإصابة**.

كيف إصابة؟

النية معروفة، الإخلاص.

والإصابة: إصابة السنة، إصابة الشريعة، أن الإنسان يصيب السنة، يصيب الشريعة، يوافقها.

«مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»(٨٩).

هذه مخالفة الشريعة.

يزيد وينقص، يزيد بالطاعة زيادةً لا حد لها، لكثرة ما دام؛ «وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا»(٩٠) وقد شرعه الله كمًّا ونوعًا.

وينقص نقصًا حتى لا يبقى منه شيء، كيف لا يبقى منه شي؟

يبقى مجرد التصديق.

قال النبي ﷺ لما شفع الأنبياء والمؤمنون، «حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْكُمْ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً فِي اسْتِيفَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ للهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ مَعَنَا وَيَحُجُّونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ فَيُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ، فَيَقُولُونَ:

---

(٨٩) أخرجه البخاري: كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (٢٦٩٧)، ومسلم: كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (١٧١٨).

(٩٠) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب التواضع (٦٥٠٢)، من حديث أبي هريرة.

رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا. فَيَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا، ثُمَّ يُقَالُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا، ثُمَّ يُقَالُ: ارْجِعُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا قَطُّ». وكان أبو سعيدٍ ﷺ يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرءوا إن شئتم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٠] «فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ نَهْرُ الْحَيَاةِ فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ أَوِ الشَّجَرِ، مَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الشَّمْسِ أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ أَبْيَضُ»(٩١).

دل على أنه قد ينقص الإيمان ولا يبقى معه إلا مجرد التصديق، وهذه قد تعرض للإنسان، نسأل الله السلامة والعافية.

فأنت إذا سمعت هذه الأحاديث، وأنت تعارضها في نظرك مع حديث الوعيد وكذا؛ لا؛ هذا من رحمة الله، ما دام أنه مسلم فهو تحت رحمة الله.

وهذا إخراجٌ من النار، يعني: استحقوا ما أخذوه من العذاب في النار.

ثم يكون هذا قد يوجد من هو مؤمن وليس معه من الإيمان إلا التصديق.

أما قال النبي ﷺ: «يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ، حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ وَلَا صَلَاةٌ وَلَا نُسُكٌ وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ؛ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ، وَالْعَجُوزُ يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ؛ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَنَحْنُ

---

(٩١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} (٧٤٣٩)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية (١٨٣) واللفظ له.

نَقُولُهَا» فَقَالَ لَهُ صِلَةُ: مَا تُغْنِي عَنْهُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَهُمْ لَا يَدْرُونَ مَا صَلَاةٌ، وَلَا صِيَامٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلَاثًا، كُلَّ ذَلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّالِثَةِ، فَقَالَ: يَا صِلَةُ، تُنْجِيهِمْ مِنَ النَّارِ ثَلَاثًا[٩٢].

لماذا هؤلاء نجوا؟

لأنهم لم يعرفوا شيئًا، بقوا في فترة من الفترات، لا يعرفون من العلم شيئًا، إلا أنهم يقولون «**الله الله**»[٩٣]، مسلمون، وفي رواية: «**الله أكبر**»[٩٤].

فهذه تكون في حالات الفترات.

كذلك فيمن قبلنا؛ لأن الجنة والنار ليست لأهل الأمة المحمدية فقط، هناك أنبياء ورسل، شرائعهم فيها نوعٌ قد يكون في بعض الأحيان يُعذرون ونحوه، أو لا يُعذرون.

المهم أنه لا يكون في ذهنك تعارض بين هذه النصوص وغيرها.

والدليل على تفاضل أهل الإيمان، قول النبي ﷺ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ**»[٩٥].

فدل على أن فيه أعلى وفيه أدنى، وأنه شعب، وشعب يعني: أنواع وأجزاء؛ منها ما هو ركنٌ منه، ومنها من دون ذلك.

---

(٩٢) أخرجه ابن ماجه: كتاب الفتن، باب ذهاب القرآن والعلم (٤٠٤٩)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه».

(٩٣) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب هاب الإيمان آخر الزمان (١٤٨) بلفظ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللهُ اللهُ».

(٩٤) لم أقف عليه.

(٩٥) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان (٩)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها (٣٥).

(٢٥) وخير هذه الأمة بعد وفاة نبيها: أبو بكر وعمر وعثمان، هكذا روي لنا عن ابن عمر؛ قال: كنا نقول ورسول الله ﷺ بين أظهرنا: إن خير الناس بعد رسول الله ﷺ: أبو بكر وعمر وعثمان ويسمع النبي ﷺ بذلك فلا ينكره.

الشرح:

هذا هو التفضيل بين خير هذه الأمة بعد وفاة نبيها: أبو بكر وعمر وعثمان، وهم على الترتيب: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان، ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

واستدل بحديث ابن عمر وهو في البخاري، يقول: والنبي بين أظهرنا، يعني: يقرهم بذلك، أبو بكر وعمر وعثمان، فيسمع بذلك رسول الله ﷺ فلا ينكره، فدل على أنها سنةٌ مرفوعةٌ عن النبي ﷺ.

وقد سئل: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «**عَائِشَةُ**». قَالَ: وَمِنَ الرِّجَالِ؟ قَالَ: «**أَبُوهَا**»، قال ثم من؟ قال: «**عُمَرُ**»[٩٦].

والصحابة أجمعوا على أفضلية عثمان بعد الشيخين أبي بكر وعمر، لما بايعوا عثمان اتفقوا على أنهم لا يقدمون أحدًا على عثمان، فدل على أن الصحابة اتفقوا على أفضليته.

ثم أفضل الناس بعد هؤلاء: علي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف (وأبو عبيدة بن الجراح)، وكلهم يصلح للخلافة.

لاجتماع الأفضلية فيهم، مع القرشية، وصفة القبيلة هذه، وكذلك صلاحهم وعلمهم، كلهم يصلح للخلافة، وهؤلاء بعد علي، والظاهر والله أعلم لا تفضيل بينهم، كأنهم في الأفضلية سواء، ولا شك أن علي بن أبي طالب أفضل من هؤلاء.

ثم أفضل الناس بعد هؤلاء: أصحاب رسول الله ﷺ، القرن الأول الذي بعث فيهم: المهاجرون الأولون والأنصار، وهم من صلى القبلتين.

---

(٩٦) أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة ذات السلاسل وهي عزوة لخم وجذام (٤٣٥٨)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه (٢٣٨٤).

لأن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»(٩٧).

وأفضلهم السابقون، لأن الله قال: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد:١٠].

كلهم وعدهم الله الجنة، أصحاب النبي ﷺ، لكنهم لا يستوي من أنفق من قبل الفتح مع الذي أنفق واسلم وهاجر بعد الفتح، فجعل بينهم تفاضلًا.

والفتح كما يقول شيخ الإسلام، المقصود به في هذه الآية: هو فتح الحديبية؛ لأن الله سماه فتحًا، قال: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح:١].

لأنه بعد ذلك هاجر أناس وأسلموا لكنهم ليسوا من سابقي الذين كانوا قبل الفتح.

والفتح صلح الحديبية في السنة السادسة.

والتفاضل فيما بينهم، ولذلك لما تلاحى خالد مع عبد الرحمن بن عوف فسبه خالد، بسبب قتله أقوامًا من جهينة أو غيرهم، فنهاه عبد الرحمن فتكلم خالد، فقال: إنما أخذت بثأر أخيك، فقال: أخذت بثأره في الجاهلية، فلما تكلم خالد في عبد الرحمن، وخالد من مسلمة ما بعد الحديبية، وعبد الرحمن من السابقين، فقال النبي ﷺ لخالد وللناس: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»(٩٨).

وهذا لا يعني أن خالدًا ليس من أصحابه، من الذين أنفقوا من بعد الفتح وقاتلوا، ومن الذين وعدهم الله الحسنى، ولكن الكلام عن السابقين، بلغوا منزلة جازوا القنطرة.

---

(٩٧) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ (٣٦٥١)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ثم الذين يلونهم (٢٥٣٣).

(٩٨) أخرجه مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة (٢٥٤٠).

ثم أفضل الناس بعد هؤلاء: من صحب رسول الله ﷺ يوما أو شهرا أو سنة أقل أو كثر، ترحم عليهم وتذكر فضله وتكف عن زلته، ولا تذكر أحدا منهم إلا بخير، لقول رسول الله ﷺ: «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا» (٩٩).

يعني: بعد الصحابة السابقين، ثم من صحب النبي ﷺ يومًا أو شهرًا أو سنة، أقل أو أكثر، حتى ولو ساعة.

ولذلك عرفوا الصحبة العلماء قالوا: من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به ولو تخللت ردة ومات على الإيمان.

المهم أنه لقي النبي ﷺ، نال شرف الصحبة.

وهذا الشرف ليس بالسهل عند الله، كون الله يوفقه ويجعله من أولئك يدل على كرامته عند الله، وما أعد له من الأجر.

قوله: **ترحم عليهم،** أنت ترحموا عليه، يعني: الذي ينبغي لك أن تترحم عليه، وعلى كل أصحاب النبي ﷺ.

هذا هو الواجب، كل ما كان بين الصحابة تعرض عنه، ولا يجوز ذلك مع أصحاب النبي ﷺ إلا الترضي والترحم؛ لأن الله قال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠].

ليس لك إلا هذا؛ أن تترحم عليهم وتترضى عنهم؛ وإلا خرجت من صفة المؤمنين.

كما قال الإمام مالك والحميدي وغيرهم قالوا: من لم يترض على أصحاب النبي ﷺ ليس له في الفيء نصيب، لأن الله لما ذكر الفيء قال: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر:٨] الفقراء هم المهاجرون، خرجوا نصرةً لله ورسوله.

---

(٩٩) أخرجه الحارث بن أبي أسامة (٧٢٤) من حديث ابن مسعود، وقواه الألباني في «الصحيحة» (٣٤).

ثم ذكر الصنف الثاني: قال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ هؤلاء الأنصار، والدار المدينة.

ثم ذكر الصنف الثالث قال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ٩ - ١٠].

ليس الناس إلا أهل الفيء الذين لهم حق في فيء الإسلام ثلاثة.

فإذا لم يكن من هؤلاء الثلاثة ليس له من الفيء نصيب، فليس من أهل الإسلام.

فلما يأتيك شخص ويتكلم في أصحاب النبي ﷺ، في أبي بكر أو عمر، بل بعضهم يتكلم في زوجة النبي ﷺ في عائشة، وبعضهم يتلكم في أبي هريرة وفي معاوية، وكأنه شخص من أفراد الناس، ولو كان من أفراد الناس فلا يحل الكلام فيه، فكيف بالكلام في صاحب النبي ﷺ؟

هذا من العجائب، نسأل الله العافية والسلامة.

وكأنه بينه وبين بعض أصحاب النبي ﷺ خصومة، ويحب أن يتكلم في الفتن التي صارت.

لم قيل لعمر بن عبد العزيز: أصحاب النبي ﷺ اقتتلوا؟ قال: **أولئك أصحاب الجنة**.

أمرهم مفروغ منه، ماذا تريد منهم.

ثم قال: فتنةٌ سلم الله منها سيوفنا أفلا نسلم منها ألسنتنا؟

يعني: ما لنا مصلحة فيها، ولذلك الإنسان ينتبه لهذا.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في عقيدة أهل السنة والجماعة: (**وَيُقِرُّونَ -يعني أهل السنة-، بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَغَيْرِهِ؛ مِنْ أَنَّ: خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، وَيُثَلِّثُونَ بِعُثْمَانِ، وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ؛ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْآثَارُ، وَكَمَا أَجْمَعَتِ الصَّحَابَةُ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ فِي الْبَيْعَةِ**).

هذه الدلائل: دلائل الكتاب والسنة والإجماع.

ثم قال: (مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَدْ اخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ؛ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟)

إذن اختلفوا في عثمان وعلي أيهما أفضل؟

قال: (فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ، وَسَكَتُوا، أَوْ رَبَّعُوا بِعَلِيٍّ).

هذا من السلف الأولين.

(وَقَدَّمَ قَوْمٌ عَلِيًّا).

هذا قولٌ ثالثٌ.

(وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا).

قالوا: نقول أبو بكر ثم عمر ثم نقول: عثمان وعلي سواء نتوقف في التفضيل.

هذا أقوال كانت موجودة.

يقول الشيخ: (لَكِنِ اسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى: تَقْدِيمِ عُثْمَانَ، ثُمَّ عَلِيٍّ).

استقر الإجماع بعد ذلك.

قال: (وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ - مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ - لَيْسَتْ مِنَ الْأُصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ).

لوجود الخلاف القديم.

(لَكِنَّ الْمَسْأَلَةَ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا: مَسْأَلَةُ الْخِلَافَةِ).

مثل الخوارج، يقولون كلامًا في خلافة عثمان وعلي.

الروافض يقولون في خلافة أبي بكر ثم عمر ثم عثمان.

هذه يُضلل فيها، فمن شك في هذه الخلافة فقد ضل؛ لأنه أجمع الصحابة على هذه الخلافة، وجاءت الدلائل من السنة ما يدل على تقديم أبي بكر، فإذا كان الصحابة أجمعوا على تقديم أبي بكر وبايعوه، وأجمعوا على تقديم عمر وبايعوه، وأجمعوا على تقديم عثمان في الشورى وبايعوه، ثم بايعوا علي بن أبي طالب، فكيف يأتي شخص ويقول أن عليًّا أفضل من أبي بكر أو من عمر؟

أو أن غيرهم أفضل منهم؟

أو أن خلافتهم غير صحيحة أو فيها كلام؟

هذا يُضلل فيها ويُبدع؛ لأنه خالف إجماع الصحابة من المهاجرين والأنصار.

لذلك يقول الإمام أحمد وغيره: من خالف في ذلك فقد خالف إجماع المهاجرين والأنصار، فهو أضل من حمار أهله.

يقول شيخ الإسلام: (وَذَلِكَ بِأَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ: بِأَنَّ الْخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلَافَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةِ؛ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ)(١٠٠).

وقد ثبت في صحيح البخاري عن عبد الله بن عمر قال: كنا نفاضل على عهد رسول الله ﷺ: أبو بكرٍ ثم عمر ثم عثمان. وفي لفظٍ: **ثم ندع أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم**.

وقال: (**وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: كُنَّا نُفَاضِلُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ. وَفِي لَفْظٍ: ثُمَّ نَدَعُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ لَا نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ.**

فَهَذَا إِخْبَارٌ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ تَفْضِيلِ أَبِي بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرَ ثُمَّ عُثْمَانَ. وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ يَبْلُغُ النَّبِيَّ ﷺ فَلَا يُنْكِرُهُ.

وَحِينَئِذٍ فَيَكُونُ هَذَا التَّفْضِيلُ ثَابِتًا بِالنَّصِّ. وَإِلَّا فَيَكُونُ ثَابِتًا بِمَا ظَهَرَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ غَيْرِ نَكِيرٍ، وَبِمَا ظَهَرَ لَمَّا تُوُفِّيَ عُمَرُ؛ فَإِنَّهُمْ كُلَّهُمْ بَايَعُوا عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ مِنْ غَيْرِ رَغْبَةٍ وَلَا رَهْبَةٍ، وَلَمْ يُنْكِرْ هَذِهِ الْوِلَايَةَ مُنْكِرٌ مِنْهُمْ)(١٠١).

هذا ذكره شيخ الإسلام في الواسطية، وفي منهاج السنة النبوية الجزء السادس.

وقال ابن عيينة: من نطق في أصحاب رسول الله ﷺ بكلمة فهو صاحب هوى.

لا شك أنه صاحب هوى.

ما الذي يريد من أصحاب النبي ﷺ؟

---

(١٠٠) العقيدة الواسطية ص/ ١١٨.

(١٠١) منهاج السنة النبوية (٦/ ١٥٣).

ما بينه وبينهم من خصومة؛ هل بينهم شيء؟

إلا بغض الدين، ما تكلم رجلٌ في أصحاب النبي ﷺ إلا وفي قلبه على الإسلام شيء.

وقال النبي ﷺ: «أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم» [١٠٢].

أما هذا الحديث ففيه كلام من حيث الثبوت؛ فلا يصح، ولكن معناه صحيحٌ؛ لأنهم يُقتدى بهم.

والنبي ﷺ قال: «**اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ**»[١٠٣].

وقال: «**إِنْ يُطِعِ القَوْمُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ يَرْشُدُوا**»[١٠٤].

وقال: «**اهْتَدُوا بِهَدْيِ عَمَّارٍ**»[١٠٥].

وقال ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي**»[١٠٦] إلخ ذلك.

فهذا يدل على أن الاقتداء بأصحاب النبي ﷺ هدايةٌ.

---

(١٠٢) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٣/ ٢٠٠)، والبيهقي في «المدخل» (ص١٦٢)، والخطيب في «الكفاية» (ص٤٨)، وضعفه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٦٠٠٩)، وقال: «باطل».

(١٠٣) أخرجه الترمذي: كتاب المناقب، باب مناقب عمار بن ياسر (٣٧٩٩) من حديث حذيفة، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٢٣٣).

(١٠٤) أخرجه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب الأذان بعد ذهاب الوقت (٥٩٥)، مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها (٦٨١)، من حديث أبي قتادة.

(١٠٥) أخرجه ابن عدي في «الكامل في ضعفاء الرجال» (٢/ ٢٤٩).

(١٠٦) سبق تخريجه.

(٢٦) والسمع والطاعة للأئمة فيما يحب الله ويرضى.

ومن ولي الخلافة بإجماع الناس عليه ورضاهم به فهو أمير المؤمنين، لا يحل لأحد أن يبيت ليلة ولا يرى أن عليه إماما، برا كان أو فاجرا.

الشرح:

هذه مسألة السمع والطاعة، يعني من السنة، من عقيدة أهل السنة والجماعة للأئمة، يعني: الأمراء، الولاة.

فيما يحب الله ويرضى، يعني: مما لا يكرهه، لأنه قد يكون من المباح، لأن المباح كون الله لم ينه عنه، دل على أنه في سبيل الرضا.

وكما قال النبي ﷺ: «اسْمَعْ وَأَطِعْ لِلأَمِيرِ وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرَكَ وَأُخِذَ مَالَكَ»(١٠٧).

وقال ﷺ: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي»(١٠٨).

وقال: «لا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الخَالِقِ»(١٠٩).

وقال: «إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ»(١١٠).

---

(١٠٧) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة (١٨٤٧) من حديث حذيفة.

(١٠٨) أخرجه البخاري: كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى: {وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول} (٧١٣٧)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية (١٨٣٥).

(١٠٩) أخرجه أحمد (١٠٩٥١٢٩) من حديث علي، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٧٩).

(١١٠) أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب سرية عبد الله بن حذافة السهمي، وعلقمة بن مجزز المدلجي ويقال: إنها سرية الأنصار (٤٣٤٠)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية (١٨٤٠).

وكان يؤمر الأمير على السرية فيوجب طاعته، ويقول للناس ويبين لهم: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي».

فدل على هذا الأصل.

والله عز وجل أمر النبي قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء:٥٩].

فأمرنا بهذا، وهذا مما خالف فيه الخوارج والمعتزلة أهل السنة، ولذلك هذه المسألة وإن كانت من المسائل الفقهية يذكرونها في العقائد، حتى في المتون الصغيرة والكبار، لمخالفة الخوارج الذين خالفوا السنة، فتجد كثيرًا من المسائل التي هي من أحكام الشريعة الفقيهات، يذكرونها في العقائد لمخالفة أهل البدع.

ثم قال: ومن ولي الخلافة بإجماع الناس عليه ورضاهم، يعني: عند الشورى، فهو أمير المؤمنين، لكن لو لم يجمعوا، وحصلت البيعة بلا إجماع، فهو أميرٌ، ولعلكم نسيتم خلافة علي بن أبي طالب، فلم يجمع عليه جميع المسلمين، ولم يبايع أهل الشام مع معاوية، ومع ذلك هو الخليفة الرابع بإجماع أهل الإسلام، ولم يخالف في ذلك، حتى أهل الشام معاوية وعمرو بن العاص ومن معهم ما أنكروا ذلك، وإنما كان نزاعهم معه في قضية تسليم قتلة عثمان، قالوا: سلمنا نبايعك، فهل نقول بعدم بيعة علي وأنها لم تنعقد بعدم بيعة أولئك؟

لا يمكن، لو قال ذلك شخص، وأنه لا خلافة لعلي فقد خالف إجماع السلف.

إذن ما الضابط في هذا؟

قال العلماء: أهل الحل والعقد، إذا انعقدت البيعة بأهل الحل والعقد انعقدت ولا يجوز نقدها، لا يحل لهم.

ولذلك قال ﷺ: «مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ فَاقْتُلُوهُ»(١١١) وهذا في صحيح مسلم.

---

(١١١) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع (١٨٥٢)، من حديث عرفجة بن

كله لأجل قطع السبيل على الناس حتى لا تتفرق الأمة وتنشق.

قال: «**لا يحل لأحدٍ أن يبيت له وليس في عنقه بيعة برًا كان أو فاجرًا**»[(١١٢)] حتى لو كان فاجرًا.

لما ولي الخلافة عبد الملك بن مروان نازعه من نازعه، عبد الله بن مطيع وغيره، ما التفت إليه الصحابة، وبايعوا عبد الملك، ولا زال حروب حتى سلمت له بعض الجهات و المقاطعات بالسيف، ومع ذلك الصحابة لما رأوا أهل الحل والعقد بايعوا له في الشام سلموا وبايعوا، وكتب له عبد الله بن عمر بكتاب ببيعته، كما في صحيح البخاري، قال: جمع أولاده وخدمه وقال لهم: لَـمَّا خَلَعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ جَمَعَ ابْنُ عُمَرَ حَشَمَهُ وَوَلَدَهُ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**يُنْصَبُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**». وَإِنَّا قَدْ بَايَعْنَا هَذَا الرَّجُلَ عَلَى بَيْعِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَإِنِّي لَا أَعْلَمُ غَدْرًا أَعْظَمَ مِنْ أَنْ يُبَايَعَ رَجُلٌ عَلَى بَيْعِ اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُنْصَبُ لَهُ الْقِتَالُ، وَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنْكُمْ خَلَعَهُ وَلَا بَايَعَ فِي هَذَا الْأَمْرِ إِلَّا كَانَتِ الْفَيْصَلَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ»[(١١٣)].

يعني: ثمرة قلبه، ما في قلبك من البيعة؛ ثم تنقض البيعة.

في ذلك يقول النبي ﷺ في حديث حذيفة لما سأله، وقد ذكرناه قبل ذلك، قال ﷺ:: «**قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ**»؛ وقال: «**يَقُومُ فِيكُمْ قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي وَيَهْتَدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي**» يعني أمراء السوء، وقال: «**وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ**»، وقال: «**دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا**». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، صِفْهُمْ لَنَا. قَالَ: «**هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا،**

شريح.

(١١٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ. وقد خرج مسلم: كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن (١٨٥١)، من حديث ابن عمر بلفظ: «مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً». وقد خرج أبو داود: كتاب الجهاد، باب في الغزو مع أئمة الجور (٢٥٣٣)، وضعفه الألباني في «مشكاة المصابيح» (١١٢٥) بلفظ: «الْجِهَادُ وَاجِبٌ عَلَيْكُمْ مَعَ كُلِّ أَمِيرٍ بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا، وَالصَّلَاةُ وَاجِبَةٌ عَلَيْكُمْ خَلْفَ كُلِّ مُسْلِمٍ بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا وَإِنْ عَمِلَ الْكَبَائِرَ، وَالصَّلَاةُ وَاجِبَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا وَإِنْ عَمِلَ الْكَبَائِرَ».

(١١٣) أخرجه البخاري: كتاب الفتن، باب إذا قال عند قوم شيئًا ثم خرج فقال بخلافه (٧١١١).

وَيتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا». قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ». قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»[١١٤].

وعن ابن عباس، قال ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»[١١٥] وهذا أيضًا في صحيح البخاري.

---

(١١٤) أخرجه البخاري: كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة (٧٠٨٤)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن (١٨٤٧).

(١١٥) أخرجه البخاري: كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أمورًا تنكرونها» (٧٠٥٣).

(٢٧) والحج والغزو مع الإمام ماض، وصلاة الجمعة خلفهم جائزة، ويصلي بعدها ست ركعات، يفصل بين كل ركعتين، هكذا قال أحمد بن حنبل.

الشرح:

الحج والغزو، يعني: الجهاد، مع الإمام ماض، سواء كان برًّا أو فاجرًا، غزو على الكفار، أو الخارجين عن الإسلام أو عن الولاية، يقاتل معه، أو المارقين، أو الباغين، يُقاتلون مع الإمام ضد هؤلاء، لأنهم خرجوا عن الجماعة.

وصلاة الجمعة خلفهم جائزة، حتى ولو كانوا أهل بدع وضلالات.

قال الإمام أحمد لم خرج من السجن وعُولج، وجاءه الكتاب بالحكم عليه بألا يخرج من بيته ولا يستقبل أحد، وكانت الولاية ولاية أهل البدع في العباسيين، مذهب الجهمية، بدعة مغلظة، وجاءه رسول الخليفة، فقال الإمام أحمد: إني أدعو له في صلاتي، وإني آسف، وإني لا أستطيع أن أصلي معك.

كان مريضًا، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة.

وكان الصحابة يصلون خلف الحجاج، أنس بن مالك وابن عمر، ابن عمر صلى خلف المختار بن أبي عبيد، وكان من كان في الضلالة والبدع، وصلى التابعون خلف عبد الملك بن مروان وكان ما كان، وخلف أبيه مروان بن الحكم، صلوا خلف يزيد بن معاوية وكان فيه من الفجور من الأشياء التي عُرفت عنه.

ما كانوا ينزعون يدًا من طاعة.

قال: والحج والغزو مع الإمام فرض، أو ماضٍ، لا يبطله كونه غير عدل؛ لأن الخوارج والمعتزلة قالوا: لا نغزو ولا نصل إلا خلف الإمام العدل.

والرافضة يقولون: لا يغزى إلا مع آل البيت، رجل من الأئمة يأتي آخر الزمان.

يرفضون هذا كله.

فخالفهم أهل السنة والجماعة، وهذا الذي جاء به النبي ﷺ وكان عليه إجماع السلف.

ثم ذكر مسألة الصلاة بعد الجمعة، يصلي بعدها ست ركعات، هذه من السنن التي نبه عليها المصنف استطرادًا يفصل بين كل ركعتين، هكذا قال أحمد بن حنبل، وهذه مسألة معروفة يذكرها الفقهاء في كتب الفقه.

بالمناسبة: كيف تكون الخلافة؟

يقول النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَأَجْمَعُوا عَلَى انْعِقَادِ الْخِلَافَةِ بِالِاسْتِخْلَافِ)**.

هذا واحد، وهذا بالإجماع.

(وَعَلَى انْعِقَادِهَا بِعَقْدِ أَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ)

هذا الثاني، وهذا بالإجماع.

(لِإِنْسَانٍ إِذَا لَمْ يَسْتَخْلِفِ الْخَلِيفَةُ، وَأَجْمَعُوا عَلَى جَوَازِ جَعْلِ الْخَلِيفَةِ الْأَمْرَ شُورَى بَيْنَ جَمَاعَةٍ كَمَا فَعَلَ عُمَرُ بِالسِّتَّةِ)

هذا أيضًا لو تشاوروا في شخصٍ محصورٍ في عدد محصور، هذا أيضًا بالإجماع.

(وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ نَصْبُ خَلِيفَةٍ وَوُجُوبُهُ بِالشَّرْعِ لَا بِالْعَقْلِ)[١١٦].

كيف الاستخلاف؟

ولاية العهد، لأن أبا بكر لما مرض أخذ ولاية العهد لعمر، وجمع الصحابة وكتب كتابًا بأنه إذا حصل بي شيء فالخليفة بعدي عمر، فكتبه وثيقة بينهم، وحفظها، فلما مات بعد ذلك أبو بكرٍ بايع الصحابة عمر بناءً على ولاية العهد، وهذا بإجماع الصحابة.

والمسألة الثانية: أهل الحل والعقد، كما فعلوا مع بيعة أبي بكرٍ، أهل الحل والعقد هم الذين بايعوا أبا بكر، لا تظنون أن جميع المسلمين جاؤوا من جميع أقطار الأرض إلى المدينة، وبايعوا أبا بكر، بل أهل مكة بمكة، وأهل الطائف في الطائف، وأهل جواثا في جهة البحرين فيها، وأهل نجد في نجد؛ الذين بايعوا من المسلمين، فبايعوا لما بلغهم أن الصحابة بايعوا أبا بكرٍ.

كذلك الشورى، وهي التي حصلت في خلافة عثمان.

---

(١١٦) شرح النووي على مسلم (١٢/ ٢٠٥).

بقي شيءٌ آخر وهو الغلبة، أيضًا أجمعوا على أن من تغلب حتى تملك وبُويع فإنه قد انعقد بيعته ولا يحل نزعها، ويدل عليها قول النبي ﷺ: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا**»(١١٧) قالوا: هذا لا يكون إلا من طريق التغلب، أمر النبي ﷺ بطاعته ولو كان عبدًا حبشيًا.

والنبي ﷺ قال: «**لَا يَزَالُ هَذَا الأَمْرُ فِي قُرَيْشٍ مَا بَقِيَ مِنَ النَّاسِ اثْنَانِ**»(١١٨).

وهذا يقول العلماء: بشرطين:

الأول: وجود من يصلح للخلافة.

الثاني: أن يكون هذا على سبيل الاختيار.

أما إذا لم يتمكنوا من الخيار تنعقد لغيرهم، بدليل أن النبي ﷺ سيأتي آخر الزمان القحطاني والسفياني، وما قال إن ولايتهم باطلة.

وقضية تفرق البلدان، ينتبه لها؛ لأنه يحصل فيها بعض الشبهات وبعض الفتن؛ أنه إذا كثرت البلدان والدول وكان لكل بلد سلطان مستقل، هل هذا صحيح؟ ويأخذ أحكام الولاية والبيعة أم لا؟

لأن بعض الجهلة يثير مثل هذه الأشياء بجهله، ناسيًّا ما كان عليه العلماء من زمن الدولة العباسية، تفرق الناس، صار دولتان هنا: الدولة العباسية في المشرق ودولة الأمويين في المغرب والأندلس وما والها، فكان لهؤلاء أمير ولهؤلاء أمير، وعلماء أهل الأندلس أميرهم عندهم عبد الرحمن الداخل ومن بعده وذويه، والعلماء على هذا الشأن من زمن الإمام مالك هذا الأمر موجود، وبعضهم الإمام أحمد؛ والأئمة، ما قالوا: هؤلاء باطلين وهؤلاء مصلحين.

بل أجروا الناس على هذا الأصل.

وهنا مسألة تكلم عليها العلماء، هذه المسألة، قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الأئمة مجموعون من كل مذهبٍ أن من تغلب على بلدٍ أو بلدان له حكم الإمام في جميع الأشياء**) يعني: حكم

---

(١١٧) سبق تخريجه.

(١١٨) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب مناقب قريش (٣٥٠١)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش (١٨٢٠)، من حديث عبد الله بن عمر.

الخليفة العام في جميع الأشياء (**ولولاء هذا ما استقامت الدنيا، لأن الناس من زمنٍ طويلٍ قبل الإمام أحمد إلى يومنا هذا ما اجتمعوا على إمامٍ واحدٍ، ولا يعرفون أحدًا من العلماء ذكر أن شيئًا من الأحكام لا يصح إلا بالإمام الأعظم**) [(١١٩)] ما قالوا الجهاد أو الجمعة؛ هذا مذهب الخوارج، ومذهب المعتزلة ومذهب الرافضة، هم الذين يشترطون شروطًا من هذا القبيل.

هذا كلام الشيخ.

وقال الشيخ الصنعاني في «سبل السلام» لما شرح قول النبي ﷺ: «**من فارق الطاعة وفارق الجماعة فميتته جاهلية**» قال رَحِمَهُ اللَّهُ: («**خرج عن الطاعة**» **أي: طاعة الخلفية الذي وقع الإجماع عليه، وكأن المراد خليفة أي قطرٍ من الأقطار؛ إذ لم يجمع الناس على خليفةٍ واحدٍ في جميع البلاد الإسلامية من أثناء الدولة العباسية**) هناك من أيامه، (**بل استقل كل أهل إقليمٍ بقائمٍ بأمورهم؛ إذ لو حمل الحديث على خليفة اجتمع عليه أهل الإسلام لقلت فائدته**) هذا أشبه أن يكون لن يكون؛ من أيام الدولة العباسية.

قال: (وقوله ﷺ: «**فارق الجماعة**» **أي: خرج عن الجماعة الذين اتفقوا على طاعة إمامٍ انتظم به شملهم**) يعني: الدولة (**واجتمعت به كلمتهم، وحاطهم عن عدوهم**) [(١٢٠)] هذا كلام الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقال الشوكاني في «السيل الجرار»: (**ولا بأس بتعدد الأئمة والسلاطين، ويجب الطاعة لكل واحدٍ منهم بعد البيعة له على أهل ذلك القطر الذي ينفذ فيه أوامره ونواهيه.**

وكذلك صاحب القطر الآخر، فإذا قام من ينازعه في القطر الذي ثبتت فيه ولايته وبايعه أهله كان الحكم فيه أن يُقتل إذا لم يتب) يعني: المنازع الذي يخرج عليه (**وهذا معلومٌ لكل من له اطلاع على أحوال العباد والبلاد، فاعرف هذا فإنه من المناسب للقواعد الشرعية والمطابق لما تدل عليه الأئمة، ودع عنك ما يقال في مخالفته، فإن الفرق بين ما كانت عليه الولاية الإسلامية في أول الإسلام وما هي**

---

(١١٩) الدرر السنية (٧/ ٢٣٩).

(١٢٠) سبل السلام (٢/ ٢٣٤).

عليه الآن أوضح من شمس النهار، ومن أنكر هذا فهو مباهت لا يستحق أن يخاطب بالحجة لأنه لا يعقلها)(١٢١). هذا كلام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وذكرنا هذا لأجل تقرير هذه المسألة التي يحصل فيها خلط وشبهات، وتكلم بعض الجهال فيها أو بعض أصحاب الأهواء؛ لأجل أن يكون لهم مداخل.

(١٢١) السيل الجرار ص/ ٩٤١.

(٢٨) والخلافة في قريش إلى أن ينزل عيسى ابن مريم.

الشرح:

مسألة الخلافة في قريش إلى أن ينزل عيسى بن مريم؛ ذكر المصنف هذا لأنه كان في زمانه الخلفاء العباسيين من قريش، والخلفاء في الأندلس كانوا من بني أمية من قريش، فما علم أن هذا سيكون ويصل إلى شيءٍ فيه؛ قال: إلى أن ينزل عيسى بن مريم؛ يقصد أن شرعيته باقية.

وحكى بعض العلماء الإجماع على ذلك، لكنهم قالوا: إن كان على سبيل إن كان الاختيار للناس أن يختاروا، ولذلك الإجماع نَظَّر فيه الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» في المجلد الثالث عشر، قال: **(وَيَحْتَاجُ مَنْ نَقَلَ الْإِجْمَاعَ إِلَى تَأْوِيلِ مَا جَاءَ عَنْ عُمَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ أَخْرَجَ أَحْمَدُ عَنْ عُمَرَ بِسَنَدٍ رِجَالُهُ ثِقَاتٌ أَنَّهُ قَالَ: إِنْ أَدْرَكَنِي أَجَلِي وَأَبُو عُبَيْدَةَ حَيٌّ اسْتَخْلَفْتُهُ فَذَكَرَ الْحَدِيث وَفِيهِ فَإِنْ أَدْرَكَنِي أَجَلِي وَقَدْ مَاتَ أَبُو عُبَيْدَةَ اسْتَخْلَفْتُ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ... الْحَدِيثَ)** ومعاذ ليس من قريش، إنما من الأنصاري، قال: **(وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ أَنْصَارِيٌّ لَا نَسَبَ لَهُ فِي قُرَيْشٍ فَيَحْتَمِلُ أَنْ يُقَالَ لَعَلَّ الْإِجْمَاعَ انْعَقَدَ بَعْدَ عُمَرَ عَلَى اشْتِرَاطِ أَنْ يَكُونَ الْخَلِيفَةُ قُرَشِيًّا أَوْ تَغَيَّرَ اجْتِهَادُ عُمَرَ فِي ذَلِكَ، وَاللهُ أَعْلَمُ)**[١٢٢].

الشيخ ابن عثيمين له كلام في «التعليق على صحيح مسلم» على حديث «الناس تبع لقريش في الخير...» يقول رَحِمَهُ اللهُ في المجلد التاسع من تعليقه على صحيح مسلم ص/ ٢١٢: **(نصب الإمام فرض كفاية ولا يمكن للمسلمين أن يعيشوا بدون إمام، ولهذا أخر الصحابة دفن النبي ﷺ من يوم الاثنين إلى ليلة الثلاثاء حتى تمت الخلافة)** لأن هذا من الواجبات، التبكير بعقد الخلافة، وتأخير دفن النبي ﷺ وتغسيله سويعات أو كذا أمرٌ يغتفر من قابلة الواجب عليه، قال: **(حتى تمت الخلافة لأبي بكرٍ لئلا تبقى الأمة بدون أمير، ولهذا أجمع المسلمون على أن الخافة فرض كفاية، لكن الخلافة العامة انقرضت من زمانٍ وصارت إمارةً خاصةً في كل إقليمٍ وكل منطقةٍ، وما زال الناس على هذا، ويرون أن هذه الأمارات المقطعة الموزعة يثبت لها حكم الخلافة، بمعنى: أن كل أميرٍ في مكانه هو بمنزلة**

---

(١٢٢)فتح الباري لابن حجر (١٣/ ١١٩).

الخليفة الأعظم الذين يكون أميرًا على جميع المسلمين، والإمارة لها شروط، من أهمها: أن يكون الأمير كفؤًا للإمارة في دينه وعقله وتدبيره.

الثاني: ومنها أن يكون الخليفة من قريش) ولاحظوا هذه القضية؛ لأن بعض الناس يصير عنده قلق إذا سمع هذه النصوص، يقول: (وهذا عند ابتداء نصبه، فإننا لا نخرج عن قريش إذا كان منهم أهلٌ للخلافة، أما إذا قُدر أنه ليس فيهم أهل للخلافة فلا حق لهم فيها، وهذا إذا كان الأمر ابتدائيًا بمعنى أن المسلمين يريدون أن ينصبوا لهم أميرًا عامًّا فإننا نقول: لابد من قريش، أما إذا استولى الأمير على الإمرة فإنه لا يجوز منابذته، من أي قبيلةٍ كان؛ لأن الأمر استقر ولا يمكن الخروج عليه إلا بالشرط الذي ذكره النبي بقوله: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدُكُمْ فِيهِ مِنَ اللهِ بُرْهَانٌ»(١٢٣) يعني: ونستطيع أن نزيله عن الحكم) يعني: معه قدرة (وأما بدون استطاعة فإنه لا يجوز أن ننابذه ما دمنا لا نستطيع حتى لو رأينا فيه كفرًا بواحًا مثل الشمس، لأنه يترتب على هذا) وهذه مسألة انتبهوا لها، في كلام العلماء، يقول: إذا كان لا يمكن أن نزيله إلا بشروط، نتركه، يقول: (وأما إذا لا نستطيع، فإنه لا يجوز أن ننابذه ما دمنا لا نستطيع، حتى لو رأينا فيه كفرًا بواحًا مثل الشمس؛ لأنه يترتب على هذا من المفاسد ما هو أعظم وأعظم، ولكن نداريه بالتي هي أحسن حتى إذا تمكنا بدون إراقة دماء أزلناه، وليُعلم أن هناك شيئًا اختياريًّا واضطراريًا، فإذا كانت المسألة على الاختيار فإنه لا يجوز أن يولى أحدٌ إلا من قريش، وأما إذا تأمر أحدٌ من غير قريش فالواجب طاعته لوجود الأدلة الدالة على السمع والطاعة لمن كان أميرًا حتى قوله ﷺ: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنِ اسْتُعْمِلَ حَبَشِيٌّ كَانَ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ»(١٢٤) صريح في أنه إذا تولى الإمارة أحدٌ استتب له الأمر) انتهى كلام الشيخ رَحِمَهُ اللهُ.

---

(١٢٣) أخرجه البخاري: كتاب الأحكام، باب كيف يبايع الإمام الناس (٧١٩٩)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية (١٧٠٩)، من حديث عبادة بن الصامت.

(١٢٤) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب إمامة العبد والمولى (٦٩٣).

(٢٩) ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين فهو خارجي، وقد شق عصا المسلمين، وخالف الآثار، وميتته ميتة جاهلية.

الشرح:

يعني: أمرائهم، الملوك والسلاطين.

قال: ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين فهو خارجي، يعني: من الخوارج الذين جاءت النصوص في التغليظ فيهم، في قول النبي ﷺ: «**تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عِنْدَ فُرْقَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، يَقْتُلُهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ**»(١٢٥) سماهم مارقة، وسماهم السلف: الخوارج، والحرورية.

والعبرة بالصفة التي كانوا عليها، وليست العبرة بكون أن لهم اسم حرورية نسبة إلى حروراء، أو خوارج لأنهم خرجوا عن الجماعة، أو موارق لأنهم مرقوا من الجماعة ومرقوا من الدين، والنبي ﷺ قال: «**يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**»(١٢٦).

قال: وقد شق عصى المسلمين وخالف الآثار وميتته ميتة جاهلية، هذا النص يحكي فيه الإمام معتقد أهل السنة والجماعة، وفيه رد على من أراد أن يصف الخوارج بأنهم لا يكونوا إلا يكفرون؛ بعض الناس يقولون هذا: الخوارج الذين يكفرون المسلمين.

هذا وصفٌ فيهم، قد يكون يكفر المسلمين ولا يخرج عليهم، يكون عنده مقالة.

لكن الذي حذر منه النبي ﷺ هي هذه القضية، قضية الخروج، قال: «**يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ**»(١٢٧).

---

(١٢٥) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب علامة النبوة في الإسلام (٣٦١٠)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم (١٠٦٥).

(١٢٦) أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب عليه السلام، وخالد بن الوليد رضي الله عنه إلى اليمن قبل حجة الوداع (٤٣٥١)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم (١٠٦٤).

(١٢٧) أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب عليه السلام، وخالد بن الوليد رضي الله عنه إلى اليمن قبل حجة الوداع (٤٣٥١)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم (١٠٦٤).

ولذلك النبي ﷺ لما حذر منهم حذر بصفة الخروج، قال: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً» وهذا في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة «مَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عَصَبِيَّةٍ يُقَاتِلُ لِعُصْبَةٍ وَيَغْضَبُ لِعُصْبَةٍ فَقِتْلَتُهُ جَاهِلِيَّةٌ» يغضب لعصبية قبيلة، عصبية جماعة، عصبية حزب، يقاتل لأجلها، أو يغضب لأجلها «يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ»(١٢٨) هذه البيعات، يبايع ثم ينقض ويخرج عليه، هذا يقول النبي ﷺ «فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ».

ولذلك قال الإمام أحمد في أصول السنة في العقيدة التي كتبها، قال: **ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين وقد كانوا اجتمعوا عليه وأقروا بالخلافة، بأي وجهٍ كان، بالرضا أو الغلبة، فقد شق هذا الخارج عصى المسلمين وخالف الآثار عن رسول الله ﷺ، فإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية.**

قال: بأي وجهٍ كان تولى عليهم، بالرضا أو بالغلبة، رضوا به وبايعوه، أو تغلب عليهم وولي انعقدت له البيعة.

وهذا الذي عليه أهل السنة والجماعة.

ولذلك يقول الآجري رحمه الله في الشريعة (١٢٩): (لَمْ يَخْتَلِفِ الْعُلَمَاءُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا) هذه حكاية إجماع، (أَنَّ الْخَوَارِجَ قَوْمُ سُوءٍ عُصَاةٌ لِلَّهِ تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ ﷺ، وَإِنْ صَلَّوْا وَصَامُوا، وَاجْتَهَدُوا فِي الْعِبَادَةِ، فَلَيْسَ ذَلِكَ بِنَافِعٍ لَهُمْ، نَعَمْ ، وَيُظْهِرُونَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِنَافِعٍ لَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ قَوْمٌ يَتَأَوَّلُونَ الْقُرْآنَ عَلَى مَا يَهْوُونَ، وَيُمَوِّهُونَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَقَدْ حَذَّرَنَا اللهُ تَعَالَى مِنْهُمْ، وَحَذَّرَنَا النَّبِيُّ ﷺ، وَحَذَّرَنَاهُمُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ بَعْدَهُ، وَحَذَّرَنَاهُمُ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَالْخَوَارِجُ هُمُ الشُّرَاةُ الْأَنْجَاسُ الْأَرْجَاسُ)،

---

(١٢٨) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر (١٨٤٨) من حديث أبي هريرة.

(١٢٩) الشريعة (١/ ٣٢٥).

كانوا يسمون أنفسهم الشراة، يقولون: نحن شرينا أنفسنا من الله، يتأولون قول الله: إن الله اشترى، وهذا هو الضلال المبين.

قال: (**وَمَنْ كَانَ عَلَى مَذْهَبِهِمْ مِنْ سَائِرِ الْخَوَارِجِ يَتَوَارَثُونَ هَذَا الْمَذْهَبَ قَدِيمًا وَحَدِيثًا، وَيَخْرُجُونَ عَلَى الْأَئِمَّةِ وَالْأُمَرَاءِ وَيَسْتَحِلُّونَ قَتْلَ الْمُسْلِمِينَ**)

مثل داعش هؤلاء، ومن تسمى بهم من الأسماء: القاعدة، والنصرة، وجيش الإسلام، بل منهم من يسمى: أنصار الله.

الحوثيون، يسمون أنفسهم أنصار الله، ينفعهم هذا المسمى؟

الخبيث هذا في لبنان يسمى نفسه حزب الله؛ ينفعه هذا؟

ما ينفعه.

حزب الله الذين وصفهم الله عز وجل.

المهم أن هذا كله يدل على أن مذهب الخوارج هو الخروج على أئمة المسلمين.

(٣٠) ولا يحل قتال السلطان والخروج عليه وإن جاروا، وذلك قول رسول الله ﷺ لأبي ذر: «اصبر، وإن كان عبدا حبشيا».

الشرح:

لأن العرب ما تقبل أن يكون عليها الأمير عبدًا، وأن يكون عبدًا حبشيًا، هذه عندهم مصيبة، وطنهم النبي ﷺ على هذا الأمر لأن مصلحة الإسلام والجماعة والائتلاف، والدماء.

ولذلك الإمام أحمد لما جاؤوه وأرادوا الخروج، قال: **اتقوا الله، الدماء الدماء، هذا خلاف الآثار،** يعني: الخروج، مع أن السلاطين في زمان الإمام أحمد وزمان المؤلف سلاطين سوء، من حيث الاعتقاد في زمن المؤلف كان اعتقاد الجهمية والرافضة هم المتولين على الدولة.

وفي زمن الإمام أحمد الجهمية الذين يأمرون الناس بالكفر، ومع ذلك ما أرادوا أن يشقوا عصى المسلمين.

وقوله للأنصار: «اصبروا حتى تلقوني على الحوض»(١٣٠).

وليس من السنة قتال السلطان؛ فإن فيه فساد الدين والدنيا.

ليس من السنة؛ يعني: ليس من عقيدة الإسلام على طريقة الجماعة.

ولذلك ما سأل حذيفة رسول الله عن الخير والشر: قال: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ»، قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «**قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي، وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ**». يعني: أمراء السوء. «**وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ**».

قال ابن حجر وغيره: هؤلاء الذين يثورون لأجل الملك، يريدون؛ الثورات هذه موجودة.

فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا**»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ: «**نَعَمْ، قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا**»، قُلْتُ: يَا

---

(١٣٠) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب قول النبي ﷺ للأنصار ستلقون بعدي أثرة (٣٧٩٢)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب الأمر بالصبر عند ظلم الولاة واستئثارهم (١٨٤٥).

رَسُولَ اللهِ، فَمَا تَرَى إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»، فَقُلْتُ: فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟

الفرق هذه؛ العصبيات والأحزاب والثورات، ما قال: يخرج ينصر عصبة؛ عصبية؛ ويدعو إلى عصبية، هذه الآن موجودة، جماعة فلان، جماعة آل فلان، الأحزاب، انظروا إلى المسلمين ماذا حصل فيها؟ في ليبيا في سوريا في اليمن؟ أحزاب تتقاتل؛ هؤلاء لهم أمير ويتعصبون له.

قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»

والنبي ﷺ قال: اعتزل تلك الفرق كلها، المسلم يخرج من هذه الفتن ولا يذهب إليها.

العجيب الذي يذهب إليها، يخرج إليها، نسأل الله العافية والسلامة.

ولذلك روى الآجري عن سويد بن غفلة: قَالَ لِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: لَعَلَّكَ أَنْ تُخَلَّفَ بَعْدِي، فَأَطِعِ الْإِمَامَ.

ولا يخفى عليكم أن النبي ﷺ حدث أصحابه بما يكون من الفتن، والفتن التي تموج موج حديث حذيفة؛ قال عمر: أَيُّكُمْ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَذْكُرُ الَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ؟ قَالَ حُذَيْفَةُ: فَأَسْكَتَ الْقَوْمُ، فَقُلْتُ: أَنَا، قَالَ: أَنْتَ لِلَّهِ أَبُوكَ قَالَ حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ»، قَالَ حُذَيْفَةُ: وَحَدَّثْتُهُ، أَنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا يُوشِكُ أَنْ يُكْسَرَ، قَالَ عُمَرُ: أَكَسْرًا لَا أَبَا لَكَ؟ فَلَوْ أَنَّهُ فُتِحَ لَعَلَّهُ كَانَ يُعَادُ، قُلْتُ: لَا بَلْ يُكْسَرُ، وَحَدَّثْتُهُ أَنَّ ذَلِكَ الْبَابَ رَجُلٌ يُقْتَلُ أَوْ يَمُوتُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ (١٣١).

---

(١٣١) أخرجه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلاة كفارة (٥٢٥)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا، وأنه يأرز بين المسجدين (١٤٤).

ويعلمون؛ النبي أخبرهم بذلك، وأخبرهم النبي ﷺ لما أَشْرَفَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أُطُمٍ مِنْ آطَامِ الْمَدِينَةِ ؛ الحصن الكبير حول المدينة،، فَقَالَ: «هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى؟» قَالُوا: لَا. قَالَ: «فَإِنِّي لَأَرَى الْفِتَنَ تَقَعُ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ كَوَقْعِ الْقَطْرِ»(١٣٢).

يحذرهم من القتل.

وقال: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»(١٣٣).

كل هذا كان يحذر منه.

فقال عمر لسويد بن غفلة: لَعَلَّكَ أَنْ تُخَلَّفَ بَعْدِي، فَأَطِعِ الْإِمَامَ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا وَإِنْ ضَرَبَكَ فَاصْبِرْ، وَإِنْ حَرَمَكَ فَاصْبِرْ، وَإِنْ دَعَاكَ إِلَى أَمْرٍ مَنْقَصَةٍ فِي دُنْيَاكَ فَقُلْ: سَمْعًا وَطَاعَةً، دَمِي دُونَ دِينِي.

إذا كان فيه أمر نقص الدين ما يخالف؛ سمعٌ وطاعةٌ، لكن الدين لا؛ لا تطع في معصية الله.

قال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ («وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ وأُخذ مالك» فيه دليل على وجوب طاعة الأمراء، وإن بلغوا في العسف والجور إلى ضرب الرعية وأخذ أموالهم فيكون هذا مخصصًا لقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة:١٩٤] وقوله: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى:٤٠] لأن الله أذن فيمن اعتدى علينا أن نرده؛ إلا الإمام لا يجوز، لأن فيه الخروج، ولذلك حكى ابن عبد البر أن حديث «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ، أَوْ دُونَ دَمِهِ، أَوْ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»(١٣٤) قال: هذا في غير الأمراء)(١٣٥).

---

(١٣٢) أخرجه البخاري: كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: «وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدْ اقْتَرَبَ» (٧٠٦٠)، ومسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب نزول الفتن كمواقع الفتن (٢٨٨٥)، من حديث أسامة بن زيد.

(١٣٣) أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب حجة الوداع (٤٤٠٥)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان معنى قول النبي ﷺ: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا» (٦٥).

(١٣٤) أخرجه البخاري: كتاب المظالم والغصب، باب من قاتل دون ماله (٢٤٨٠)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من قصد أخذ مال غيره بغير حق كان القاصد مهدر الدم (١٤١)، من حديث عبد الله بن عمرو.

(١٣٥) نيل الأوطار (٧/ ٣٦٠).

فقه السلف في غير الأمراء، بمعنى أنه: لا يخرج عليهم، في غير الفتنة.

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ في التمهيد (٢١/ ٢٨٢): (الْآثَارُ الْمَرْفُوعَةُ فِي هَذَا الْبَابِ كُلُّهَا تَدُلُّ عَلَى أَنَّ مُفَارَقَةَ الْجَمَاعَةِ وَشَقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ وَالْخِلَافَ عَلَى السُّلْطَانِ المجتمع عليه ويريق الدَّمَ وَيُبِيحُهُ وَيُوجِبُ قِتَالَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ).

لماذا؟

لأن النبي ﷺ قال: «من أتاكم وأمركم جميع..

النبي ﷺ أباح دمه كما في صحيح مسلم.

وكذلك في الصحيحين: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ»(١٣٦) فأباح دمه، وهكذا.

إلى أن قال رَحِمَهُ اللهُ: (فَكَذَلِكَ مَنْ شَقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ وَخَالَفَ إِمَامَ جَمَاعَتِهِمْ وَفَرَّقَ كَلِمَتِهِمْ لِأَنَّ الْفَرْضَ الْوَاجِبَ اجْتِمَاعُ كَلِمَةِ أَهْلِ دِينِ اللهِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى مَنْ خَالَفَ دِينَهُمْ مِنَ الْكَافِرِينَ حَتَّى تَكُونَ كَلِمَتُهُمْ وَاحِدَةً وَجَمَاعَتُهُمْ غَيْرَ مُفْتَرِقَةٍ).

وقال النووي رَحِمَهُ اللهُ: (وَأَمَّا الْخُرُوجُ عَلَيْهِمْ وَقِتَالُهُمْ فَحَرَامٌ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ وَإِنْ كَانُوا فَسَقَةً ظَالِمِينَ وَقَدْ تَظَاهَرَتِ الْأَحَادِيثُ بِمَعْنَى مَا ذَكَرْتُهُ.

وَأَجْمَعَ أَهْلُ السُّنَّةِ أَنَّهُ لَا يَنْعَزِلُ السُّلْطَانُ بِالْفِسْقِ... إلخ كلامه رَحِمَهُ اللهُ)(١٣٧).

وقال الطحاوي في العقيدة التي رقمها قال: (وَلَا نَرَى الْخُرُوجَ عَلَى أَئِمَّتِنَا وَوُلَاةِ أُمُورِنَا وَإِنْ جَارُوا، وَلَا نَدْعُوا عَلَيْهِمْ)(١٣٨).

---

(١٣٦) أخرجه البخاري: كتاب الديات – باب قول الله تعالى: {أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ} (٦٨٧٨)، ومسلم: كتاب القسامة – باب ما يباح به دم المسلم (١٦٧٦) عن ابن مسعود.

(١٣٧) شرح النووي على مسلم (١٢/ ٢٢٩).

(١٣٨) العقيدة الطحاوية ص/ ٨٢.

الآن كثير من الناس إذا غضب على السلطان، حتى ولو كان لله، يدعو عليه، لعنه، أخذه، فعل به؛ ما يجوز هذا، إنما أمرنا بالدعاء لهم بالتوفيق والصلاة، وأن يعطفهم الله على الرعية.

ما ندعوا عليهم؛ إذا دعونا عليهم ازدادوا شرًّا، وتحولوا من فسقة إلى فجرة إلى طغاة إلى ظلمة.

ما ينبغي للإنسان أن يغفل عن هذه الجوامع.

(ولا ندعوا عَلَيْهِمْ وَلَا نَنْزِعُ يَدًا مِنْ طَاعَتِهِمْ وَنَرَى طَاعَتَهُمْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَرِيضَةً مَا لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَةٍ وَنَدْعُو لَهُمْ بِالصَّلَاحِ والمعافاة.

سُتُّونَ سَنَةً بِإِمَامٍ ظَالِمٍ خَيْرٌ من ليلةٍ واحدةٍ بلا إمام).

وهذه كلمة مشهورة عن الأمام أحمد أيضًا: ستون سنة بإمامٍ جائر ولا ليلة بلا إمام.

ودعوني أضرب لكم مثالًا: أكثر من أربعين سنة وأهل ليبيا تحت القذافي في جوره وظلمه وفسقه وكفرياته، والآن بلا إمام، كيف حالهم الآن وكيف حالهم في ذلك الوقت؟

هذه الأمور يجعلها الله لنا عبرًا بين أيدينا نراها بأعيننا، نسأل الله أن يصلح أحوال المسلمين وأن يرفع عنهم البلاء.

وصح عن الفضيل بن عياض أنه كان يقول: لو كانت لي دعوة مستجابة لجعلتها للسلطان.

وذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية عن الإمام أحمد أيضًا.

وهنا قصة مفيدة أن نعرضها هنا، ذكره الخلال عن الإمام أحمد، قال:

(وَأَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ عِيسَى، قَالَ: سَمِعْتُ حَنْبَلًا -حنبل بن إسحاق، ابن عم الإمام أحمد-. يَقُولُ فِي وِلَايَةِ الْوَاثِقِ: اجْتَمَعَ فُقَهَاءُ بَغْدَادَ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ، أَبُو بَكْرِ بْنُ عُبَيْدٍ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيٍّ الْمَطْبَخِيُّ، وَفَضْلُ بْنُ عَاصِمٍ، فَجَاءُوا إِلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ، فَاسْتَأْذَنْتُ لَهُمْ، فَقَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، هَذَا الْأَمْرُ قَدْ تَفَاقَمَ وَفَشَا، يَعْنُونَ إِظْهَارَهُ لِخَلْقِ الْقُرْآنِ وَغَيْرِ ذَلِكَ)

البدع والضلالات والكفريات، وإلزام الناس بالقول بخلق السلف، وقد أجمع السلف على كفر من قال ذلك.

(فَقَالَ لَهُمْ أَبُو عَبْدِ اللهِ: فَمَا تُرِيدُونَ؟ قَالُوا: أَنْ نُشَاوِرَكَ فِي أَنَّا لَسْنَا نَرْضَى بِإِمْرَتِهِ، وَلَا سُلْطَانِهِ، فَنَاظَرَهُمْ أَبُو عَبْدِ اللهِ سَاعَةً، وَقَالَ لَهُمْ: «عَلَيْكُمْ بِالنَّكِرَةِ بِقُلُوبِكُمْ، وَلَا تَخْلَعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، وَلَا تَشُقُّوا

عَصَا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَسْفِكُوا دِمَاءَكُمْ وَدِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ مَعَكُمْ، انْظُرُوا فِي عَاقِبَةِ أَمْرِكُمْ، وَاصْبِرُوا حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ، أَوْ يُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِرٍ»، وَدَارَ فِي ذَلِكَ كَلَامٌ كَثِيرٌ لَمْ أَحْفَظْهُ وَمَضَوْا، وَدَخَلْتُ أَنَا وَأَبِي عَلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ –عم الإمام أحمد، إسحاق، حنبل– بَعْدَمَا مَضَوْا، فَقَالَ أَبِي لِأَبِي عَبْدِ اللهِ: نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ لَنَا وَلِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ، وَمَا أُحِبُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَفْعَلَ هَذَا، وَقَالَ أَبِي: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، هَذَا عِنْدَكَ صَوَابٌ، قَالَ: لَا، هَذَا خِلَافُ الْآثَارِ الَّتِي أُمِرْنَا فِيهَا بِالصَّبْرِ، ثُمَّ ذَكَرَ أَبُو عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ ضَرَبَكَ فَاصْبِرْ، وَإِنْ... وَإِنْ فَاصْبِرْ»، فَأَمَرَ بِالصَّبْرِ، قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ: وَذَكَرَ كَلَامًا لَمْ أَحْفَظْهُ) (١٣٩).

يعني: أورد الآثار التي عن النبي ﷺ في الصبر، وهذه القضية كما تعلمون، الإمام أحمد جُلد فيها حتى كاد أن يموت، ومات فيها أئمة، مات البويطي صاحب الشافعي، جيء به من مصر وحُبس حتى يقول بخلق القرآن، فأبى حتى مات تحت السياط، ونعيم بن حماد شيخ البخاري جيء به ومات، ومات فيها محمد بن نصر، قتله المعتصم بيده، ومات فيها أحمد بن نوح، كل هؤلاء قتلوا بالظلم على الكفر، الإمام أحمد جُلد وحُبس ثمانية وعشرين شهرًا، فلما كاد أن يموت، قالوا: أخرجوه حتى يموت في بيته، ولا يموت والناس يتتصرون لقوله.

ومع ذلك الإمام أحمد يقول: اصبروا حتى يستريح بر ويستراح من فاجر.

لما جاء المتوكل، بعد أن هلك المأمون وهلك المعتصم وهلك الواثق بعده وهم على هذه الضلالات، ثم جاء المتوكل فرفع الفتنة، نفع الله به، ورفع الفتنة عنه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (وَلِهَذَا كَانَ الْمَشْهُورُ مِنْ مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّهُمْ لَا يَرَوْنَ الْخُرُوجَ عَلَى الْأَئِمَّةِ وَقِتَالَهُمْ بِالسَّيْفِ وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ ظُلْمٌ كَمَا دَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ الْمُسْتَفِيضَةُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ؛ لِأَنَّ الْفَسَادَ فِي الْقِتَالِ وَالْفِتْنَةِ أَعْظَمُ مِنَ الْفَسَادِ الْحَاصِلِ بِظُلْمِهِمْ بِدُونِ قِتَالٍ وَلَا فِتْنَةٍ فَلَا يُدْفَعُ أَعْظَمُ الْفَسَادَيْنِ بِالْتِزَامِ أَدْنَاهُمَا وَلَعَلَّهُ لَا يَكَادُ يُعْرَفُ طَائِفَةٌ خَرَجَتْ عَلَى ذِي سُلْطَانٍ، إِلَّا وَكَانَ فِي

---

(١٣٩) السنة للخلال (١/ ١٣٣).

خُرُوجِهَا مِنَ الْفَسَادِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْفَسَادِ الَّذِي أَزَالَتْهُ) هذا ذكره في منهاج السنة المجلد الثالث ص/ ٣٩١ [١٤٠].

ولذلك فتنة ابن الأشعث، خرج معه أربعمائة قارئ، لكنها كانت النكبة عليهم، وجُعلوا ذليلين، حتى أن ابن الأشعث ذهب ولجأ إلى الروم، وكان شعاره الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والخروج على الحجاج السفاح السفاك، واغتروا به، ثم كُسروا، وهُزموا؛ لأنهم خالفوا الآثار، أرادوا أن ينقضوا دولة الإسلام بهذه الخروجات والفتن، صارت فتنة ومقاتل، فهرب ابن الأشعث إلى الروم عند رتبيل، فلما اشترط عليه الحجاج أنه لا يتصالح معه إلا أن يسلمه ابن الأشعث فغدر به وجاء به مكبلًا، فلما علم أنه سيسلمونه للحجاج، رمى نفسه من سطحٍ فمات منتحرًا.

نسأل الله العافية والسلامة.

---

(١٤٠) منهاج السنة النبوية (٣/ ٣٩١).

(٣١) ويحل قتال الخوارج إذا عرضوا للمسلمين في أنفسهم وأموالهم وأهاليهم، وليس له إذا فارقوه أن يطلبهم، ولا يجهز على جريحهم ولا يأخذ فيئهم، ولا يقتل أسيرهم، ولا يتبع مدبرهم.

الشرح:

هل إذا خرج الخوارج يجوز قتلهم؟

نعم؛ لأن النبي ﷺ أمر بذلك، قال: «لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»(١٤١).

فدل على ذلك، وأجمع الصحابة على قتالهم مع عليٍّ رضي الله عنه، لكن إذا عرضوا للمسلمين، لكن إذا لا يعرضوا للمسلمين فلا يُقاتلون؛ لأنه تُثار فتن، لكن يُنصاحون بترك الفكر الذي هم عليه.

(٣٢) واعلم – رحمك الله – أنه لا طاعة لبشر في معصية الله عز وجل. من كان من أهل الإسلام، ولا يشهد على أحد ولا يشهد له بعمل خير ولا شر، فإنك لا تدري بما يختم له، ترجو له، وتخاف عليه ولا تدري ما يسبق له عند الموت إلى الله من الندم، وما أحدث الله في ذلك الوقت إذا مات على الإسلام ترجو له رحمة الله، وتخاف عليه ذنوبه، وما من ذنب إلا وللعبد منه توبة.

الشرح:

هنا مسألة: أنه لا طاعة لبشر في معصية الله، استدرك المصنف أنه لما أمر بطاعة ولاة الأمور وأنه لا يجوز الخروج عليهم، حتى لا يفهم أحدٌ أنهم يُطاعون مطلقًا حتى في المعصية، قال؛ لا؛ النبي ﷺ قال: «إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ»، وقال: «لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ»، وهذا النص عام؛ «لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ» هذا عام في الولاة في العلماء في الوالدين في كل من أمر بمعصية الله؛ فلا طاعة.

---

(١٤١) أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب عليه السلام، وخالد بن الوليد رضي الله عنه إلى اليمن قبل حجة الوداع (٤٣٥١)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم (١٠٦٤).

ثم قال: ولا يشهدوا على أحدٍ يعني: بأنه من أهل النار أو بأنه كافر، معين؛ هذا لا نشهد على أحدٍ معين بجنة ولا نار، ولا يشهد له بعمل خير ولا شر، لا يقال: مؤمن أو كافر أو فاسق أو صالح، ما دام أنه مسلم؛ على الإسلام؛ لأنه يقول: لا تدري بما يُختم له به.

قد يكون فاسقًا فيُختم له بالتوبة، فيكون من أولياء الله، وقد يكون صالحًا فيختم له بضد الله، فيكون من أعداء الله.

كما في حديث ابن مسعود: بعمل أهل الجنة..

لذلك لا يُشهد له، هذه عقيدة أهل السنة والجماعة؛ إلا من شهد له الله ورسوله:

مثلًا: ذكر الله الأنبياء في الجنة؛ فما يحتاج.

وذكر مريم صديقة، ولقمان، وذكر من ذكر من الصالحين فهؤلاء نشهد لهم.

كما أنه ذكر فرعون من الكفار، فنشهد عليه أنه في النار، وكذلك أبو لهب، في القرآن منصوص عليه، وهكذا ما نص عن النبي ﷺ بالعشرة المبشرين بالجنة، ومن ذكرهم، فهنا نشهد لهم بما شهد لهم به رسول الله ﷺ.

أما في العموم: فنشهد للمؤمنين بأنهم من أهل الجنة، ونشهد للكفار بالعموم أنهم من أهل النار.

ولذلك يقول الله عز وجل في الصحابة: ﴿ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [النساء:٩٥] يعني: الجنة، فهذا نشهد لهم في العموم، ونحن نعلم أنهم كلهم موعودون بالجنة.

وننص على من نص عليهم رسول الله ﷺ بأعيانهم.

هذا خلاصة هذه المسألة.

(٣٣) والرجم حق.

(٣٤) والمسح على الخفين سنة.

(٣٥) وتقصير الصلاة في السفر سنة.

(٣٦) والصوم في السفر؛ من شاء صام ومن شاء أفطر.

(٣٧) ولا بأس بالصلاة في السراويل.

الشرح:

هذه مسائل من الفقه ذكرها في العقيدة مخالفةً لأهل البدع.

الرجم حق، والخوارج تنكر الرجم، ما يرجم الزاني عندهم فقط الجلد، والرجم هذا ليس في القرآن؛ لأنهم يردون الأحاديث، فلذلك ذكرها لمخالفة الخوارج، والأحاديث فيها صحيحة متواترة، ورجم النبي ﷺ ورجم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، هذا محل إجماع.

كما قال عمر: «وَالشَّيْخُ وَالشَّيْخَة إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا الْبَتَّةَ نَكَالًا مِنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ»[١٤٢].

نسخت لفظًا وبقيت حكمًا.

وكذلك: المسح على الخفين سنة، مخالفة للروافض، وهو سنة لأنه ليس بواجب.

يقول النووي رحمه الله: (أَجْمَعَ مَنْ يُعْتَدُّ بِهِ فِي الْإِجْمَاعِ عَلَى جَوَازِ الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ سَوَاءٌ كَانَ لِحَاجَةٍ أَوْ لِغَيْرِهَا)[١٤٣].

وهذه ذكرها لمخالفة الخوارج والشيعة الذين ينكرون المسح على الخفين، لكن أهل السنة والجماعة مجمعون على ذلك، وجاء فيه الأحاديث عن النبي ﷺ عن أكثر من أربعين صحابي، فهو أمر مفروغ منه، وحديثه متواتر.

---

(١٤٢) أخرجه البخاري: كتاب الحدود، باب الرجم بالمصلى (٦٨٢٠)، ومسلم: كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنى (١٦٩١).

(١٤٣) شرح النووي على مسلم (٣/ ١٦٤).

وكذلك: قصر الصلاة في السفر سنة، خلافًا للمتنطعة من الخوارج، ثابتة في القرآن، ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [النساء:١٠١].

وثابتة متواترة عن النبي ﷺ، وثبت ذلك في سفر غزوٍ وغيره، حتى في سفر الحج.

كذلك: الصوم في السفر من شاء أفطر ومن شاء صام، كما في القرآن والسنة.

كذلك: لا بأس للصلاة في السراويل خلافا للخوارج والإسماعيلية من الرافضة الذين لا يجيزون الصلاة في السراويل، بل هذا محل إجماع من الصحابة والتابعين.

(٣٨) والنفاق أن تظهر الإسلام باللسان وتخفي الكفر.

الشرح:

هذا تعريف النفاق.

والنفاق نوعان:

النفاق الأكبر والنفاق الأصغر.

النفاق الأكبر، هو الذي ذكره المصنف، إظهار الإسلام وإخفاء الكفر، سواءً كان كفرًا كليًّا أو جزئيًّا.

الكفر الكلي أن يكفر بالإسلام، أو يكفر بالرسول، وكذا.

والجزئي أن ينكر أو يشك في بعض الشرائع الثابتة في القرآن و السنة أو بعض الغيبيات، ويتظاهر أمام الناس أنه مؤمن بها، فهذا كفرٌ، وإن كان في جزئية من جزئيات الشريعة.

لابد من التسليم الكامل، لأن الله يقول: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥].

النفاق الأصغر: هو النفاق العملي، أن يعمل بأعمال النفاق، إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان وإذا خاصم فجر كما في الحديث، أو غيرها من الصفات التي هي أفعال المنافقين لكن لا تخرج من الإسلام.

لماذا سميت نفاقًا وهي معاصي؟

لأنه يتظاهر بالأمانة وهو يغدر، يتظاهر بالصدق وهو يكذب، ويعاهد ويغدر؛ لأنه لما عاهد على أنه سيفي، إذن هذا نفاق.

(٣٩) واعلم أن الدنيا دار إيمان وإسلام، فأمة محمد ﷺ فيها مؤمنون مسلمون في أحكامهم ومواريثهم (وذبائحهم) والصلاة عليهم، لا تشهد لأحد بحقيقة الإيمان حتى يأتي بجميع شرائع الإسلام.

الشرح:

هذه المسألة، أيش علاقة هذه القضية؛ الدنيا دار إسلام، العلماء يقولون: دار حرب أو دار إسلام، دار حرب يعني الدولة الكافرة الذين بيننا وبينهم حرب والولاية لهم كفر وأهلها كفار هذه دار حرب.

دار إسلام: إذا كان عليها ولاية أهل الإسلام، أهلها أهل إسلام.

لكن المصنف قال: الدنيا، معقول الدنيا كلها، الكرة الأرضية كلها؟ هل هذا الذي يريده المصنف؟

ما هذا الذي يريده المصنف، المصنف أراد أن يرد على الرافضة والخوارج، لأن الرافضة يرون أن جميع ما يسمونه العامة، يلحقون أهل السنة الذين يسمونهم العامة بالكفار، ولا مسلم عندهم إلا أفرادهم هم، وليست لهم دولة خاصةً في ذلك الزمان، فيرون أن الدنيا كفر حتى يأتي المهدي الإمام الذي ينتظرونه، فيأتي الإسلام، هذا الذي يقول فيه: الدنيا دار إيمان.

كذلك الخوارج، يقولون: الدنيا دار كفر، إلا أفراد منهم متفرقين فيرون أنهم هم على أفرادهم، فيحكمون على الأرض بأنها دار كفر.

ولذلك كل قرية يغزونها يستبيحونها باعتبار أنهم كلهم كفار.

وهذا حصل في هذا الزمان، داعش يرون الأرض دار كفر، فيأخذون ويقتلون في المسلمين، ويحكمون على أنفسهم شذاذهم أنهم مسلمون.

ولذلك من كبرائهم وهو من يعيش في بريطانيا أبو قتادة المقدسي، كان يفتيهم، حتى كان يفتيهم في فتنة الجزائر التي كانت فيما مضى في العقد الماضي هذا، يقول: اقتلوا، واسبوا، خذوا الصبيان والنساء؛ لأنه يقول: صارت فتنة وخروج، حتى يغزون على القرى، ويقتلون حتى الصبيان؛ لأنهم حكموا على أنه لم يبق من المسلمين إلا هؤلاء.

هذه يرد الشيخ عليها، قال: الدنيا دار إيمان وإسلام؛ لأن الإسلام موجود، ما نحكم على هذا، هذا مذهب الخوارج، وليس مذهب المسلمين.

فأمة محمد ﷺ فيها مؤمنون مسلمون في أحكامهم ومواريثهم وذبائحهم، يرث المسلم المسلم، لو كانوا كفار لقلنا: هذا مؤمن وهذا كافر؛ لأنه عاصي، هذا مذهب الخوارج، مادام عاصي يخرجونه فلا يورثونه.

نقول: لا، ما لم يظهر منه كفره.

ذبائحهم وأنكحتهم كذلك، النبي ﷺ كان فيه منافقون في ذمنه، كانوا يصلون مع المسلمين، وكانوا يتزوجون من مؤمنات، وآبائهم يتوارثون، عاملهم معاملة ما يظهرون، ودفنهم وصلى على بعضهم؛ بحكم الظاهر.

ولا نشهد لأحد بحقيقة الإيمان، أنه مؤمن حقًّا، لأنه خفي؛ حتى يأتي بجميع شرائع الإسلام، هنا نقول: تم له حقيقة الإيمان، وهذا الصفة تنطبق على الصحابة؛ لأن الله يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات:١٥] إذن الصفة فيها ضيق.

هؤلاء هم المؤمنون حقًّا.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾﴾.

هذه الصفة الكاملة؛ لكن يطلق عليه مؤمن باعتبار الاسم.

قال النبي ﷺ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ»[١٤٤] هذا يدل على أنه انتفى عنه كمال الإيمان وتمامه الواجب.

وأيضًا يوصفون بأنهم مؤمنون: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا﴾ فعلوا كبيرة ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩﴾ [الحجرات:٩].

فإن قصر في شيء من ذلك كان ناقص الإيمان حتى يموت.

فإن قصر فهو ناقص الإيمان، بخلاف مذهب الخوارج والمعتزلة الذين يقولون: خرج من الإسلام.

وعلم إيمانه إلى الله تعالى: تام الإيمان أو ناقص الإيمان، إلا ما ظهر لك من تضييع شرائع الإسلام.

العلم أنه كامل الإيمان أو غيره هذا إلى الله.

ويذكر هذه المسألة لأن الخوارج يقولون في التكفير، والمرجئة يقولون: من صدق وشهد أن لا إله إلا الله مؤمن كامل الإيمان.

لا؛ والعبرة لابد من حقائق الدين والإتيان بشرائع الإسلام.

يقول: لا تحكم أنه كامل الإيمان أو ناقص الإيمان عند الله؛ إلا ما ظهر لك من تضييع شرائع الإسلام، فإن رأيت رجلًا فاسقًا فهذا لا يمكن أن تصفه بأنه مؤمن كامل الإيمان، لكن يمكن أن تصفه مؤمن على التسمية بمعنى أنه: مسلم.

قال النبي للجارية:: «أَيْنَ اللهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ قَالَ: «مَنْ أَنَا؟» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ قَالَ: «هِيَ مُؤْمِنَةٌ فَأَعْتِقْهَا»[١٤٥].

---

(١٤٤) أخرجه البخاري: كتاب الحدود، باب إثم الزناة (٦٨١٠)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي، ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله (٥٧)، من حديث أبي هريرة.

(١٤٥) أخرجه مسلم: كتاب المساجد مواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته (٥٣٧).

ما أراد مؤمنة كاملة الإيمان؛ لأنه ما يعرف منها إلا الإقرار ؛ الدخول في الإسلام، فيجوز أن تسميه مؤمنًا.

ولذلك إن كان فاسقًا يقولون: مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته.

بمعنى: لوجاء شخص يريد أن يشهد الشهادة، الشهادة لابد له من العدالة، فلو جاء من عُرف أنه فاسق يأكل الربا، وجاء يشهد قلنا: لا، هذا فاسق.

يقول: تكفروني؟

نقول: لا، أنت مسلم، لا نكفرك، لكن لست تنطبق عليه الشهادة، لكن يصح أن نسميه فاسق، وهو مؤمن بإيمانه أو بإسلامه لكن ليس الإيمان الذي يسمى به الوصف التام.

يقول أبو بكر الإسماعيلي في عقيدته «اعتقاد أهل السنة والجماعة»: (**ويرى أهل السنة الدار دار إسلام لا دار كفر، كما رأتها المعتزلة، ما دام النداء بالصلاة والإقامة ظاهرين، وأهلها ممكنين منها آمنين**).

المعتزلة والخوارج والرافضة هم الذين يرون أنها دار كفر.

(٤٠) والصلاة على من مات من أهل القبلة سنة: المرجوم، والزاني، والزانية، والذي يقتل نفسه، وغيرهم من أهل القبلة، والسكران وغيره، الصلاة عليهم سنة.

الشرح:

سنةٌ بمعنى أنها مشروعة، وأنها تجب في حالٍ وتستحب في حالٍ وتكره في حالٍ.

الزاني: لا يجوز أن يُترك المسلم بلا صلاة، يجب أن يُغسل ويُكفن ويُصلى عليه ويُدفن. هذا واجب، هذا حق المسلم على المسلم ما دام أنه مسلم.

يبقى: من الذي يصلي عليه؟

لا يصلي عليه القاضي، إمام المسلمين، العالم المعروف؛ لأن النبي ﷺ لم يصل على الرجل الذي غلَّ من الغنيمة، ولم يصل على من ليس لها وفاء دين؛ ليردعهم عن أخذ أموال الناس وعدم الوفاء؛ لأجل هذا الشيء.

أما أن يتركه بلا صلاة، فمن الذي صلى على هؤلاء؛ الغال ومن لم يترك وفاء دين؟

الصحابة، أنت تريد أن تكون أفضل من الصحابة فلا تصلي على العاصي؟

لا، أنت لست أفضل من الصحابة، صلى عليهم أبو بكرٍ وعمر، لكن امتنع النبي ﷺ فانزجر الناس عن ذلك.

لذلك يقول العلماء: الذي ينبغي للقاضي والوالي والعالم أن يحتجب عنه لينزجر الناس.

مثل لو قدموا صاحب بدعة، معروفه أنه ليس بكافر، بل مسلم، ما يصلي عليه العالم، يصلي عليه المسلمون، لو ترك بلا صلاةٍ يأثمون.

قال: المرجوم، يعني: في الزنى، والزاني لو مات ولم يرجم وهو مصر على الفواحش، والذي يقتل نفسه؛ المنتحر، وغيره من أهل القبلة؛ السكران وغيرهم؛ الصلاة عليهم سنة؛ أي: شريعة ماضية.

(٤١) ولا نخرج أحدا من أهل القبلة من الإسلام حتى يرد آية من كتاب الله، أو يرد شيئا من آثار رسول الله ﷺ، أو يذبح لغير الله، أو يصلي لغير الله، فإذا فعل شيئا من ذلك فقد وجب عليك أن تخرجه من الإسلام، وإذا لم يفعل شيئا من ذلك فهو مؤمن مسلم بالاسم لا بالحقيقة.

الشرح:

هذا تفصيلٌ جيدٌ.

الأولى يقول: لا نخرج أحد من أهل القبلة من الإسلام حتى يرد آية، وهي أحسن من يقول: لا نكفره بذنب، فإن الذنوب تختلف؛ لكنهم كانوا يقصدون بذنب؛ يعني: مما دون الكفر من الذنوب.

لكن هنا المصنف فصل، قال: حتى يرد آيةً من كتاب الله، أو يرد شيئًا من آثار رسول الله، الثابتة الصحيحة، يذكر له حديث الحوض أو القبر أو الدجال فيرده وما يقبله، هذا يُكفر؛ لأنه أنكر ما ثبت تواترًا وعليه جماعة أهل الإسلام.

أما إذا اشتبه عليه الأمر، بمعنى: اشتبه عليه صحة الحديث، فهذا يُعذر من هذه الحيثية.

قال: أو يذبح لغير الله، هذا حكاية أن الذبح لغير الله مخرج من الملة، وهذا بنص القرآن.

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر:٢]. هذه عبادة، وصرف العبادة لغير الله كفرٌ مخرج من الملة، والنبي ﷺ قال: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ»(١٤٦).

أو يصلي لغير الله.

فإذا فعل شيئًا من ذلك فقد وجب عليك أن تخرجه من الإسلام؛ يعني: إذا ثبت ذلك عليه ونُبه على ذلك، فأصر؛ نُبه أن الحديث متواتر عن النبي ﷺ، نُبه على أن هذه الآية التي رددتها هي قراءة ثابتة متواترة عن النبي ﷺ فكيف تنكرها؟

فيُثبت له.

وهكذا لما ذبح لغير الله، قيل له: ما يجوز، الذبح كفر، وأورد عليه الأدلة، ثم أصر.

---

(١٤٦) أخرجه مسلم: كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله (١٩٧٨).

ليس المقصود أن تهجم مباشرة على من فعل ذلك فتكفره مباشرة، فقد يكون له عذر وأنت لا تدري؛ لأن التفكير له ضوابط، وله شروط وموانع تمنعه.

ولذلك قال العلماء: من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر.

يقصدون بالمشركين من ثبت كفرهم، وليس المقصود الترامي بالشرك أو الكفر، لا، هذا ما يجوز.

وهو ذكر نماذج من الكفريات، والعلماء ذكروا أشياء كثيرة في باب حكم المرتد، تجد شيئًا كثيرة.

وكذلك نواقض الإسلام العشرة المشهورة هذه أصول الكفريات.

وإذا لم يفعل شيئًا من الكفريات فهو مؤمن مسلم، ومؤمن بمعنى مسلم، إذا كان يعصي ولم يفعل ذلك، فهو مؤمن بالاسم لا بالحقيقة، الحقيقة يقصد بها كمال حقيقة الإيمان، التي قال فيها النبي ﷺ:

قال النبي ﷺ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ»(١٤٧)

يعني: قوله عز وجل: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗا ﴾ [الأنفال:٤].

أما أن يوصف العاصي بأنه مؤمن، فالله ذكر ذلك في كتابه، ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ ﴾ [الحجرات:٩] فنص على أنهم مؤمنين وأنهم يقتتلون.

---

(١٤٧) سبق تخريجه.

(٢٩) وكل ما سمعت من الآثار شيئًا مما لم يبلغه عقلك نحو قول رسول الله ﷺ:«قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن عز وجل» وقوله «إن الله ينزل إلى السماء الدنيا» «وينزل يوم عرفة» «وينزل يوم القيامة» «وإن جهنم لا يزال يطرح فيها حتى يضع عليها قدمه جل ثناؤه» وقول الله تعالى للعبد «إن مشيت إلي هرولت إليك» وقوله «خلق الله آدم على صورته». وقول رسول الله ﷺ «رأيت ربي في أحسن صورة» وأشباه هذه الأحاديث فعليك بالتسليم والتصديق والتفويض والرضا ولا تفسر شيئا من هذه بهواك فإن الإيمان بهذا واجب فمن فسر شيئا من هذا بهواه ورده فهو جهمي.

الشرح:

هذه الجُملة فيها إجمال قاعدة التسليم لما جاء في الكتاب والسنة في الأسماء والصفات، أو الآثار، أو الغيوب المذكورة.

قال: (**وكل ما سمعتَ من الآثار**) أي من الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ (**شيئًا مما لم يبلُغه عقلك**) يعني قد لا يُدركه عقلك، كيف هو؟ كيف كذا؟ فهذا يقول: ليس لك فيه إلا التسليم.

ثم ضرب أمثلة نحو قول رسول الله ﷺ: «**قُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهَا كَيْفَ يَشَاءُ**»(١٤٨).

العقل لا يدرك كيف هذا، الكيفية، لكن نحن نصدق، كما أخبرنا ربنا، وأخبرنا رسوله ﷺ، ففيها إثبات الأصابع لله عز وجل، ولا يعني ذلك المُماسَّة، بأن الله لا يحلُّ في شيءٍ من خلقه، ولا يَحل به شيئًا من خلقه.

هذه قاعدة وأصل نتمسك به معنا، وهي قضية الحلول والاختلاط، إنَّ أجمع السلف على أن الله لا يحلُّ في شيءٍ من خلقه، ولا يحل فيه شيءٌ من خلقه.

فإذًا نؤمن بهذا الأصل، ونؤمن بما أخبر به النبي ﷺ، كما قال الشافعي: آمنتُ بالله، وما جاء عن الله، على مراد الله، وآمنتُ برسول الله ﷺ، على ما جاء عن رسول الله ﷺ، على مراده.

---

(١٤٨) أخرجه مسلم: كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء (٢٦٥٤).

وقوله: «إن الله تبارك وتعالى يُنزل إلى سماء الدنيا»(١٤٩).

و«ينزلُ يوم عرفة»(١٥٠).

و«يوم القيامة»(١٥١).

و«أنَّ جهنم لا تزال يُطرح فيها حتى يضع عليها الجبار جل وعلا رجله(١٥٢)، أو قدمه»(١٥٣) -كما في اختلاف الروايات-.

وهكذا قوله: «إذا مشيت إليَّ هرولتُ إليك»، «وأن الله ينزلُ يوم عرفة، أن الله خلق آدم على صورته، كل هذه، ورأيتُ ربي في أحسن صورة».

كل هذه وأشباهها يقول: (فعليك بالتسليم، والتصديق، والتفويض، والرضا).

والتفويضُ المراد به في كلام المصنف هو المراد به أن نقول كما قال الراسخون في العلم: كلٌّ من عند ربنا، كله من عند الله، ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ [آل عمران:٧].

لكن ليس معنى التفويض أن نقول: لا معنى له، على مذهب المفوضة؛ لأن المفوِّضة الذي يسميهم أهل العلم المُجهِّلة، الذين يقولون: لا يُعرف المعنى. يقولون: هذه النصوص كل ما ذكر فيه

---

(١٤٩) أخرجه البخاري: كتاب الجمعة، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل (١١٤٥)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه (٧٥٨)، من حديث أبي هريرة.

(١٥٠) أخرجه ابن خزيمة في «صحيحه» (٢٨٤٠)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢٠٩٠).

(١٥١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: {وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} (٧٤٣٨)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية (١٨٢).

(١٥٢) أخرجه مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (٢٨٤٧).

(١٥٣) أخرجه البخاري: كتاب الأيمان والنذور، باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته (٦٦٦١)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (٢٨٤٨).

عن صفات الله في القرآن والسنة، مثل: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥] ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]، ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه:٣٩]

العين واليدين، ونحوها من الصفات؛ يقولون: لا معنى لها معروف، لم يعرفها الصحابة، بل قالوا: لم يعرفها رسول الله ﷺ؛ المعنى. وقالوا: لم يعرفها جبريل، فنفوض علمها ومعناها. ويقولون: ليس معناها هو ما يُعرف في لغة العرب الذي نزل فيها القرآن.

وهذا مصادمة لما في الكتاب والسنة، الله أخبر أنه ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء:١٩٥].

كيف يكون كل آية في القرآن فيها اسم من أسماء الله، أو صفة من صفاته، ونقول: إنها لا معنى لها مما ذُكر في القرآن؟!

هذا دل على إذا قلنا بذلك أن القرآن ليس عربيًا مبينًا، وهذا كذب وافتراء على الله، لكن نقول: هي على المعنى الذي خاطبنا الله به، لكن الكيفية ليست على كيفية ما هو محسوسٌ أو مُشاهد؛ لأن الله ليس كمثله شيء، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

أثبت السمع والبصر، وأنه سميعٌ بصير، ونفى المماثلة والكيفية.

كما قال الإمام مالك لما سُئل عن ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، قال: **الاستواء غير مجهول، والكيفُ غير معقول**. يعني أن الاستواء معروف في لغة العرب.

وهكذا قال: فإذًا المراد بالتفويض هنا تفويض الكيفية، وليس تفويض المعنى، والرضا، لا تقول: كيف أُخاطب بشيءٍ لا أعرف كيفيته؟ نقول: رضينا وسمعنا.

ثم قال: **(ولا تفسِّر شيءٍ من هذه بهواك)**.

التفسير ليس بهوانا، نحن الذي نصرفُ، لا تفسر، لذلك قال العلماء: المعنى. لا تحرف المعنى، تصرفه بهواك، وهو ما يسميه المعطِّلة بالتأويل، وهو صرف معاني الأسماء والصفات، فيصرفون استوى بمعنى استولى، وهكذا.

قال: **(فإن الإيمان بهذا واجب، فمَن فسر شيئًا من هذا بهواه، أو رده فهو جهميّ)**.

الجهمية الذين إما أن يردوا المعنى كليًا ويقولون: لا، أو يحرفون معناه بهواه، وليس بما جاء في الكتاب والسنة.

(**ومن زعم أنه يرى ربه في دار الدنيا فهو كافر بالله عز وجل**).

يعني مَن زعم إنه يرى الله في الدنيا؛ هو كافر بالله؛ لأن الله قال لكليمه الذي اصفاه بالكلام، اصفاه على الناس بكلامه؛ موسى عليه السلام ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗا ﴾ [الأعراف:١٤٣].

لكن الرؤية يوم القيامة.

ولذلك النبي ﷺ قال لما ذكر الدجال، قال: «**إنه مكتوبٌ بين عينيه كافر، يقرأه كل مؤمن**»[(١٥٤)]، ثم قال: «**واعلموا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ حَتَّى يَمُوتَ**»[(١٥٥)] رواه مسلم في صحيحه.

فدلَّ على أنه إمكان الرؤية يوم القيامة، وهذا مر معنا والكلام عليه، وذكر الأدلة وإجماع السلف على أن الرؤية يوم القيامة، أما في الدنيا فلا يُرى.

(**والفكرة في الله بدعة لقول رسول الله ﷺ: «تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الله»[(١٥٦)] فإن الفكرة في الرب تقدح الشك في القلب**).

يعني الخيال، يتفكر يتخيل كيفية الله، صفاته، كذا، الله يقول: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى:١١].

وقال: ﴿ فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴾ [النحل:٧٤].

---

(١٥٤) سبق تخريجه.

(١٥٥) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه... (١٣٥٥)، ومسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد (٢٩٣١)، من حديث عبد الله بن عمر واللفظ لمسلم.

(١٥٦) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٧/ ٩٥)، وأبو الشيخ في «العظمة» (١)، والبيهقي في «الشعب» (١٢٠)، من حديث ابن عمر، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٩٧٥).

انتهى، قطع الله لنا ذلك، والنبي ﷺ نهى، قال: «لا تفكروا في الله». تفكروا في خلقه؛ لأن الله أمرنا، قال: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران:١٩١].

أمرنا أن نتفكر في مخلوقاته، إنَّما ذاته عز وجل فقد نهانا عن ذلك سبحانه وتعالى؛ لأن التفكر يُوصل إلى الشك؛ لأنك لن تستطيع أن تصل؛ لأن الله قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١]، فكيف تفكر في شيء ليس لك أن تصل إليه، خلقٌ من مخلوقات الله، قال فيه عز وجل في الحديث القدسي: «أعددتُّ لعبادي الصالحين -أي في الجنة- ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر»[١٥٧].

إذًا هذا خلق الله، وقال عن الروح: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:٨٥].

وهي خلقٌ من خلق الله، فكيف بذات الله عز وجل؟

(١٥٧) سبق تخريجه.

(٣١) وأعلم أن الهوام والسباع والدواب نحو الذر والذباب والنمل كلها مأمورة ولا يعلمون شيئا إلا بإذن الله تعالى.

الشرح:

لأنَّ الله يقول: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ [القمر:٤٩].

كل شيء مخلوق خلقه الله؛ جعل له قدرًا وأجلًا وأمره وهي مُسيرة بأمر الله، هذه الدواب كلها، كل ما يحل منها أو يقع منها أو يكون منها أو كذا؛ كله بأمر الله.

قال عز وجل: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [النور:٤١].

علم ذلك في الأزل، وقدره في القدر، في اللوح المحفوظ، «قال: اكتب إلى ما هو كائنٌ إلى قيام الساعة» (١٥٨) لما خلق القلم، وجرى بما هو كائن.

وقال عز وجل: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [الإسراء:٤٤].

أي: وما من شيء إلا يسبح بحمده، وهذه الدواب أممٌ جعلها الله أمثالنا، قال عز وجل: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام:٣٨].

مُقدَّر، كلها مكتوب في الكتاب، ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأنعام:٣٨].

---

(١٥٨) سبق تخريجه.

(٣٢) والإيمان بأن الله قد علم ما كان من أول الدهر وما لم يكن وما هو كائن أحصاه الله وعده عدا، ومن قال إنه لا يعلم إلا ما كان وما هو كائن فقد كفر بالله العظيم.

الشرح:

هذا في قضية علم الله وتقديره، إنها قال: والإيمان.

من السنة والعقيدة الإيمان بأن الله تبارك وتعالى قد علم ما كان من أول الدهر، أي من أول الزمان، الدهر الزمان، وهو العلم الأزلي الذي لا أول له؛ لأن علم الله صفته، وصفته لا أول لها، فعلمه لا أول له، علم ما هو كائن إلى ما لا نهاية، ما سيكون إلى ما لا نهاية؛ لأنه لا انتهاء له عز وجل ولا لصفاته، لكنه أجرى القلم بما هو كائن إلى قيام الساعة.

هذا أمرٌ الذي خلقه وقدره وله أن يفعل ما يشاء، فنعلم أن الله يعلم ما هو كائن، في الأزل، وقدره في اللوح المحفوظ، كما قال عز وجل: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد:٢٢].

يقول للقلم: كن فيكون، ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يس:٨٢].

لا يتخلف، فلا يقول شخص إنه كيف يكون ذلك، الله على كل شيءٍ قدير، ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ [لقمان:٢٨].

يعني يقول كنفس واحدة يقول لها: كُن فيكون، فالخلق والبعث، هذا كله كنفس واحدة، سبحانه وتعالى.

قال: (أحصاه وعده عدا).

ومن قال -هذا مذهب القدرية المعتزلة- ومن قال إنه لا يعلم ما كان وما هو كائن فقد كفر بالله العظيم؛ لأن القدرية على نوعين:

الأولى: قدرية نفاة العلم.

هؤلاء كفروا، قالوا: إن الله لا يعلم بالشيء حتى يكون، يعلمه علمًا لاحقًا، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا، وهؤلاء قال الشافعي وأحمد وغيرهم: ناظروهم في العلم –ومالك– فإن أقروا به –إن علم الله السابق– فقد خُصموا، نقول: علمه الله فقدره، وإن نفوه كفروه، خلاص ما في نقاش مع الكافر.

وهذه يقولون انقرضت.

الطائفة الثانية: القدرية الذين نفوا الكتابة.

أو نفوا قدرته على خلق أفعال العباد، هؤلاء يقولون علِمها الله لكنه لم يُقدر، أو قدر ولم يقدر على أفعال العباد، ردَّ الله عليهم بقوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر:٤٩]، وقال: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات:٩٦]

حتى أعمالكم خلقها الله وقدرها.

(٣٣) ولا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل وصداق قل أو كثر ومن لم يكن لها ولي فالسلطان ولي من لا ولي له.

الشرح:

هذه من المسائل الفروعية، ذكرها الشيخ؛ لمخالفة أهل البدع، الذين يقولون: يجوز النكاح بغير ولي، أو بدون شهود. فهذا بيَّن أن السنة أنَّ النكاح لا بد بوليّ، ولي للمرأة.

وكذلك لا بد من الصداق؛ لأن التي تُنكح بغير صداق هي الزانية، قلَّ أو كثر، ومن لم يكن لها ولي، فالسلطان ولي من لا ولي له، كما قال في الحديث جاء عن النبي ﷺ: «**فَإِنِ اخْتَلَفُوا فَالسُّلْطَانُ وَلِيُّ مَنْ لَا وَلِيَّ لَهُ**» هذا رواه الإمام أحمد(١٥٩).

لكنَّ الإمام أحمد فسَّر أنَّ المقصود بالسلطان مَن يليَ أمور الناس، ويقضي بينهم، وهو القاضي، على كلٍّ هذه مسألة تذكر في مسائل كتاب النكاح من الفقه.

(وإذا طلق الرجل امرأته ثلاثا فقد حرمت عليه لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره).

هذا على ظاهر القرآن، وهو مذهب الأئمة الأربعة وجماهير السلف، خلافًا لقول الروافض أنهم قوله: إذا طلق ثلاثًا فلا عبرة بها. قالوا إنه لاغي، فرد عليه الشيخ، ورد على من يجيز النكاح بعد الطلاق الثلاث، لكنه كما قال الله عز وجل: ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ ﴾ [البقرة:٢٣٠].

---

(١٥٩) أخرجه ابن ماجه: كتاب النكاح، باب لا نكاح إلا بولي (١٨٨٠)، وصححه الألباني في الإرواء (١٨٤٠).

(٣٤) لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا اله الا الله ويشهد أن محمدا عبده ورسوله إلا بإحدى ثلاث زنا بعد إحصان أو مرتد بعد إيمان أو قتل نفس مؤمنة بغير حق فيقتل به وما سوى ذلك فدم المسلم على المسلم حرام أبدا حتى تقوم الساعة.

الشرح:

هذا الأصل خلافًا لأهل التكفير من الخوارج، ومَن وافقهم باستحلالهم دماء المسلمين، بيَّن ما نص عليه، هذا الحديث جاء من حديث ابن مسعود، وحديث عثمان وغيرهم.

(٣٥) وكل شيء مما أوجب الله عليه الفناء يفنى إلا الجنة والنار والعرش والكرسي والصور والقلم واللوح ليس يفنى شيء من هذا أبدا ثم يبعث الله الخلق على ما أماتهم عليه يوم القيامة يحاسبهم بما شاء فريق في الجنة وفريق في السعير ويقول لسائر الخلق ممن لم يخلق للبقاء كونوا ترابا).

الشرح:

هذه مسألة يقول: كل شيء مما أوجب الله عليه الفناء يفنى، إلا الجنة والنار والعرش والكرسي واللوح والقلم والصور، هذه كتب الله لها البقاء؛ لأن الله كما قال عز وجل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧].

فجعل الله للجنة أنه إذا أمر بالفناء أنها تبقى؛ لأنها خلقها للبقاء؛ لأنها عدها لأوليائه السعداء أنهم لا يموتون فيها، وأنهم خالدون فيها، وما هم منها بمخرجين.

والنار كذلك عدَّها للبقاء؛ تعذيبًا لأعدائه، كذلك اللوح، والقلم، والعرش، والكرسي، جعل الله لها البقاء، خلقها للبقاء، وهو أمر الله، لو شاء الله لأفناها بمن فيها، لكنَّ الله خلقها للبقاء.

ولذلك يقول ابن حزم في الملل والنِّحل: اتفقت فِرق الأمة كلها على أنه لا فناء للجنة ولا لنعيمها، ولا للنار ولا لعذابها، إلا الجهم بن صفوان، الجهم يقول: تفنى. هذا ما خالف فيه الجهم أهل الإسلام.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوي: وقد اتفق سلف الأمة، وأئمتها، وسائر أهل السنة والجماعة على أنَّ من المخلوقات ما لا يعدم، ولا يفنى بالكلية، كالجنة والنار والعرش وغير ذلك. ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام المبتدعين كالجهم بن صفوان وما وافقه من المعتزلة ونحوهم، وهذا قولٌ باطل يخالف كتاب الله، وسنة رسوله وإجماع سلف الأمة وأئمتها.

(٣٦) والإيمان بالقصاص يوم القيامة بين الخلق كلهم بني آدم والسباع والهوام حتى للذرة من الذرة حتى يأخذ الله عز وجل لبعضهم من بعض لأهل الجنة من أهل النار ولأهل النار من أهل الجنة ولأهل الجنة بعضهم من بعض ولأهل النار بعضهم من بعض.

الشرح:

هذا مما يجب الإيمان به الاقتصاص يقتص الله للمظلوم من الظالم، وقد دل على ذلك الأحاديث في الصحيحين وغيرهم، فعن أبي هريرة وعن أبي سعيدٍ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ**»(١٦٠).

وكذلك معناه من حديث أبي سعيد، والنبي ﷺ قال كما في المُسند بسندٍ صحيح قال: «**يَقْتَصُّ الْخَلْقُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، حَتَّى الْجَمَّاءُ مِنَ الْقَرْنَاءِ، وَحَتَّى الذَّرَّةُ مِنَ الذَّرَّةِ**»(١٦١) هذا من حديث النبي عليه الصلاة والسلام، إلى آخره، المقصود به أنه يعدل بين خلقه يوم القيامة.

---

(١٦٠) أخرجه البخاري: كتاب المظالم والغصب، باب مَنْ كانت له مَظْلَمة عند الرَّجل فحللها له (٢٤٤٩).

(١٦١) أخرجه أحمد (٨٧٤١)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٥٨٨).

(٣٧) وإخلاص العمل لله والرضا بقضاء الله والصبر على حكم الله والإيمان بأقدار الله كلها خيرها وشرها حلوها ومرها.

(٣٨) والإيمان بما قال الله قد علم الله ما العباد عاملون والى ما هم صائرون لا يخرجون من علم الله ولا يكون في الأرضين والسماوات إلا ما علم الله تعالى.

الشرح:

يقول: (وإخلاص العمل لله)، أي من العقيدة يجب إخلاص العمل لله؛ لأن الله يقول: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ [البينة:٥].

والآيات في هذا المعنى كثيرة، فهذا لا بد منه، هذا محل إجماع.

(كذلك الرضا بقضاء الله والصبر على حكم الله)، العبد مع القضاء سواء كان حلوًا أو مرًا له معه ثلاث مقامات: الصبر للمؤمن، الصبر والرضا والشكر، وضد هذه الجزع، هي ليست للمؤمن، الصبر واجب، والرضا والشكر مستحب.

بمعنى أنه إذا نزلت به مصيبة يجب عليه أن يصبر، وليس له إلا ذلك، ويستحب له أن يرضى، يعني الرضا بهذه بذات الشيء الذي أصابه، ولا يجب عليه أن يرضى على الصحيح كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية، لكن ليس المعنى أن يقابله بالسخط، لا هو يصبر فيقول: صبرًا بأمر الله. لكن أن يكون محبًا وراضيًا هل يجب أو لا يجب هذه محل خلاف بين العلماء، لكن الظاهر أنه لا يجب؛ لأن هذا فيه مشقة، قد تكون بتكليف مما لا يطاق في بعض الأحوال.

(والشكر أن يحمده) أن تقابله بطاعة واستغفار ورضا (على ما نزل به) لكن هذه الأمور تحتاج إلى مقامات الأولياء، فيحرص العبد أن يرقي نفسه في هذه الأمور، وينظر في فضائل ما ينزل للعبد من المصائب، في فضل المصائب إذا نزلت، وفضل الصبر، لذلك يقول ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّمَا أَمْرُهُ

كُلُّهُ لَهُ خَيْرٌ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ»[١٦٢] . فذلك هو الذي له خير في السراء والضراء.

في حاشية الروض المُربع يقول ابن جاسم رحمه الله: ويجبُ الصبر إجماعًا، والصبر حبس النفس عن الجزع، وحبس اللسان عن التشكي. يفسر الصبر، قال: حبس النفس عن الجزع، وحبس اللسان عن التشكي، والجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب، ونحو ذلك. والصبر الجميل صبرٌ بلا شكوى إلى المخلوق، هذا الجميل، والشكوى إلا الله لا تنافي الصبر، ما قال أبو يوسف يعقوب: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [يوسف:٨٦].

هو الصبر الجميل، هو الذي قال: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف:١٨].

صبره الجميل أن يشكو إلى الله، أما أن يشكو إلى الناس فلا، فليس جميلًا.

قال: (والصبر الجميل صبر بلا شكوى إلى المخلوق، والشكوى إلى الله لا تنافي الصبر، بل مطلوبة شرعً مندوبٌ إليها اتفاقًا).

أن تسأل الله، وتلجأ إليه؛ لأنَّ هذا مقام العبودية.

(وأما الرضا فمنزلةٌ فوق الصبر، فإنه يوجب رضا الله عز وجل، ومن شكى إلى الناس وهو في شكواه راضٍ بقضاء الله لم يكن ذلك جزعًا).

يعني بمعنى أن ذهب إلى الطبيب، وقال: يؤلمني كذا ويحزنني كذا. وهو راضٍ بما عند الله، هذا لم يكن من الجزع، الجزع هو تسخط القلب، تسخط النفس أو تسخط اللسان، أو المقابلة بشيءٍ من الفعل بالجوارح الذي يظهر منه عدم الرضا.

وفي الصحيحين عن ابن مسعود: إذا كان الشكر قبل الشكوى فليس بشاكٍ. بمعنى يقول: نحمد الله يصيبني كذا، يعني يقدم ما يظهر الرضا، ثم يقول: يؤلمني كذا.

---

(١٦٢) أخرجه مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير (٢٩٩٩)، من حديث صهيب الرومي.

قال: **(فإذا حمد الله تعالى ثم أخبر بعلته لم يكن شكوًا منه، إلا إن أخبر بها تبرمًا وتسخطًا، لا للاعتبار والتسلية).**

يخبر بما فيه تبرمًا مما فيه وتسخطًا.

(وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك).

هذه كما قال النبي ﷺ في وصيته لابن عباس.

(ولا خالق مع الله عز وجل.

والتكبير على الجنائز أربع).

هل من خالقٍ غير الله؟ مَن الذي يقول هناك خالق غير الله؟ المشركون لما قال: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [العنكبوت:٦١].

طيب مَن الذي يقول هناك خالق غير الله؟ المعتزلة، يعني أبو جهل وأبو لهب ما قالوا هناك خالق غير الله، والمعتزلة المنتسبين للإسلام قالوا: هناك خالق غير الله. وافقوا المجوس في خلق أفعال العباد، يقولون: إن العبد هو الذي يخلق فعله، والله لم يخلق ذلك، لم يقل له كن فكان. فعل العبد يعني المعصية، تصورت كيف بلغ كفرهم في مسألة القدر؟

أن زعموا أن مع الله خالقًا وهو الإنسان، والكلام هذا له ذيول، لكننا الكتاب لازلنا نحن في النصف الأول ونريد أن ننهيه اليوم، وهو أنهم يقولون إن العبد إذا عصى وفعل لم يخلق الله فعله. بل العبد مخلوقٌ لله، وفعله مخلوق، وقدره الله عز وجل، لكنه تقدير كوني، ليس تقدير الرضا، المعصية ليس الرضا عنها، إنما قدَّرها كونًا، قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الصافات:٩٦].

وخلق أعمالكم، وهذا إجماع السلف، والأنبياء جاءوا بهذا، لكنهم المعتزلة لما حكَّموا العقول ردُّوا المنقول.

(والتكبير على الجنائز أربع وهو قول مالك بن أنس وسفيان الثوري والحسن بن صالح وأحمد بن حنبل والفقهاء وهكذا قال رسول الله ﷺ).

هذا الذي عليه أكثر أهل السنة أن التكبير على الجنائز أربع تكبيرات لما جاء عن النبي ﷺ، والمسألة من مسائل الفروع التي يسع الخلاف فيها.

(٣٩) والإيمان بأن مع كل قطرة ملك ينزل من السماء حتى يضعها حيث أمره الله عز وجل.

الشرح:

هذا من المعلوم، القدر يعني، لكن أنها كل قطرة معها ملك هذه تحتاج نقل وليس فيها شيءٌ ثابت، وإنما جعل الله للقطر ملك، الملك ميكائيل، لكن كل قطرة بمفردها؟ الله أعلم، هذه ليست بها دليل، لكن نعلم أنه لا تنزل قطرة إلا بأمر الله وتقديره، وأن الله يعلم مثاقيل هذا القطر، وكم نزل من القطر، وأين نزل، كل قطرة مأمورة بقضاء الله وقدره أن..

(٤٠) والإيمان بأن رسول الله ﷺ حين كلم أهل القليب يوم بدر أي المشركين كانوا يسمعون كلامه.

هذه مسألة سماع الموتى، مسألة الإيمان بتكليم النبي ﷺ لأهل بدر، الإيمان بأن النبي ﷺ حين كلَّم أهل القليب يوم بدر؛ أنَّ المشركين كانوا يسمعون كلامه.

اختلف العلماء في مسألة سماع الموتى، على قولين:

- منهم مَن قال يسمعون مطلقًا، أهل القليب وغيرهم.
- ومنهم مَن قال لا يسمعون إلا أهل القليب لخصوصية.

فالشيخ ذكر التي جاء فيها النص، وما عليه الاتفاق.

أمَّا هل جميع الموتى يسمعون إذا مرَّهم شخص، وسلم عليهم؟ يسمعونه؟

هذا هو الظاهر، وهذا هو قول جمهور العلماء، والشيخ ذكر هذه المسألة؛ لأنها محل إجماع، خلافًا لأهل البدع، من المعتزلة ونحوهم الذين أنكروها، والقصة معروفة.

(٤١) والإيمان بأن الرجل إذا مرض آجره الله على مرضه.

الشرح:

هذا خلافًا لبعض مَن أنكر ذلك، يعني مثلًا لأنهم بعض الجهمية يُنكر يقول: لا، الإنسان لا يُؤجر إلا على عمله هو، والمرض ليس من عمله، بل هو قدر، ليس له فيه اختيار.

نقول: النبي صلى الله عليه سلم نصَّ على ذلك، قال: «**مَا يُصِيبُ المُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ، وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ**»[١٦٣] وتُرفع فيه الدرجات. إلى آخره.

(والشهيد يأجره الله على شهادته).

حتى الشهيد مأجور، يُؤجر على القتل نفسه، على أنَّه يُقتل، وهذا في نصوص القرآن والسنة، لكنَّ مَن أنكر ذلك من أهل البدع قال: أنَّه يُؤجر على الموت، أمَّا الوجع الذي يصيبه أو القتل يؤجر عليه؟ قالوا: لا. نحن نقول: النصوص دلَّت على ذلك.

قال النبي ﷺ: «**كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً**» كما في صحيح مسلم[١٦٤]؛ لأن الشهيد يُؤمن من الفتَّان، فإذا كان صوت السيوف وبروقها عليه فتنة، يؤجر عليها إذًا، وهكذا.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩﴾ [آل عمران:١٦٩].

وقول النبي ﷺ كما في مُسند الإمام أحمد، وسنن الترمذي، وابن ماجة، قال: «**لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللهِ سِتُّ خِصَالٍ يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ** أول ما يخرج الدم يُغفر له، **وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنْ الْجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ**

---

(١٦٣) أخرجه البخاري: كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض (٥٦٤١، ٥٦٤٢)، ومسلم: كتاب البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن (٢٥٧٣).

(١٦٤) أخرجه النسائي: كتاب الجنائز، باب الشهيد (٢٠٥٣)، وصححه الألباني في أحكام الجنائز ص (٣٦)، ولم أقف عليه في مسلم.

الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ»(١٦٥).

(١٦٥) أخرجه الترمذي: كتاب فضائل الجهاد، باب في ثواب الشهيد (١٦٦٣)، وابن ماجه: كتاب الجهاد، باب فضل الشهادة في سبيل الله (٢٧٩٩)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٥١٨٢).

(٤٢) والإيمان بأن الأطفال إذا أصابهم شيء في دار الدنيا يألمون وذلك أن بكر بن أخت عبد الوهاب قال لا يألمون وكذب.

الشرح:

يعني هذا المعتزلة، بكر من المعتزلة يقول: لا، ما يألمون الأطفال، إذا أصابهم شيء في دار الدنيا من ألم، يقول: لا يألمون. ما يحسون، عجيبة، الطفل ما تراه إذا ما قُرص يبكي، وإذا لُدغ، وإذا مرض، من أي شيء؟ من الألم، وهم يُنكرون المحسوسات.

يقولون: لأن هذا ظلم، ما الذي حملهم على هذا؟

قالوا: إنَّ الله لو آلم الصبي، والصبي غير مُكلَّف، كيف يؤلمه وهو غير مُكلَّف؟ فقالوا: هذا ظلم. فتدخلوا في إيش؟ في الله وخلقه، بين الله وخلقه، لا، هذا ليس بظلم؛ لأنهم يؤجرون عليه، وينالهم عليه من الأجر، ويُدفع عنهم من البلاء، ونحو ذلك.

هذا أمرٌ على كلٍّ هو من بدع أهل الخوارج ونحوهم.

يقول: ابن أخت عبد الواحد، عبد الواحد بن زيد أحد أهل الحديث من أهل السنة، لكن ابن أخته من الخوارج، مذهبٍ خبيث، حتى رئيس طائفة اسمها البكرية، هذا بكر.

(٤٣) واعلم أنه لا يدخل أحد الجنة إلا برحمة الله ولا يعذب الله أحدا إلا بقدر ذنوبه.

الشرح:

أمَّا أنه لا يدخل أحد الجنة إلا برحمة الله فلا شك بذلك، بنص النبي ﷺ قال: «**لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ مِنْكُمُ الجَنَّةَ بِعَمَلِهِ**»، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِرَحْمَتِهِ**»(١٦٦) هذا في صحيح مسلم.

هذه المسألة لماذا يذكرها المصنف هنا؟

---

(١٦٦) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب الدين يسر (٣٩)، ومسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمته (٢٨١٦)، من حديث أبي هريرة.

لأن المعتزلة يقولون: لا، يدخل بعمله. إن عَمل استحق دخول الجنة، بل يقولون: إذا العبد أطاع الله، وكذا، ومات على الطاعة، وجب على الله -بكل وقاحة- أن يدخله الجنة، ويدخل الجنة بعمله، نسأل الله العافية والسلامة.

وقحين هم، ما يستحون، لا من الله، ولا من الناس.

ولذلك عندهم (الحمد لله) ما تقول أنت: الحمد لله؟ يقولون: يُحمد الله على أفعاله هو، أما أفعال العبد، لا، الحمد للعبد، ما رأيت أجرأ من هؤلاء على الله، سبحان الله!

جريئين، ويتبجحون، ويعتقدون أن هذا هو الحق، نسأل الله العافية والسلامة.

(ولو عذب أهل السموات والأرض برهم وفاجرهم عذبهم غير ظالم لهم).

(٤٤) لا يجوز أن يقال لله عز وجل إنه ظالم وإنما يظلم من يأخذ ما ليس له والله له الخلق والأمر والخلق خلقه والدار داره لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ولا يقال لم وكيف ولا يدخل أحد بين الله وبين خلقه.

الشرح:

سبحانه وتعالى، صحيح.

قال: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [ق:٢٩].

﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ٤٩﴾ [الكهف:٤٩].

وقال في الحديث القدسي: «**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَّالَمُوا**»(١٦٧).

فحرَّمه الله، والله قادرٌ على أن يفعل ما يشاء، أنه لا يظلم عز وجل، كل فعلٍ يفعله، وخلقٍ يخلقه، وقدر يقدره، فإنَّه لحكمةٍ، وليس فيه أدنى ظلم، حتى قضاؤه على الكفار بأنهم كفار.

قال الله عز وجل: ﴿وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ٢٣﴾ [الأنفال:٢٣].

علم الله أن لا خير فيهم، فقدَّر عليهم أنهم لا خير فيهم، علِم أنهم لن يؤمنوا، فقدر عليهم أنهم لم يؤمنوا، ما قدر عليهم ذلك ابتداءً، دون أن يعلم ذلك، فالله بكل شيءٍ عليم.

---

(١٦٧) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم (٢٥٧٧).

(٤٥) وإذا سمعت الرجل يطعن على الآثار ولا يقبلها أو ينكر شيئا من أخبار رسول الله ﷺ فاتهمه على الإسلام فإنه رجل رديء المذهب والقول ولا يطعن على رسول الله ﷺ ولا على أصحابه لأنا إنما عرفنا الله وعرفنا رسوله وعرفنا القرآن وعرفنا الخير والشر والدنيا والآخرة بالآثار فإن القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن.

الشرح:

يقول: (**إذا سمعت الرجل يطعن على الآثار**)، أي: أحاديث رسول الله ﷺ، ويعارض بينها، ويقول كيف هذا يُعقل، وكيف كذا، (**وما يقبلها**)، يعني وما يسلم، (**أو ينكر شيئًا من أخبار رسول الله ﷺ فاتهمه على الإسلام**).

ولذلك هذه القضية ظهرت من أول ما ظهرت من الجهمية والمعتزلة، وتبعهم حتى الأشاعرة، وهو أنهم يجعلون الآثار يقسمونها إلى آحاد ومتواتر، فإذا جاء الخبر الذي فيه ما يتعلق بأسماء الله وصفاته، تتعلق بشيءٍ من العقائد قالوا: هذا آحاد ومتواتر، فإذا كان آحاد قالوا هذا آحاد يخالف العقل فنرده؛ لمخالفة العقل، ويقدمون العقل على النقل، فإذا كان متواترًا قالوا: ننظر فيه هل يتوافق مع العقل أو لا، فإن رأوه أن فيه وجهًا من التأويل يمكن أن يأوّل أولوه وإن كان نصًّا، صرفوه بشيءٍ من التأويل، بمعنى أنهم جعلوا له معنى آخر غير الذي هو ظاهره.

فإذا لم يستطيعوا هذا ولا هذا، ليس له وجهٌ من التأويل، ولا من الرد لأنه متواتر، قالوا: نقدم العقل؛ لأن عندهم أن العقل لا يمكن أن يُخطئ، وأنه قد يكون هذا متواتر عن الرسول ﷺ، ثابت، واضح، نص لا يمكن تأويله، كيف نرده؟

هل العقل يتصور أنَّ النبي ﷺ بليلة واحدة يذهب إلى بيت المقدس، ثم يعرج به إلى السماوات السبع، العقل مجرد يطيق هذا الشيء؟ ما يطيقه، لكن النص الذي حملنا عليه، لكن هؤلاء القوم ما استطاعوا أن يردوا هذا فقالوا: هذا في المنام، قالوا: هذه رؤية منامية. طيب لو كانت منامية لماذا تردها قريش؟ يقولون: هذا منام، لو قريش هل قالوا هذا منام؟ أو أنكروا؟

أنكروا، هم يعرفون المنامات، ويعرفون الأحلام والرؤى، فلما لم تنكره قريش دلَّ على أن النبي ﷺ أخبرهم عن شيءٍ حقيقة، ما هو منام.

ولذلك يستدلون بأحاديث أو آثار ضعيفة الأسانيد ينسبونها لعائشة ومعاوية وهي لا تصح، لا يصح عن أحدٍ من الصحابة أنه فسرها بالمنام.

أنا ضربت لكم مثالًا، دل على أنه لا بد من قبول الآثار والتسليم لها، هذا الإيمان، إيمان بالغيب، يؤمنون بالغيب، هذا من الغيب.

إلى آخر كلامه.

(فإنَّ القرآن إلى السنة أحوج من السنة إلى القرآن) يقصد من حيث التفسير؛ لأن الكثير من الآيات تفسَّر بالسنة، في الآيات أمرنا بالصلاة، فسرت السنة الأوقات والصفة والكيفية وهكذا إلى آخره، ولذلك صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ يَنْثَنِي شَبْعَانَ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمُ الْقُرْآنَ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ»(١٦٨) يعني يرد.

قال: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ». وهي السنة.

ولذلك نسأل الله العافية والسلامة ذكروا عن عمرو بن عبيد رئيس المعتزلة القدرية؛ أنه قال في حديث ابن مسعود قال: حدثنا الصادق المصدوق -يعني رسول الله ﷺ- «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ تُكْتَبُ: رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ

---

(١٦٨) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، باب في لزوم السنة (٤٦٠٤)، والترمذي: كتاب العلم، باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ (٢٦٦٤)، وابن ماجه: كتاب المقدمة، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه (١٢) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٦٤٣).

فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا. وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا»(١٦٩).

هذه قضية المعتزلة، كتابة الشقاء والسعادة، أنها مقدرة، ينكرون ذلك القدرية.

فقال الراوي: لو سمعتُ هذا الحديث من العمش ما صدقت، ولو سمعته من إبراهيم شيخ الأعمش ما صدقت، ولو سمعته من الأسود شيخ إبراهيم ما صدقته، ولو سمعته من ابن مسعود ما صدقته. يقول: لو سمعت من هؤلاء بالأسانيد ما صدقته، لو سمعته من رسول الله ما صدقته. نسأل العافية والسلامة، بلغ الأمر أكبر من هذا.

قال: ولو سمعته من جبريل ما صدقته، ولو سمعته من الله عز وجل لقلت: ما على هذا أخذت علينا الميثاق. يعني سيعترض على الله.

وهذا عمرو من عبيد، ما تعرفون د عمرو بن عبيد؟

في الزهد، والطاعات، ويُضرب به المثل، ولذلك لما دخل على المنصور الخليفة وعظه وكذا، ورأى عليه الزهد، وكذا والصلاح، ظاهر، وهو من أئمة الضلالة، نسأل الله العافية والضلالة.

قال: **كلكم يمشي رويد، كلكم يطلب صيد، غير عمرو بْن عبيد!**.

قال الذهبي: غره بزهده، انخدع فيه، يظن أنه رجلًا صالحًا، وهو يرد أحاديث النبي ﷺ.

هذا هو الكفر، نسأل الله العافية والسلامة.

---

(١٦٩) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (٣٢٠٨)، ومسلم: كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته (٢٦٤٣).

(٤٦) والكلام والجدل والخصومة في القدر خاصة منهي عنه عند جميع الفرق لأن القدر سر الله ونهى الرب جل اسمه الأنبياء عن الكلام في القدر ونهى النبي ﷺ عن الخصومة في القدر وكرهه أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وكرهه العلماء وأهل الورع ونهوا عن الجدال في القدر فعليك بالتسليم والإقرار والإيمان واعتقاد ما قال رسول الله ﷺ في جملة الأشياء واسكت عما سوى ذلك.

الشرح:

صحيح، الكلام والجدال والخصومة في القدر خاصة منهيٌّ عنها، ولا يجوز؛ لأن «النبي ﷺ لما رأى قوم من أصحابه يختصمون في القدر؛ خرج عليهم كل منهم ينزع بآية، فخرج عليهم كأن فُقِأ في وجهه حب الرمان، قال: «**أبهذا أمرتم؟ أم بهذا أُرسلتُ إليكم! إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمت عليكم ألا تناعوا، فإن مراءً في القرآن كفر**»(١٧٠). ونهاهم عن ذلك.

هذا الحديث في المِراء في القرآن عمومًا بنص الحديث، وسبب وروده نزاعهم في القدر، ولذلك القدر سر الله في خلقه، ما يعرف الناس القدر، ما الذي يُكتب له في مستقبل أمره، فليس لك إلا التسليم.

لذلك قال النبي ﷺ: «**وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوك بِشَيءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إلا بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَإِنِ اجتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ رُفِعَتْ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ**»(١٧١) انتهى الأمر، فُرغ منه.

---

(١٧٠) سبق تخريجه.

(١٧١) أخرجه الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٦)، وقال: «حسن صحيح»، وصححه الشيخ الألباني: كتاب «التوسل» (٣٥).

(٤٧) والإيمان بأن رسول الله ﷺ اسري به إلى السماء وصار إلى العرش وسمع كلام الله ودخل الجنة واطلع في النار ورأى الملائكة وسمع كلام الله عز وجل وبشرت به الأنبياء ورأى سرادقات العرش والكرسي وجميع ما في السموات في اليقظة.

الشرح:

لاحظ قال: في اليقظة خلافًا لما للذين قالوا في المنام من أهل البدع.

(حمله جبريل على البراق حتى أداره في السموات وفرضت عليه الصلوات الخمس تلك الليلة ورجع إلى مكة ليلته وذلك قبل الهجرة).

هذا أمرٌ منصوص عليه في القرآن في قوله: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾ [الإسراء:١].

والأحاديث في المعراج وما كان له في ذلك متواترة موجودة في الصحيحين وغيرهم، تُراجع، والأمر هذا من المشهور من العقائد المشهورة بين أهل السنة والجماعة.

(واعلم أن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة وتأوي إلى قناديل تحت العرش وأرواح الفجار والكفار في بئر برهوت وهي في سجين).

هذه مسألة أين أرواح الناس بعد الموت، هذه قضية، قال: **(أرواح الشهداء في قناديل تحت العرش تسرح في الجنة)**، هذه خاصة الشهداء، الذين قال الله عز وجل فيهم: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩﴾ [آل عمران:١٦٩].

فسَّرها النبي ﷺ في حديث ابن مسعود لما سئل عن ذلك، ففسرها قال ﷺ: «**أَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي حَوَاصِلِ طَيْرٍ خُضْرٍ لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَسْرَحُ فِي أَيِّ الْجَنَّةِ شَاءُوا**»[١٧٢].

المهم أن هذه أرواح أهل الشهداء.

---

(١٧٢) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون (١٨٨٧)، من حديث عبد الله بن مسعود.

قال: (أما المؤمنين وأرواح المؤمنين تحت العرش) أيضًا في الجنة تحت العرش، ليست معلقة في العرش، هذا الفرق بينها وبين أرواح الشهداء.

هذا أجمل المصنف، ذكر الثلاثة أصناف.

قال: (أما أرواح الكفار والفجار في برهوت وهي في سجين) برهوت بئرٌ في حضرموت، في حضرموت بئر مشهور برهوت، وهذا لم يصح فيه حديث حقيقةً، لكن بعض الآثار، إنما هي في سجين، هذا هو الصحيح، أولًا لأن الله قال: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧﴾ [المطففين:٧].

كتاب الفجار في سجين، وسجين أين؟ في الأرض السفلى كما قال النبي ﷺ في حديث البراء بن عازب لما ذكر، قال: «اكتبوه في سجين، إلى آخره.. في الأرض السفلى» [١٧٣].

فهذه خلاصة المسألة، لكن أنها في برهوت فهذه محل نظر، ولذلك راجعوا كتاب «أهوال القبور وأحوال الموتى» لابن رجب في الباب التاسع، ذكر هذه المسألة، أهوال القبور، وأحوال الموتى، لو كان الوقت فيه سعة ذكرنا لكم الخلاصة، لكن الوقت ضيق، تراجعونه.

(والإيمان بأن الميت يقعد في قبره وترسل فيه الروح حتى يسأله منكر ونكير عن الإيمان وشرائعه ثم تسل روحه بلا ألم).

هذه مسألةٍ إن الميت يُقعد في قبره؛ هذه نصوصه في السنة كثيرة، في محل إجماع السلف، ويأتيه منكر ونكير، ويسألانه: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ هذا عن الإيمان وعن شرائعه.

لكن (ثم يسل له روحه بلا ألم) يعني المصنف يقول إنه تعاد إليه الروح فيُسأل ثم تُخرج منه الروح أخرى بلا ألم، ليست كإخراجه منه في الدنيا بألم، وهذه مسألة تحتاج إلى دليل أنها تُخرج منه الروح.. لكن على كلٍّ الروح لها تعلق في البدن، لكن ليس كتعلقها في الدنيا، إنما هي تعلقها في بدن الميت كتعلقها في بدن الإنسان في نومه، إذا نام تنسل الروح منه وتبقى متعلقة الروح حية بدن، ثم تذهب في الملكوت، ولذلك يرى رؤى في منامه، هكذا الظاهر والله أعلم، لكن المصنف يقول: (ثم تُسل روحه بلا ألم).

---

(١٧٣) سبق تخريجه.

(ويعرف الميت الزائر إذا زاره ويتنعم المؤمن في القبر ويعذب الفاجر كيف شاء الله).

الميت يعرف الزائر إذا أتاه يسلم عليه، قبل قليل ذكر قضية أنهم يسمعون كلام الذين أهل القليب في بدر، هنا سرح بأن الميت يعرف الزائر إذا أتاه وسلم عليه، وهذه أيضًا مسألة محل خلاف، لكن الصحيح هو ما ذكره المصنف.

ابن القيم بحث هذه المسألة في كتاب الروح راجعوها أيضًا، وهو كتاب مفيد يحسن بكم مراجعته.

لا شك، كل شيء سواءً كان شر أم خير الإنسان كله بقدر، بقضاء الله عند الشر والخير.

واعلم أن [الشر والخير] بقصاء الله وقدره.

على كلٍّ هي كلمة واعلم أن هذه الكلمة أشكلت على مَن طبعوا الكتاب، وأنا عندي يقول: (واعلم أن البروج في قضاء الله وقدره) وهذه لها وجه، الأبراج التي بعض الناس يظن أنها تسير ولها أثرٌ في العالم السفلي.

إن كانت هكذا فنقول هذا -كما قال المصنف- إنها كل شيء بقضاء الله وقدره، وليس لها أثر؛ لأن النبي ﷺ يقول: «مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ: فَقَدِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ، زَادَ مَا زَادَ»(١٧٤).

وقد يكون: واعلم أن البر والخير بقضاء الله وقدره،تكون كلمة البروج البر الأولى تكون هي البر، فأشكلت على الطابع، أو الخير والشر كله بقضاء الله وقدره كما جاء في الحديث.

«وأن تؤمن بالقدر خيره وشره من الله». هكذا في بعض الروايات، أن تؤمن بالقدر خيره وشره من الله، أي بقدره.

هذا محل إجماع أيضًا خلافًا للمعتزلة الذين يقولون إنه ليس من الله إلا الخير، يعني تقديرًا، هذا مقصودهم.

(والإيمان بأن الله هو الذي كلم موسى بن عمران يوم الطور وموسى يسمع من الله الكلام بصوت وقع في مسامعه منه لا من غيره فمن قال غير هذا فقد كفر بالله العظيم).

---

(١٧٤) أخرجه أبو داود: كتاب الطب، باب في النجوم (٣٩٠٥)، وابن ماجه: كتاب الأدب، باب تعلم النجوم (٣٧٢٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٠٧٤).

هذا رد على الجهمية في ردهم صفة الكلام؛ لأن الله نص على ذلك، قال عز وجل: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ [الأعراف:١٤٣].

هم قالوا: لا، الذي كلمته الشجرة، وليس هناك كلام، لكن هذا مردود عليهم؛ لأنه قال في نفس الآيات: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [القصص:٣٠].

فكيف الشجرة تقول أنا الله رب العالمين! فمن قال غير هذا فهو كافر، وأن موسى سمع كلام الله ؛ لذلك جاء في الآثار: يا رب اسمع كلامك ولا أرى مكانك. فأراد الرؤية، أراد أن يزداد من الرؤية.

(والعقل مولود أعطي كل انسان من العقل ما أراد الله يتفاوتون في العقول مثل الذرة في السماوات ويطلب من كل إنسان من العمل على قدر ما أعطاه من العقل وليس العقل باكتساب إنما هو فضل من الله).

هذه مسألة هل العقل الجميع يعطوا عقلًا واحدًا كما يقول بعضهم؟ هذا غير صحيح، لأننا نجد فيه عاقل وفيه مجنون، وفيه عاقل، وفيه سفيه، وعقل إدراك، وعقل نُهية، تضبط صاحبها، فلذلك قال: (مولود) أيضًا ينمو، والدليل على ذلك أنه ينمو، يكون صغيرًا لا يفهم شيئًا، ثم يكبر ثم يدرك، ثم بعد ذلك يصبح عقلًا حكيمًا ضابطًا للأمور.

(واعلم أن الله فضل العباد بعضهم على بعض في الدين والدنيا عدلا منه لا يقال جار ولا حابى فمن قال إن فضل الله على المؤمن والكافر سواء فهو صاحب بدعة).

كيف صاحب بدعة؟ لأنَّ المعتزلة يقولون إن الله جعل الناس في العقل سواء، إلا المجنون هذا غير خارج، فاقد العقل، وأعطاهم الأمور سواء، ولم يقدر شيئًا، فهم الذين اختلفوا، تصور هذا الكلام؟

يقولون مَن قال إن فضل الله على المؤمن والكافر سواء، واحد، الله تفضل على المؤمنين بالإيمان، كما قال الله عز وجل: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ ﴾ [الحجرات:٧-٨].

علم من يستحق هذا الفضل، وهذه النعمة، وحكيم في تنزيله وتقديره، هم يقولون لا ما تفضل الله، تفضل على الجميع، لكن الكافر خلق فعله ليس بتقدير الله ولا خلقه، فكفر، نسأل الله العافية والسلامة.

(بل فضل الله المؤمن على الكافر والطائع على العاصي والمعصوم على المخذول عدلا منه هو فضله يعطيه من يشاء ويمنعه من يشاء).

صحيح، فضَّلهم، وأعطى المؤمن تفضلًا منه، وخذل الكافر، هذا أعطاه الإدراك، أعطاه الآلة التي يدرك بها، لكنه خذله؛ لأنه لا يستحق؛ لأن الله يقول: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنفال:٢٣].

يعني حتى لو فتح قلوبهم، وجعلهم يعرفونها، لكن سيُعرضون، علم الله ذلك منهم، ولذلك قال: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنعام:٢٨] في دعواهم يوم القيامة، ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر:٣٧].

لا، ما فيهم خير، نسأل العافية والسلامة.

(ولا يحل أن تكتم النصيحة أحدا من المسلمين برهم وفاجرهم في أمر الدين فمن كتم فقد غش المسلمين ومن غش المسلمين فقد غش الدين ومن غش الدين فقد خان الله ورسوله والمؤمنين).

نعم، كما في الحديث: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ» (١٧٥) في صحيح مسلم.

قال النبي ﷺ: «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا» (١٧٦).

(والله سميع بصير عليم يداه مبسوطتان قد علم أن الخلق يعصونه قبل أن يخلقهم علمه نافذ فيهم فلم يمنعه علمه فيهم أن هداهم للإسلام ومن به عليهم كرما وجودا وتفضلا فله الحمد).

---

(١٧٥) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة (٥٥)، من حديث تميم الداري رضي الله عنه.

(١٧٦) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا» (١٠١).

صحيح، هذا مثل ما تقدَّم في إثبات الصفات، السمع والبصر، والعلم السابق، وأنه علم أنهم سيعصونه ومع ذلك منَّ عليهم بنزول القرآن، إقامةً للحجة، ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [النساء:١٦٥].

إضافةً إلى مِنَّته وعدله عز وجل.

(٤٨) واعلم أن البشارة عند الموت ثلاث بشارات؛ يقال: أبشر يا حبيب الله برضى الله والجنة، ويقال: أبشر يا عدو الله بغضب الله والنار، ويقال: أبشر يا عبد الله بالجنة بعد (الانتقام). هذا قول ابن عباس.

(٤٩) واعلم أن أول من ينظر إلى الله في الجنة الأضراء، ثم الرجال، ثم النساء، بأعين رؤوسهم، كما قال رسول الله ﷺ: «سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر، لا تضامون في رؤيته»[١٧٧]، والإيمان بهذا واجب وإنكاره كفر.

الشرح:

هذه مسألة الرؤية، رؤية الله يوم القيامة، من الذي أجمع عليه السلف، ودلت عليه دلائل الكتاب والسنة.

وتقدم الكلام فيها لا نعيده؛ لكن قضية أن أول من ينظر إلى الله الأضراء ثم الرجال ثم النساء، فهذا محل نظر، إنما يُنقل هذا عن الحسن البصري، ولم يصح عن النبي ﷺ فيها شيء، إنما ورد فيها حديث إسناده ضعيف، رواه اللالكائي.

لكن جاء الخبر بالعموم، المؤمنون ينظرون إلى الله في جنة النعيم فيكفي الوقوف معها.

وأما من أنكر الرؤية يكفر، فهذا كما قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو المحكي عن السلف ومنهم الإمام أحمد؛ لأنه تكذيب للكتاب والسنة؛ لأن الله ذكر ذلك في آيات كثيرات وأحاديث فمن أنكره فقد كذب الكتاب والسنة.

---

(١٧٧) سبق تخريجه.

(٥٠) واعلم - رحمك الله- أنها ما كانت زندقة قط، ولا كفر ولا شك ولا بدعة ولا ضلالة ولا حيرة في الدين إلا من الكلام وأصحاب الكلام والجدل والمراء والخصومة، والعجب وكيف يجترئ الرجل على المراء والخصومة والجدال، والله تعالى يقول: {مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا} فعليك بالتسليم والرضى بالآثار وأهل الآثار، والكف والسكوت.

الشرح:

بلية الأمة جاءت من أهل الكلام، لما أحدثوا الخصومة في الكلام والجدل فيه وأدخلوا العقل، فكان على الأمة ما كان.

ولذلك قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: **ما رأيت أحدًا ارتدى بالكلام فأفلح.**

ومر أنه قال: **حكمي في أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال وينادى بهم في العشائر والقبائل: هذا جزاء من ترك السنة وأخذ بالكلام.**

ولما جاء عبد الرحمن بن مهدي وكان من أهل العراق، دخل على الإمام مالك وكلمه، فدخل رجلٌ على الإمام مالك، فسأل عن القدر، ويخاصم فيه، فقال الإمام مالك: **لعلك من أصحاب عمرو بن عبيد، لعن الله عمروًا فإنه ابتدع هذه البدعة من الكلام، ولو كان الكلام علمًا لتكلم به الصحابة والتابعون، كما تكلموا في الشرائع والأحكام، ولكنه باطلٌ، ويدل على باطل.**

وصدق مالك رَحِمَهُ اللهُ.

(٥١) والإيمان بأن الله -تبارك وتعالى- يعذب الخلق في النار في الأغلال والأنكال والسلاسل، والنار في أجوافهم وفوقهم وتحتهم، وذلك أن الجهمية - منهم هشام الفوطي - قال: إنما يعذب عند النار، رد على الله وعلى رسوله.

الشرح:

أهل السنة يقولون: يعذب بالنار فيها، يدخلهم فيها، تدخل في أجوافهم.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ ﴾ [النساء:٥٦].

وأن النار هي عذابه.

وقال: ﴿ ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ﴾ [الذاريات:١٤].

وقال: ﴿ يَوۡمَ يَغۡشَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [العنكبوت:٥٥].

لكن هذا الفوطي من الجهمية يقول: العذاب يكون عند النار لا في النار. يعني: أنهم يأتيهم عذاب إذا رأوا النار وقربوا منها.

وهذا كذب، وتكذيب، وردٌ على الله ورسوله.

وذكره الشيخ تنبيهًا على وجود هذا المبتدع الذي كان له أتباع يقولون بقوله.

وهشام الفوطي ليس وحده الذي يقول بهذا، له أتباع، وكان مذهبًا فاندثر.

(٥٢) واعلم أن الصلاة الفريضة خمس، لا يزاد فيهن ولا ينقص في مواقيتها، وفي السفر ركعتان إلا المغرب، فمن قال: أكثر من خمس، فقد ابتدع، ومن قال: أقل من خمس فقد ابتدع، لا يقبل الله شيئا منها إلا لوقتها، إلا أن يكون نسيان فإنه معذور، يأتي بها إذا ذكرها، أو يكون مسافرا فيجمع بين الصلاتين إن شاء.

الشرح:

هذا ردٌ على أهل الباطل مثل القرامطة الذين يقولون أن الصلاة ليست خمسًا، أو الرافضة الذين يقولون: ثلاثة أوقات، فيجمعون الظهر والعصر دائمًا في وقتٍ واحدٍ ويجمعون المغرب والعشاء دائمًا في وقتٍ واحدٍ، فيجمعونها في ثلاثة أوقات.

فمن شك أنها خمس صلوات في اليوم والليلة فرضها الله عز وجل، كما في الأحاديث في الصحيحين وغيرهما، من قال غير ذلك فقد ابتدع، أو زاد على الخمسة.

(٥٣) والزكاة من الذهب والفضة والتمر والحبوب والدواب، على ما قال رسول الله ﷺ فإن قسمها فجائز، وإن أعطاها الإمام فجائز.

الشرح:

والدواب يعني: بهيمة الأنعام، على ما قال رسول الله ﷺ في الأحاديث المتواترة عنه، فإن قسمها هو في الفقراء فجائز، أدى الفريضة، وإن أعطاها الإمام فجائز، ولوكان جائرًا.

ولذلك قالوا لابن عمر: كيف نعطيهم الزكاة، يعنون بني أمية، يقول الرجل من الخوارج يعارض ابن عمر: وهم يشربون بها الخمر وهم ويقلدون بها الخنازير؟ فقال: هكذا أمرنا الله.

الله يعلم أنه سيلي ذلك، والنبي ﷺ أمرنا به، ويعلم الله أنه سيلي ولاة ظلمة، فالواجب عليهم أن يؤدوا بها، فندفعها لهم.

(٥٤) واعلم أن أول الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله.

الشرح:

هذا أول الإسلام، وهذا ردٌّ على أهل الكلام:

بعضهم يقول: الواجب المعرفة.

وبعضهم يقول: النظر المؤدي للمعرفة.

وبعضهم يقول: أول جزء من النظر.

وبعضهم يقول: القصد إلى النظر.

وبعضهم يقول: الشك ثم القصد.

رأيت كيف الكلام؟، وكل هؤلاء منتسبون للإسلام، من مذاهب الأشاعرة، ومن هم أشد منهم من الجهمية.

حتى ذكرها السبكي في خاتمة جمع الجوامع، لما تكلم على هذه المسألة، فذكر مذهب أهل الكلام.

والنبي ﷺ لما بعث معاذ بن جبل كما في الصحيحين إلى أهل اليمن: «قَالَ لَهُ: إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»[(١٧٨)]، وفي رواية: «إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ»[(١٧٩)].

وما دعاهم إلى النظر، والنظر سيعرفونه، والنظر والأشياء هذه في وجود الله، وهؤلاء مقرون بوجود الله.

---

(١٧٨)أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ (٧٣٧٢)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (١٩).

(١٧٩) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة (١٤٥٨)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (١٩) من حديث ابن عباس.

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [الزخرف:٨٧].

فالواجب: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فإذا قالها دخل في الإسلام، ولا يلتفت إلى ضلالات المتكلمين لما ذكروا بعض هذه الأقوال المنحرفة.

(٥٥) وأن ما قال الله كما قال، ولا خلف لما قال، وهو عند ما قال.

كل أما أخبر الله عنه، فإنه كما قال؛ لأن الله لا يخلف الميعاد.

(٥٦) والإيمان بالشرائع كلها.

الشرح:

يجب أن نؤمن بجميع ما أمرنا الله به من الشرائع.

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ ﴾ [البقرة:٢٨٥].

جميع الشرائع، ما يكفر بشيء.

﴿ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖ ﴾ [البقرة:٨٥] يؤمن ببعض الشرائع من الإسلام ويكفر ببعضها؟

لا، بل الجميع يؤمن به.

(٥٧) واعلم أن الشراء والبيع ما بيع في أسواق المسلمين حلال ما بيع على حكم الكتاب والإسلام والسنة، من غير أن يدخله تغيير أو ظلم أو جور أو خلاف للقرآن أو خلاف للعلم.

الأصل أن البيع والشراء حلال، أباح الله ذلك.

﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ [البقرة:٢٧٥].

إلا ما خالف الكتاب والسنة مما جاء النهي عنه، كالنهي عن الربا والغش والغرر ونحوها مما جاء النهي عنه.

(٥٨) واعلم – رحمك الله – أنه ينبغي للعبد أن تصحبه الشفقة أبدا ما صحب الدنيا؛

الشرح:

يعني: الشفقة من الله؛ الخوف.

كما قال تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الرحمن:٤٦].

وقال عز وجل عن أنبيائه وأوليائه الصالحين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء:٩٠].

هذا الذي ينبغي للعبد، لا يأمن من مكر الله، ولا يقنط من رحمة الله.

لأنه لا يدري على ما يموت، وبما يختم له، وعلى ما يلقى الله، وإن عمل كل عمل من الخير، وينبغي للرجل المسرف على نفسه أن لا يقطع رجاءه من الله تعالى عند الموت، ويحسن ظنه بالله تبارك وتعالى ويخاف ذنوبه، فإن رحمه الله فبفضل، وإن عذبه فبذنب.

نسأل الله أن يرحمنا برحمته.

العبد يكون بين الخوف والرجاء، والعلماء يقولون: في الحياة الدنيا يكون بين الخوف والرجاء، وعند الموت يغلب جانب الرجاء، فإنه ليس له حيلة الآن إلا الإقبال على الله، فلا يقنط من رحمة الله.

(٥٩) والإيمان بأن الله تبارك وتعالى أطلع نبيه على ما يكون في أمته إلى يوم القيامة.

جاء في أحاديث كثيرة مما كان من الفتن أخبر بها النبي ﷺ.

وحديث أبي ذر رضي الله عنه: مَا **مَاتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَطَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إِلَّا وَذَكَرَ لَنَا مِنْهُ عِلْمًا** (١٨٠).

وحديث أبي زَيْدٍ عَمْرِو بْنَ أَخْطب، قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الْفَجْرَ، وَصَعِدَ الْمِنبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ، فَنَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا (١٨١).

(١٨٠) أخرجه أحمد (٢١٣٦١)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٨٠٣).

(١٨١) أخرجه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة (٢٨٩٢).

(٦٠) واعلم أن رسول الله ﷺ قال: «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة»، قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: «ما أنا عليه اليوم وأصحابي».

هذا الأصل تكلمنا عليه في أول الدروس.

وهكذا كان الدين إلى خلافة عمر وهكذا كان في زمن عثمان، فلما قتل عثمان جاء الاختلاف والبدع،

بسبب الخوارج، حدثت بدعة الخوارج ثم بدعة الرافضة ثم بدعة القدرية، وهكذا.

بعد مقتل عثمان انفتح الباب على مصراعيه على هذه الأمة.

وصار الناس أحزابا وصاروا فرقا، فمن الناس من ثبت على الحق عند أول التغيير، وقال به ودعا الناس إليه، فكان الأمر مستقيما حتى كانت الطبقة الرابعة في خلافة بني فلان.

يعني: بني العباس، ما استطاع المصنف أن يصرح لأنه كان في زمن العباسيين.

انقلب الزمان وتغير الناس جدا، وفشت البدع،

الطبقة الأولى كانت طبقة أبي جعفر المنصور، ثم بعده ابنه المهدي، ثم هارون الرشيد، ثم بعده الأمين وما طال زمنه، ثم جاء المأمون، هذه الطبقة الرابعة، وبدأت الفتن، ودخلت المعتزلة والقدرية والجهمية في الولاية وصاروا وزراء الدولة، فنشروا البدع.

وكثرت الدعاة إلى غير سبيل الحق والجماعة، ووقعت المحن في شيء لم يتكلم به رسول الله ﷺ، ولا أصحابه،

هو الكلام في الصفات ونفي القدر والكلام في أن القرآن مخلوق.

ودعوا إلى الفرقة ونهى رسول الله عن الفرقة، وكفر بعضهم بعضا، وكل داع إلى رأيه، وإلى تكفير من خالفه فضل (الجهال) والرعاع ومن لا علم له، وأطمعوا الناس في شيء من أمر الدنيا وخوفوهم عقاب الدنيا، فاتبعهم الخلق على خوف في دنياهم ورغبة في دنياهم، فصارت السنة وأهلها مكتومين، وظهرت البدعة وفشت، وكفروا من حيث لا يعلمون من وجوه شتى، ووضعوا القياس،

يعني: القياس، الكلام في الصفات، والكلام في القدر.

وحملوا قدرة الرب في آياته وأحكامه وأمره ونهيه على عقولهم (وآرائهم)،

يعني: مسألة القدر.

كما قال الإمام أحمد: القدر قدرة الله.

يعني: هل الله قادر على أن يخلف أفعال العباد أم ليس بقادر؟

قادر على ذلك، فالقدرية لما نفوا أن تكون أفعال العباد في قدر الله من قدر الله، فهم في الحقيقة ينفون قدرة الله.

فما وافق عقولهم قبلوه وما لم يوافق عقولهم ردوه، فصار الإسلام غريبا، والسنة غريبة، وأهل السنة غرباء في جوف ديارهم.

حتى حبسوا وقُتلوا في السجن، الأئمة الكبار.

تكلمنا على هذا فيما مضى.

(٦١) واعلم أن المتعة - متعة النساء - والاستحلال حرام إلى يوم القيامة.

الشرح:

هذه التي عند الشيعة الآن.

كانت أول الأمر مباحة ثم نسخت وحرمت، فهي محرمة إلى قيام الساعة، كما قال النبي ﷺ: «أَلَا إِنَّهَا حَرَامٌ مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[(١٨٢)] فلازالت الشيعة على هذا المذهب الخبيث يستحلون به المحرم.

(٦٢) واعرف لبني هاشم فضلهم؛ لقرابتهم من رسول الله ﷺ وتعرف فضل قريش والعرب وجميع الأفخاذ،

الشرح:

يعني: القبائل، من العرب، بحسب قربهم من النبي ﷺ.

وهذا من الدين ليس من الباطل.

معرفة فضل العرب، فضل بني هاشم، ليس عصبية قومية، وإنما لأن الله اصطفاهم.

كما في الحديث: «إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، فَأَنَا خِيَارٌ مِنْ خِيَارٍ مِنْ خِيَارٍ»[(١٨٣)] فبنوا إسماعيل أيضًا عرب، اصطُفوا بهذا واخيروا لهذا، فيُعرف فضلهم وحقهم.

فاعرف قدرهم (وحقوقهم) في الإسلام، ومولى القوم منهم، وتعرف لسائر الناس حقهم في الإسلام و (تعرف فضل) الأنصار، ووصية رسول الله ﷺ فيهم، وآل الرسول فلا تنساهم، تعرف فضلهم، وجيرانه من أهل المدينة، فاعرف فضلهم.

---

(١٨٢) أخرجه مسلم: كتاب النكاح، باب نكاح المتعة، وبيان أنه أبيح، ثم نسخ، ثم أبيح، ثم نسخ، واستقر تحريمه إلى يوم القيامة (١٤٠٦).

(١٨٣) أخرجه مسلم: كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ (٢٢٧٦)، من حديث واثلة بن الأسقع.

هذا الذي ينبغي.

النبي ﷺ في صحيح البخاري لما كلم عليٌّ والعباس أبا بكرٍ في إرث النبي ﷺ، فبين لهم أن النبي ﷺ قال: «لَا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ»، ثم قال رضي الله عنه: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَرَابَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي (١٨٤).

وكان أبو بكرٍ يقول: ارقبوا محمدًا في أهل بيته.

يعني: راقبوه في أهل بيته.

فعلى هذا ينبغي معرفة فضل بيت النبي ﷺ وقرابته، حتى في قوله: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِى ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [الشورى:٢٣] قالوا: قرابة النبي ﷺ أن يُحفظ حقهم.

وكذلك الوصية بالأنصار، النبي ﷺ أوصى بهم، قال: «اسْتَوْصُوا بِالْأَنْصَارِ خَيْرًا» (١٨٥).

«آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ»(١٨٦) كما في الصحيحين.

وقال: «لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ، مَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللهُ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللهُ»(١٨٧).

كل هذه الأحاديث في الصحيحين.

---

(١٨٤) أخرجه البخاري: كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ، ومنقبة فاطمة عليها السلام بنت النبي ﷺ(٣٧١٢)، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي ﷺ: «لا نورث ما تركنا فهو صدقة» (١٧٥٩).

(١٨٥) أخرجه أحمد (١٣٥٨٢) من حديث أنس، وأصله في الصحيحين.

(١٨٦) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب علامة الإيمان حب الأنصار (١٧)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي رضي الله عنهم من الإيمان وعلاماته، وبغضهم من علامات النفاق (٧٤)، من حديث أنس.

(١٨٧) أخرجه البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب حب الأنصار من الإيمان (٣٧٨٣)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي رضي الله عنه من الإيمان (٧٥)، من حديث البراء بن عازب.

وكذلك جيران النبي ﷺ، يعني أهل المدينة، بجوار قبره ﷺ، لذلك لا يخيفهم إلا منافق، ولذلك جعل الله لها من فضلها أن الدجال يطأ جميع الأرض إلا مكة والمدينة حفاظًا لجوار النبي ﷺ، فينبغي للعبد أن يكون متأدبًا مع أهل المدينة؛ لجوار النبي ﷺ.

كان الإمام مالك إذا دخل المدينة، لا يركب دابة، ينزل؛ ويقول: **لا أركب في بلدٍ فيها جسد النبي ﷺ**.

وهذا من توقيره للنبي ﷺ.

(٦٣) واعلم -رحمك الله- أن أهل العلم لم يزالوا يردون قول الجهمية حتى كان في خلافة بني فلان

الشرح:

يعني: بني العباس.

والجهمية أتباع الجهم بن صفوان السمرقندي، أخذ المذهب الخبيث من الجعد بن درهم، وأصله من مذهب يهود حران، مذهب نفي الصفات والتعطيل، أخذه الجعد بن درهم وعنه الجهم بن صفوان، وانتشر هذا المذهب.

وكان بنوا أمية يتتبعونهم ويقتلونهم، فقتلوا الجهم بن صفوان، وقتلوا الجعد بن درهم، وهكذا تتبعوه، حتى كان في آخر خلافتهم خلافة مروان بن محمد المعروف بالحمار، تبنى مذهب الجهمية فكان سقوط الدولة عليه، ولما جاء بنوا العباس نصروا السنة حتى جاء هذا المأمون فتبنى مذهب الجهمية فضعفت بعد ذلك الدولة ولا زالت في ضعفٍ متفرقة حتى لم تستطع أن تحمي نفسها من التتر، وكانت ولاية الخلفاء من بني العباس ولاية صورية، ليس لهم من إدارة الدولة شيء.

وهكذا كل من نصر مذهب البدع على السنة أزال الله ملكه، نسأل الله أن يعيذ المسلمين من هذه المذاهب الخبيثة.

تكلم الرويبضة في أمر العامة.

الرويبضة أصحاب البدع، تكلموا في أمر العامة؛ في الدين العام للناس، وتولى هذه المسألة في أيامهم بشر بن غيث المريسي وأتباعه وانتشر هذا المذهب، وتولاه وزيرهم الكبير رئيس القضاة أحمد بن أبي دؤاد ومن معه.

وطعنوا على آثار رسول الله ﷺ، وأخذوا بالقياس والرأي، وكفروا من خالفهم، فدخل في قولهم الجاهل والمغفل والذي لا علم له، حتى كفروا من حيث لا يعلمون، فهلكت الأمة من وجوه، وكفرت من وجوه، وتزندقت من وجوه، وضلت من وجوه، وتفرقت وابتدعت من وجوه، إلا من ثبت على قول رسول الله ﷺ وأمره وأمر أصحابه.

لأن النبي ﷺ قال: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ**»(١٨٨) .

ولما ذكر الفرق قال في الناجية: «**هم مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»(١٨٩) .

ولم يخطئ أحدا منهم، ولم يجاوز أمرهم، ووسعه ما وسعهم، ولم يرغب عن طريقتهم ومذهبهم، وعلم أنهم كانوا على الإسلام الصحيح والإيمان الصحيح، فقلدهم دينه واستراح، وعلم أن الدين إنما هو بالتقليد، والتقليد لأصحاب محمد ﷺ.

يقصد به التقليد في السنة؛ لأنها منقولة بالإجماع، ما تحتاج إلى نظرٍ، الأدلة عليها ظاهرة.

ومن أعرض عنهم، كقول أهل الكلام، لما رأوا مذهب السلف منقول بالإسناد الصحيح والإجماع، لم يستطيعوا أن يردوه، قالوا: مذهب السلف أسلم، ومذهب الكلام أعلم وأحكم، فجعلوه أحكم من حيث الحكمة وأعلم من حيث العلم، وهو ضلالٌ مبينٌ، ليس بأعلم ولا بأحكم، بل الأعلم والأحكم والأسلم هو مذهب السلف.

---

(١٨٨) سبق تخريجه مرارًا.

(١٨٩) سبق تخريجه مرارًا.

(٦٤) واعلم أن من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، فهو مبتدع، ومن سكت فلم يقل: مخلوق ولا غير مخلوق، فهو جهمي.

هكذا قال أحمد بن حنبل وقال رسول الله ﷺ: «من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فإياكم ومحدثات الأمور، فإنها ضلالة، وعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، وعضوا عليها بالنواجذ».

الشرح:

أجمع السلف على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، لكن الجهمية لما ظهر هذا القول وعرفوا أنه كلام الله وغير مخلوق، بقي عندهم الحيل في مسألةٍ، وهي مسألة اللفظية، يقول: لفظي بالقرآن مخلوق.

وبعضهم يقول: لفظي بالقرآن غير مخلوق.

فتكلم باللفظ، فيقول الشيخ حكايةً عن مذهب السلف: من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو مبتدع، ومن سكت فلم يقل مخلوق ولا غير مخلوق، فهو جهمي.

كيف سكت؟

يقول: أقول كلام الله، وأسكت ولا أقول مخلوق ولا غير مخلوق؛ هذا جهمي؛ لماذا يسكت والمسألة تكلم فيها السلف وصرحوا فيها، ومذهب السلف واضح، والمجمع عليه أنه غير مخلوق، فتسكت لماذا؛ كما قال الإمام أحمد: ما سكت إلا لأنه جهمي، لكنه أراد أن يتقي.

كذلك من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، فهو مبتدع؛ لأنه أجمل الكلام الذي يشمل المنطوق نفسه، دعك من النطق.

ولذلك الإمام أحمد ذكر الخلال عنه في كتاب «السنة» [١٩٠] أنه قال: **افْتَرَقَتِ الْجَهْمِيَّةُ عَلَى ثَلَاثِ فِرَقٍ**: يعني: في القرآن:

---

(١٩٠) السنة للخلال (١٧٧٧).

الَّذِينَ قَالُوا مَخْلُوقٌ، وَالَّذِينَ شَكُّوا، وفرقة قالت: كلام الله ونسكت، ما نقول غير مخلوق. **وَالَّذِينَ قَالُوا: أَلْفَاظُنَا بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقَةٌ. فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: وَلَا نَقُولُ هَؤُلَاءِ وَاقِفَةٌ، نَقُولُ: هَؤُلَاءِ شَكَّاكَةٌ**. كلهم جهمية؛ لأنهم يريدون أن يتوصلوا أن يقولوا القرآن مخلوق، لكنهم اتقوا؛ خافوا من أهل السنة.

هذه فرقهم.

قال أَبُو دَاوُدَ، قَالَ: سَأَلْتُ أَحْمَدَ بْنَ صَالِحٍ الْمِصْرِيَّ أحد أئمة السلف عَنْ مَنْ يَقُولُ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ، وَلَا يَقُولُ مَخْلُوقٌ وَلَا غَيْرُ مَخْلُوقٍ، قَالَ: **هَذَا شَاكٌّ**.(١٩١)

وذكر أَبُو بَكْرٍ الْمَرُّوذِيُّ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ عَنْ مَنْ وَقَفَ، لَا يَقُولُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ؟ قَالَ: أَنَا أَقُولُ: كَلَامُ اللهِ. قَالَ: يُقَالَ لَهُ: **إِنَّ الْعُلَمَاءَ يَقُولُونَ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ، فَإِنْ أَبَى فَهُوَ جَهْمِيٌّ**.(١٩٢)

بَيِّن، صَرِّح، علماء السنة يقولون: كلام الله غير مخلوق.

قال: فإن أبى فهو جهمي.

كونه يأبى أن يصرح أنه غير مخلوق، فهو جهمي.

وروى عنه شاهين بن السميدع قال: سمعت أبا عَبْدِ اللهِ أحمد بن حنبل يقول الواقفة شر من الجهمية ومن قَالَ: لفظي بالقرآن مخلوق فهو كافر.

قَالَ: وسمعت أبا عَبْدِ اللهِ يقول إِسْحَاق بْن إسرائيل واقفي مشئوم.

رجل من أهل الحديث، لكنه يقول واقفي.

قَالَ: وسالت أبا عَبْدِ اللهِ عمن يقول أنا أقف فِي القرآن تورعًا.

بعض الناس يقول: نتورع، ما أقول مخلوق ولا غير مخلوق.

قَالَ: ذاك شاك فِي الدين إجماع العلماء والأئمة المتقدمين عَلَى إن القرآن كلام الله غير مخلوق.

كيف تقف والأئمة أجمعوا؟

قال: **هذا الدين الذي أدركت عليه الشيوخ وأدرك من كان قبلهم عَلَى هذا**.(١٩٣)

---

(١٩١) «السنة» للخلال (١٨٠١).

(١٩٢) «السنة» للخلال (١٧٨٥).

هذا إجماع السلف، فيأتي شخص يتورع عن مذهب السلف؟

هذا الأمر الغريب.

وذكر عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب السنة عن أبيه التفصيل في هؤلاء الناس، لأن منهم قد يكون جاهلًا، قال: **سَمِعْتُ أَبِي رَحِمَهُ اللهُ وَسُئِلَ عَنِ الْوَاقِفَةِ فَقَالَ أَبِي: مَنْ كَانَ يُخَاصِمُ وَيُعْرَفُ بِالْكَلَامِ فَهُوَ جَهْمِيٌّ**.

صاحب خصومة من أهل الكلام ويتوقف فهو جهمي.

وَمَنْ لَمْ يُعْرَفْ بِالْكَلَامِ ليس من أهل الكلام **يُجَانَبْ حَتَّى يَرْجِعَ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عِلْمٌ يَسْأَلْ** يهجر. (١٩٤)

ومن لم يكن له علمٌ يسأل؛ يتعلم.

إذن منهم من هو جهمي معروفٌ بالخصومة فهذا جهمي، ومنهم من لا يخاصم لكنه يقول بهذا القول فهذا يجانب، وإن كان جاهلًا فيجب عليه السؤال، يسأل أهل العلم.

هنا مسألة مهمة، مسألة اللفظ، ينبغي أن يفرق فيها، ولذلك حصل فيها خطأ، حتى قديم.

وأنك إذا قرأت القرآن فهو كلام الله، لكن الصوت صوت القارئ، الكلام كلام الباري والصوت صوت القاري، هذا مذهب السلف.

ما تأتي وتقول الصوت صوت الله، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

ولذلك ذكر إبراهيم الحربي فيما حكاه عنه ابن القيم أنه قال: كنت جالسًا عند أحمد بن حنبل إذا جاءه رجلٌ فقال: يا أبا عبدالله، إن عندنا قومًا يقولون: إن ألفاظهم بالقرآن مخلوقة.

هذا كلام مجمل، هذا تقصد المقروء أم تقصد الصوت؟ وهذا يشمل المقروء، وهو كلام الله.

ففصل الإمام أحمد تفصيل جيد مفيد، قال: يتوجه العبد بالقرآن بخمسة أوجه، وهو فيها غير مخلوق: **حفظٌ بقلب**.

---

(١٩٣) «طبقات الحنابلة» (١/ ١٧٢).

(١٩٤) السنة لعبد الله (٢٢٣).

المقروء لما تحفظ الفاتحة، هذه الفاتحة التي في قلبك هي كلام الله؛ لأنها هي التي نزل على محمدٍ، نزل به جبريل من الله، وحفظه المسلمون.

وتلاوةٌ بلسان.

المتلو، ليس هو الصوت.

وسمعٌ بإذن.

الذي تسمعه.

ونظرة ببصر.

الذي تراه أمامك مكتوب.

وخط بيد.

الخط الذي كتبته بيدك.

هذه خمسة، قال: **فالقلب مخلوق والمحفوظ غير مخلوق.**

القلب نفسه مخلوق، لكن المحفوظ فيه غير مخلوق.

والتلاوة مخلوقة والمتلو غير مخلوق.

ففعلك أنت مخلوق، لكن الذي تلوته غير مخلوق.

والسمع مخلوق، الذي سمعت به القرآن.

والمسموع غير مخلوق.

والنظر مخلوق، فعلك بالنظر.

والمنظور إليه غير مخلوق.

والكتابة مخلوقة، فعلك.

والمكتوب غير مخلوق. (١٩٥)

تصورت هذا الشيء؟ لأنه كلام الله.

---

(١٩٥) رسالة في أن القرآن غير مخلوق، إبراهيم الحربي (ص: ٣٢).

(٦٥) واعلم أنه إنما جاء هلاك الجهمية أنهم فكروا في الرب، فأدخلوا لم وكيف؟،

الشرح:

هذا هو السبب، هلكوا للتفكير في الله، لم وكيف؟ أرادوا أن يعرفوا كل شيء ما وقفوا عند النقل عن النبي ﷺ.

مع أن الله يقول: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ [طه:١١٠].

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة:٢٥٥]

وقال: ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٧٤﴾ [النحل:٧٤].

وقال: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى:١١].

ومع ذلك أدخلوا القياس والنظر والتفكير بالله.

وتركوا الأثر، ووضعوا القياس، وقاسوا الدين على رأيهم فجاءوا بالكفر عيانا لا يخفي أنه كفر، وأكفروا الخلق واضطرهم الأمر حتى قالوا بالتعطيل.

التعطيل: يعني نفي الصفات.

وقال بعض العلماء -منهم أحمد بن حنبل رضي الله عنه-: الجهمي كافر، ليس من أهل القبلة، حلال الدم، لا يرث ولا يورث؛ لأنه قال: لا جمعة ولا جماعة، (ولا عيدين) ولا صدقة،

أكثر علماء السلف يكفرون الجهمية، هذا بالنسبة إلى المقالة، ولكن الأعيان؛ شخص بعينه، يتوقفون فيه حتى يقيموا عليه الحجة.

وقالوا: إن من لم يقل: القرآن مخلوق فهو كافر،

هكذا قال السلف، والجهمية والمعتزلة عكسوا يقولون: الذي لا يقول القرآن مخلوق عندهم كافر، ولذلك كفروا العلماء الذين وقفوا في وجههم، واستحلوا دمائهم.

والسلف بالعكس قالوا: من قال القرآن مخلوق فهو كافر؛ لأنه رد ما في الكتاب.

واستحلوا السيف على أمة محمد ﷺ، وخالفوا من كان قبلهم، وامتحنوا الناس بشيء لم يتكلم فيه رسول الله ﷺ، ولا أحد من أصحابه، وأرادوا تعطيل المساجد والجوامع، وأوهنوا الإسلام، وعطلوا الجهاد، وعملوا في الفرقة، وخالفوا الآثار، وتكلموا بالمنسوخ، واحتجوا بالمتشابه، فشككوا الناس في آرائهم وأديانهم، واختصموا في ربهم، وقالوا: ليس عذاب قبر، ولا حوض ولا شفاعة، والجنة والنار لم يخلقا، وأنكروا كثيرا مما قال رسول الله ﷺ،

كل هذا من مقالات الجهمية، قاتلهم الله.

فاستحل من استحل تكفيرهم ودماءهم من هذا الوجه؛ لأن من رد آية من كتاب الله فقد رد الكتاب كله، ومن رد أثرا عن رسول الله ﷺ فقد رد الأثر كله، وهو كافر بالله العظيم، فدامت لهم المدة، ووجدوا من السلطان معونة على ذلك، ووضعوا السيف والسوط دون ذلك، فدرس علم السنة والجماعة وأوهنوهما وصارتا مكتومين؛ لإظهار البدع والكلام فيها ولكثرتهم، واتخذوا المجالس، وأظهروا رأيهم، ووضعوا فيها الكتب، وأطمعوا الناس، وطلبوا لهم الرياسة،

يعني: دامت لهم مدة في خلافة المأمون، ثم المعتصم من بعده، ثم الواثق، فصارت لهم دولة، لأنهم كانوا هم الوزراء، وكانوا يقومون بنشر هذا المذهب الخبيث.

فكانت فتنة عظيمة لم ينج منها إلا من عصم الله، فأدنى ما كان يصيب الرجل من مجالستهم أن يشك في دينه، أو يتابعهم أو يزعم أنهم على الحق، ولا يدري أنه على الحق أو على الباطل، فصار شاكا، فهلك الخلق،

كان كل سلفي وعالم ينشر الحديث يُكتم، ويسجن ويعذب ويقطع رزقه من بيت المال ونحو ذلك، حتى صار إما سجين وإما طريد فار بدينه، واندثرت السنة، مع ذلك لما جاؤوا للإمام أحمد وأرادوا أن يخرجوا عليه قال: اصبروا حتى يستريح برٌّ ويستراح من فاجر.

فلما أذن الله للمتوكل بعد الواثق، رفع المحنة، وأذن لأهل السنة بالجلوس في التدريس فجلس العلماء، جلس عثمان بن أبي شيبة في جامع المنصور، وجلس أبو بكر ابن أبي شيبة في الرصافة، وجلس فلان، وجلس فلان، ونشروا السنة، ولذلك صنف العلماء في تلك الفترة كتب العقائد وأقرؤها للناس.

فهذه من رحمة الله.

حتى كان أيام جعفر - الذي يقال له المتوكل - فأطفأ الله به البدع، وأظهر به الحق، وأظهر به أهل السنة، وطالت ألسنتهم، مع قلتهم وكثرة أهل البدع إلى يومنا (هذا) والرسم وأعلام الضلالة قد بقي قوم يعملون بها، ويدعون إليها، لا مانع يمنعهم، ولا أحد يحجزهم عما يقولون ويعملون.

أولئك أهل البدع، لكن سبحان الله ذهبت، وذهب رجالهم، ولا تعرفونهم إلا بأنهم أعداء السنة؛ المريسي، وأضرابه، ما تعرفونهم إلا بأنهم أعداء السنة.

ذهبت كتبهم على كثرة ما صنفوا.

وبقيت الكتب التي صنفها السلف.

وهذا من رحمة الله بهذه الأمة.

إلى أزمان قريبة؛ ثم إن الله منَّ بنشر السنة على يد الإمام محمد بن عبد الوهاب، كدولة وقيام، والإمام محمد بن سعود، وقامت لهم هذه الدولة ونفوا البدع، ونشرت السنن.

وهذا فضلٌ من الله عز وجل.

ثم زمن الملك عبد العزيز، وطبعت كتب التوحيد والسنة.

في زمن شيخ الإسلام ابن تيمية، يوجد شيخ الإسلام، لكنه يُحبس ويؤذى ويُنفى من الشام، ويُطرد إلى مصر، وأصحابه يحسبون، حتى مات في السجن من أجل السنة، من أجل أنه كتب في العقيدة، ولما حبس ابن تيمية لأنه كتب في العقيدة قام أبو الحجاج المزي رَحِمَهُ اللهُ وأعلن درسًا في كتاب «خلق أفعال العباد للبخاري» وهو جزئين، جزء في الرد على اللفظية، وجزء في الرد على الجهمية في الأسماء والصفات، واسم الكتاب «خلق أفعال العباد والرد على الجهمية» فلما جلس يقرؤه فرح أهل الحديث لأنه سيروونه عن أبي الحجاج المزي بالأسانيد العالية، فلما جلس تحت قبة المجلس في جامع دمشق، علم وسُمع في الحديث عرف أهل البدع أنه يقصد الرد عليهم، فذهبوا إلى الوالي وشكوه، وقالوا: أبو الحجاج المزي ينشر مذهب المجسمة، يعنون: كتاب البخاري وكتاب السنة، فأخذه الوالي وحسبه.

على أي شيء حبس المزي؟

على إقراء كتاب «خلق أفعال العباد».

ونُفي ابن تيمية إلى مصر سبع سنين، بسبب الفتوى الحموية، ثم رجع ثم حبس حتى مات في السجن.

وقبله الشيخ عبد الغني المقدسي صاحب عمدة الأحكام، كان كذلك يناظر أهل البدع، والدلة لهم، فأُخذ وحبس، ثم نُفي إلى مصر، ومات في مصر سنة (٦٠٠) بسبب السنة.

كذلك كان العلماء في أكثر الأزمان، إما يخاف ويسكت، وإما يتكلم تلميح، وإلا مآله إلى السجن والحبس والاتهام بأنه مجسم تكفيري وكذا.

نسأل الله أن يعلي السنة وأهلها وشأنها، وأن يحفظ هذه البلاد التي قامت بها.

(٦٦) واعلم أنه لم تجئ بدعة قط إلا من الهمج الرعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح، فمن كان هكذا فلا دين له.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيَۢا بَيْنَهُمْ﴾ [الجاثية:١٧].

وقال: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيَۢا بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى:١٤].

وقال: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيَۢا بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة:٢١٣].و

هم علماء السوء، أصحاب الطمع والبدع.

الشرح:

نعوذ بالله.

البدع هذه لا تأتي إلا من الرعاع، أتباع كل ناعق، كما قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وما يقول شخص: خلاص، ما دام أهل البدع قائمين وكثرة أنه يذهب الحق.

لا؛ الفرقة الناجية باقية، الطائفة المنصورة باقية إلى قيام الساعة.

(٦٧) واعلم أنه لا يزال الناس في عصابة من أهل الحق والسنة، يهديهم الله ويهدي بهم غيرهم، ويحيي بهم السنن، فهم الذين وصفهم الله مع قلتهم عند الاختلاف، وقال: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيَۢا بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة:٢١٣] فاستثناهم فقال: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ [البقرة:٢١٣].

وقال رسول الله ﷺ: «لا (تزال عصابة) من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله».

هذا الحديث في الصحيحين، في الطائفة المنصورة، وهي الفرقة الناجية.

(٦٨) واعلم – رحمك الله – أن العلم ليس بكثرة الرواية والكتب، إنما العالم من اتبع العلم والسنن، وإن كان قليل العلم والكتب ومن خالف الكتاب والسنة فهو صاحب بدعة، وإن كان كثير العلم (والكتب).

الله أكبر.

العالم بالله هو من اتبع العلم عن النبي ﷺ، وإن كان قليل العلم، ما دام أنه على السنة متبعًا لها، فهذا العالم بالله.

قد يكون الشخص كثير العلوم كثير الكتب لكنه جاهل بالله، معطل، أو مبتدع، فهذا لا ينفعه، ولا تزيده كثرة الكتب إلى كثرة الحجة عليه.

(٦٩) واعلم – رحمك الله – أن من قال في دين الله برأيه وقياسه وتأويله من غير حجة من السنة والجماعة فقد قال على الله ما لا يعلم، ومن قال على الله ما لا يعلم، فهو من المتكلفين، والحق ما جاء من عند الله، والسنة سنة رسول الله ﷺ،

والجماعة ما اجتمع عليه أصحاب رسول الله ﷺ في خلافة أبي بكر وعمر (وعثمان)

الآن يفسر السنة؛ ما جاءت عن النبي ﷺ وأصحابه.

«فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ».

والجماعة ما اجتمع عليه الصحابة، وهي التي قال فيها النبي «**الجماعة**» لما ذكر الفرقة الناجية.

ومن اقتصر على سنة رسول الله ﷺ، وما كان عليه أصحابه والجماعة فلج على أهل البدع كلها، واستراح بدنه وسلم له دينه إن شاء الله؛ لأن رسول الله ﷺ قال: «ستفترق أمتي» وبين لنا رسول الله ﷺ الناجي منها فقال: «ما كنت أنا عليه اليوم وأصحابي».

فهذا هو الشفاء والبيان والأمر الواضح والمنار المستنير.

جماعتي، يعني: اقتصر على جماعتي.

وقال رسول الله ﷺ: «إياكم والتعمق، وإياكم والتنطع، وعليكم بدينكم العتيق»[١٩٦].

---

(١٩٦) لم أقف مرفوعًا بهذا التمام، وهو من قول ابن مسعود، خرجه الدارمي (١٤٢، ١٤٣) وغيره.

(٧٠) واعلم أن العتيق ما كان من وفاة رسول الله ﷺ إلى قتل عثمان بن عفان وكان قتله أول الفُرقة، وأول الاختلاف، فتحاربت الأمة وتفرقت واتبعت الطمع والأهواء والميل إلى الدنيا، فليس لأحد رخصة في شيء أحدثه مما لم يكن عليه أصحاب محمد رسول الله ﷺ، أو يكون رجل يدعو إلى شيء أحدثه من قبله أو من قبل رجل من أهل البدع، فهو كمن أحدثه، فمن زعم ذلك أو قال به، فقد رد السنة وخالف الحق والجماعة، وأباح البدع.

يعني: من مشى على سنةٍ ولو كانت قديمة، يعني في زمنٍ ماضي، فهو صاحبها، كما لو كان أحدثها؛ لأنه نشرها.

وهو أضر على هذه الأمة من إبليس.

لأنه سيكون لسانًا لإبليس في تغيير السنن وردها ونشر البدع، سيكون عونًا من أعوان إبليس.

ومن عرف ما ترك أصحاب البدع من السنة، وما فارقوا فيه فتمسك به فهو صاحب سنة وصاحب جماعة، وحقيق أن يتبع وأن يعان، وأن يحفظ، وهو ممن أوصى به رسول الله ﷺ.

يعني: العالم الذي عرف السنة واتبعها واجتنب البدعة هذا الذي ينبغي أن يُتبع ويطاع.

(٧١) واعلموا – رحمكم الله – أن أصول البدع أربعة أبواب، انشعب من هذه الأربعة اثنان وسبعون هوًى، ثم يصير كل واحد من البدع يتشعب حتى تصير كلها إلى ألفين وثمان مائة مقالة، وكلها ضلالة، وكلها في النار إلا واحدة، وهو من آمن بما في هذا الكتاب، واعتقده من غير ريبة في قلبه، ولا شكوك، فهو صاحب سنة، وهو الناجي إن شاء الله.

الشرح:

يقول أصول البدع أربعة أبواب، يعني: مقالاتهم.

التجهم، ويدخل فيه التعطيل.

والقدرية، والجبرية، هذه في مسائل القدر.

وكذلك: الرفض، في مسائل الرافضة.

هذه البدع يقول: هي أصول البدع، ثم قسمها قسمة منها اثنان وسبعون فرقة، المقالات؛ هذه الفرق؛ لأنه قد يجمع الشخص بين هذه المقالات وقد يكون له مقالةٌ منها.

يعني: مذهب الخوارج مذهب، مقالة الخروج، مقالة المعتزلة اجتمعت فيها جهمية وقدرية.

مقالة الجهمية: قد يكون قدرية وخارجية.

المهم أنها مقالات.

لكن العبرة بالناجية، الصحابة سألوا عن الناجية، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي».

(٧٢) واعلم – رحمك الله – لو أن الناس وقفوا عند محدثات الأمور ولم يتجاوزوها بشيء (ولم يولدوا كلاما مما لم يجئ فيه أثر عن رسول الله ﷺ ولا عن أصحابه لم تكن بدعة.

الشرح:

محدثات الأمور، مثلًا لو حجموها ولم يشققوا منها شيئًا.

يعني: مثلًا لما ظهر صبيغ بن عِسل المرادي حجمه عمر، وكاد أن يفتح باب البدع، فجلده، وأمره بإقامة جبرية في الكوفة ولا يخرج، فرجع عن البدعة.

لكن لو سُمح له بالكلام، وشقق، وصار له أنصار، كما حصل مع القدرية، تكلم واصل بن عطاء في القدر ثم صار له أتباع، عمرو بن عبيد، وكذا حتى صارت مذهبًا.

كذلك الجهمية، تكلم الجعد بن درهم، وأخذها عنه الجهم بن صفوان، وكذلك حتى صارت مذهبًا، تلقفها بشر المريسي وجماعته.

يقول: لو أنهم حجموها ولم يتجاوزوها، ولم يولدوا عليها، لاندثرت.

كل النسخ عندكم: **ولم يتجاوزوها**، ما في بالحاء، يتحاوزوها، قد يكون يتلقوها، من الحوز، والظاهر أنها قد تكون بالحاء.

(٧٣) واعلم – رحمك الله – أنه ليس بين العبد وبين أن يكون مؤمنا حتى يصير كافرا إلا أن يجحد شيئا مما أنزله الله تعالى، أو يزيد في كلام الله، أو ينقص، أو ينكر شيئا مما قال الله، أو شيئا مما تكلم به رسول الله ﷺ، فاتق الله – رحمك الله – وانظر لنفسك، وإياك والغلو في الدين، فإنه ليس من طريق الحق في شيء.

الشرح:

هذه مسألة أن الإنسان المؤمن قد يغلو حتى يصل إلى الكفر، وقد نهى النبي ﷺ قال: «**«هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ »**»[١٩٧] كما في صحيح مسلم.

وفي السنن والمسند قال ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ**»[١٩٨].

وقال عز وجل: ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْ ﴾ [هود:١١٢]، نهي عن الطغيان.

وقال: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ ﴾ [النساء:١٧١] نهى عن الغلو.

ثم ذكر أن الإنسان قد يكفر إذا جحد شيئًا مما أنزل الله.

ولذلك قال ابن قدامة: (أجمعوا على أن من أنكر سورةً من القرآن أو آيةً أو كلمةً أو حرفًا متفقًا عليه أنه كافر)[١٩٩].

هذا إجماع السلف.

---

(١٩٧) أخرجه مسلم: كتاب العلم، باب هَلَكَ المتنطعون (٢٦٧٠).

(١٩٨) أخرجه النسائي: كتاب مناسك الحج، التقاط الحصى (٣٠٥٧)، وابن ماجه: كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي (٣٠٢٩)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٦٨٠).

(١٩٩) لمعة الاعتقاد ص/ ١٢.

(٧٤) وجميع ما وصفت لك في هذا الكتاب، فهو عن الله، وعن رسول الله ﷺ، وعن أصحابه وعن التابعين، والقرن الثالث إلى القرن الرابع،

الشرح:

مأخوذ من الكتاب والسنة وكلام السلف.

يحكي لك الإجماع أن ما في هذا الكتاب من مسائل، في الجملة، في أصوله، هو محل إجماع، إجماع الصحابة والتابعين والقرون المفضلة والعلماء من بعدهم.

فاتق الله يا عبد الله، وعليك بالتصديق والتسليم والتفويض والرضى لما في هذا الكتاب، ولا تكتم هذا الكتاب أحدا من أهل القبلة، فعسى يرد الله به حيرانا عن حيرته، أو صاحب بدعة من بدعته، أو ضالا عن ضلالته، فينجو به.

ليس لأنه يمدح كتابه هو، تزكية الكتاب هذا؛ لا، بل لأن عقيدة السنة منقولة عمن سلف نقلًا، فيحث على تلقيه، وهو كما قال، نفع الله بهذا الكتاب ببيان السنة.

فاتق الله، وعليك بالأمر الأول العتيق، وهو ما وصفت لك في هذا الكتاب، فرحم الله عبدا، ورحم والديه قرأ هذا الكتاب،

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم، وأن يرحمنا ووالدينا.

وبثه وعمل به ودعا إليه، واحتج به، فإنه دين الله ودين رسول الله ﷺ، فإنه من انتحل شيئا خلاف ما في هذا الكتاب، فإنه ليس يدين لله بدين،

يعني: ليس يدين لله بدينٍ رضيه الله، يعني: ليس كل تدين يرضاه الله.

قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣].

وقد رده كله، كما لو أن عبدا آمن بجميع ما قال الله تبارك وتعالى، إلا أنه شك في حرف فقد رد جميع ما قال الله تعالى، وهو كافر،

يعني: من رد آية من كتاب الله كأنما رد القرآن كله.

كذلك من رد دين النبي ﷺ الذي جاء به، الذي رد جزئية من دين الله الثابتة عنها، كأنه رد الدين كله، لا يعني يقول: أنا مؤمن إلا هذه.

يعتبر رده كله، هذا مقصود المصنف.

كما أن شهادة أن لا إله إلا الله لا تقبل من صاحبها إلا بصدق النية وخالص اليقين، كذلك لا يقبل الله شيئا من السنة في ترك بعض، ومن ترك من السنة شيئا فقد ترك السنة كلها.

فعليك بالقبول، ودع عنك المحك واللجاجة،

المَحَكّ، كذا مشددة عنكم.

والمحك، دع عنك المَحْكَ، بدون تشديد الكاف.

أو المماحكة، يعني: المحك والمحاكة.

الطالب:...

الشيخ: المماحلة، يعني: أيضًا من المماطلة.

والظاهر أنها المحاكة أو المحك.

فإنه ليس من دين الله في شيء، وزمانك خاصة زمان سوء، فاتق الله.

يقصد رَحِمَهُ اللَّهُ انتشار البدع في وقته، وتسلط أهل البدع.

(٧٥) وإذا وقعت الفتنة فالزم جوف بيتك، وفر من جوار الفتنة، وإياك والعصبية، وكل ما كان من قتال بين المسلمين على الدنيا فهو فتنة، فاتق الله وحده لا شريك له، ولا تخرج فيها، ولا تقاتل فيها، ولا تهو، ولا تشايع، ولا تمايل، ولا تحب شيئا من أمورهم، فإنه يقال: من أحب فعال قوم - خيرا كان أو شرا - كان كمن عمله. وفقنا الله وإياكم لمرضاته، وجنبنا وإياكم معصيته.

الشرح:

هذه والله نصيحة انتبهوا لها.

إياك إذا وقعت الفتن، فالزم جوف بيتك؛ لا تخرج معها، الآن كثير من الناس يتواعدون على المظاهرات، في ميدان كذا، ميدان التحرير، وهذا دخولٌ في الفتن؛ يضحك عليهم الشيطان، الشيطان ما يقول لهم: اخرجوا إلى الفتن، بل هذا لتحرير أو تغيير أو كذا.

وهي في الحقيقة فتنة.

النبي ﷺ يقول: «**يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ وَمَوَاقِعَ القَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ**»(٢٠٠)، كما في الصحيحين.

وأمر بلزوم البيت، قال: كن حلس بيتك.

الحلس هو الملقي في البيت لا يتحرك.

وإياك والعصبية؛ إلى قبيلة أو مذهب أو حزب أو كذا، وكل ما كان من قتالٍ بين المسلمين على الدنيا فهو فتنة.

والآن ما أكثر ما يحصل كله على الدنيا؛ لأجل الحزب الفلاني والطائفة الفلانية.

فاتق الله وحده لا شريك له، ولا تخرج فيها، ولا تقاتل فيها، ولا تهو، حتى قلبك لا يميل، **ولا تشايع**، تكون من شيعتهم وجماعتهم، **ولا تمايل**، تميل إليهم، **ولا تحب شيئًا من أمورهم** أبدًا، لأن من أحب فعال قومٍ كان كمن عمله؛ لأنه من الرضا.

---

(٢٠٠) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب من الدين الفرار من الفتن (١٩)، ولم أقف عليه في صحيح مسلم.

النبي ﷺ لما قال عن المنكرات التي تكون في آخر الزمان: «فَمَنْ عَرَفَ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ»(٢٠١) هذا المشارك لهم، رضي بفعلهم.

والعبد يحرص على ألا يخرج في الفتن، كما في صحيح مسلم قال ﷺ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتَنٌ: أَلَا ثُمَّ تَكُونُ فِتْنَةٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي فِيهَا، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي إِلَيْهَا. أَلَا، فَإِذَا نَزَلَتْ أَوْ وَقَعَتْ، فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ» قَالَ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِبِلٌ وَلَا غَنَمٌ وَلَا أَرْضٌ؟ قَالَ: «يَعْمِدُ إِلَى سَيْفِهِ فَيَدُقُّ عَلَى حَدِّهِ بِحَجَرٍ، ثُمَّ لِيَنْجُ إِنِ اسْتَطَاعَ النَّجَاءَ، اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟» قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ إِنْ أُكْرِهْتُ حَتَّى يُنْطَلَقَ بِي إِلَى أَحَدِ الصَّفَّيْنِ، أَوْ إِحْدَى الْفِئَتَيْنِ، فَضَرَبَنِي رَجُلٌ بِسَيْفِهِ، أَوْ يَجِيءُ سَهْمٌ فَيَقْتُلُنِي؟ قَالَ: «يَبُوءُ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ، وَيَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»(٢٠٢).

ولذلك أيضًا في حديث أبي موسى الذي في المسند وغيره وذكره الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة: «إِنَّ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ. يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا، وَيُصْبِحُ كَافِرًا. الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي». قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «كُونُوا أَحْلَاسَ بُيُوتِكُمْ»(٢٠٣).

أسأل الله أن يصلح أحوالنا وأحوال المسلمين.

---

(٢٠١) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع... (١٨٥٤)، من حديث أم سلمة.

(٢٠٢) أخرجه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب نزول الفتن كمواقع القطر (٢٨٨٧) من حديث أبي بكرة.

(٢٠٣) أخرجه أبو داود: كتاب الفتن والملاحم، باب في النهي عن السعي في الفتنة (٤٢٦٢)، وحسنه الألباني في «صحيح أبي داود».

(٧٦) وأَقِلَّ النظر في النجوم إلا ما تستعين به على مواقيت الصلاة، واله عما سوى ذلك، فإنه يدعو إلى الزندقة.

الشرح:

النجوم لا يؤخذ منها إلا معرفة الجهات، قال تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ١٦﴾ [النحل:١٦]، معرفة الجهات.

وما سوى ذلك، فقد قال ﷺ: «مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ: فَقَدِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ، زَادَ مَا زَادَ»(٢٠٤).

فلا يؤخذ منها إلا علم التسيير، يقسم العلماء النجوم إلى قسمين: علم التسيير وعلم التأثير.

علم التسيير هو معرفة سير النجوم بمعرفة الوسم والفصول والقبلة والجهات.

وعلم التأثير أن يروا أن لها أثرًا؛ الأفلاك العلوية لها أثر في الأفلاك السفلية في الأرض، يقولون: إذا طلع نجم كذا، وناء نجم كذا.

حتى سمى النبي ﷺ ذلك كفرًا، فقال: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمَ قَالَ: قَالَ أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ»(٢٠٥).

نوئه ظهوره وارتفاعه وطلوعه.

---

(٢٠٤) أخرجه أبو داود: كتاب الطب، باب في النجوم (٣٩٠٥)، وابن ماجه: كتاب الأدب، باب تعلم النجوم (٣٧٢٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٠٧٤).

(٢٠٥) أخرجه البخاري: كتاب الجمعة، باب قول الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ (١٠٨٣)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء (٧١).

(٧٧) وإياك والنظر في الكلام والجلوس إلى أصحاب الكلام، وعليك بالآثار، وأهل الآثار، وإياهم فاسأل، ومعهم فاجلس، ومنهم فاقتبس.

الشرح:

والجلوس فيه.

كتب الكلام الآن مصنفة غير كتب أهل السنة، أكثرها كلام، إنما تجده يتكلم في الصفات وفي الله بكلامٍ لا يدخل في القلب ولا يرتاح له قلب المؤمن.

يقول: عليك بالآثار، علم السنن، وأهل الآثار علماء السنة، فاحرص على لزوم مجالسهم واقتبس منهم.

(٧٨) واعلم أنه ما عبد الله بمثل الخوف من الله، وطريق الخوف والحزن والشفقات والحياء من الله تبارك وتعالى.

الشرح:

يعني: يلزم العبد ذلك، الخوف من الله، لأن الله يقول: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٤٦].

طريق الأنبياء هو الخوف من الله، كما أنهم يرجونه ويخشونه ويسارعون في عبادته، كما قال عنهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء:٩٠].

فهذه طريقة عباد الله، فعليك بذلك، والخوف والحزن والشفقة والحياء من الله، هذه يلزمها العبد.

(٧٩) واحذر أن تجلس مع من يدعو إلى الشوق والمحبة،

هذه طريقة الصوفية: يتعبدون لله بالشوق والمحبة فقط.

بل بعضهم يقول: يعشق الله.

تعالى الله، هذه ألفاظ سوقية ما تطلق مع الله.

ومن يخلو مع النساء وطريق المذهب، فإن هؤلاء كلهم على ضلالة.

يحذر من الصوفية التي ظهرت أنهم يتعبدون إلى الله بالمحبة ويتركون الخوف والرجاء.

بعضهم يقول: أعبد الله لا خوفًا من ناره ولا طمعًا في جنته، إنما محبة.

وهذا ضلال مبين، الأنبياء يحبون الله ويخافونه ويرجونه، كما ذكر الله عنهم، فأي طريقة تخالف طريقة الأنبياء فهي ضلال.

(٨٠) واعلم – رحمك الله – أن الله – تبارك وتعالى – دعا الخلق كلهم إلى عبادته، ومن بعد ذلك على من شاء بالإسلام تفضلا منه.

الشرح:

نعم، جميع العباد مأمورون.

هذه مسألة الجمع بين الشرع والقدر.

ما يأتي شخص ويعارض يقول: كيف قدر الله عليهم الكفر ويدعوهم إلى العبادة؟

نقول: نعم، الله يدعو العباد إلى عبادته، ويأمرهم وينهاهم؛ لئلا يكون للناس حجة على الله، لكن علم الله أن هؤلاء لن يستجيبوا ولن يؤمنوا فقدر الذي كتب عليهم.

كما مر معنا.

(٨١) والكف عن حرب علي ومعاوية وعائشة وطلحة والزبير،

الشرح:

أي: من السنة، ومن العقيدة؛ ليست من فضول الكلام، ولا يأتي شخص ويتدخل في هذا.

من العقيدة التي عليها السلف أن تكف عما شجر بين الصحابة، هؤلاء أمرهم إلى الله عز وجل، ونحن نعلم أنهم أصحاب النبي ﷺ وأولياؤه، وأن الله قال فيهم وفيمن شهد بدرًا: «لَعَلَّ اللهَ قَدْ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»(٢٠٦).

وقال ﷺ: «أَنَّهُ لا يَدْخُلَ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحتَ الشَّجَرَةِ»(٢٠٧) شجرة الرضوان.

---

(٢٠٦) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس (٣٠٠٧)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم، وقصة حاطب بن أبي بلتعة (٢٤٩٤).

(٢٠٧) أخرجه مسلم: كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان رضي الله عنهم (٢٤٩٦).

وأنهم أصحاب الجنة، قال تعايل: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [النساء:٩٥].

ومن كان معهم، ولا تخاصم (فيهم)، وَكِلْ أمرهم إلى الله تبارك وتعالى، فإن رسول الله ﷺ قال: «إياكم وذكر أصحابي وأصهاري وأختاني».

وقوله: «إن الله تبارك وتعالى نظر إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم».

(٨٢) واعلم – رحمك الله – أنه لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيبة من نفسه، وإن كان مع رجل مال حرام فقد ضمنه، لا يحل لأحد أن يأخذ منه شيئا إلا بإذنه، فإنه عسى أن يتوب هذا فيريد أن يرده على أربابه فأخذت حراما.

مال المسلم الذي معه لا يحل إلا بطيب نفسه، ولو فرض أن شخصًا آخر معه مال حرام فهو الضامن، ولست أن الذي تقول: أنت تأخذ المال الحرام وأنا آخذه منك.

لا؛ هو المسؤول عنه، هو الضامن.

فلعله أن يتوب إلى الله، ويرده إلى صاحبه، فإذا أخذته أنت أخذت الحرام وضيعت على صاحبه الأصلي الرد إليه.

كذلك: لا تأخذه من الآخذ لا بطيب نفس ولا بغصب؛ لأنه مال حرام، كيف تأخذ الحرام؟

(٨٣) والمكاسب مطلقة

مطلقة، يعني: أطلق الله المكاسب في الأصل وأحل البيع، مطلقة: يعني: الأصل الإباحة، هذا المقصود؛ إلا ما دل الدليل على منعه.

ما بان لك صحته فهو مطلق إلا ما ظهر فساده، وإن كان فاسدا، يأخذ من الفساد مسيكة نفسه.

يعني: لو اضطر الشخص اضطرارًا إلى أكل الحرام وإلا يهلك، يأخذ ما يمسك نفسه، هذا المقصود.

لا تقول: أترك المكاسب وآخذ ما أعطوني، لم يفعل هذا الصحابة ولا العلماء إلى زماننا هذا، وقال عمر رضي الله عنه: كسب فيه بعض الدنية خير من الحاجة إلى الناس.

بعض من يدعون الورع خاصة من المتصوفة يقولون: نحن لا نكسب لسببين:

بعضهم يقول: الزمان زمان فساد، لا تخلو أسواق الناس من الحرام، فأنا أدع الكسب، وينتظر من ينفق عليه.

وهذه مصيبة.

يقول الشيخ: إن كان عم الفساد، فخذ ما يسد رمقك، لو فرض ذلك، ولا يعني ذلك أنك تترك الكسب.

لأن النبي ﷺ يقول: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ»(٢٠٨) من تحت ولايته.

السبب الثاني، صنفٌ منهم يقول: نحن موكلون، لا نكسب، لا نكدح بالكسب.

وكذبوا، هذا ما كان عليه الصحابة والتابعون، الصحابة كانوا يعملون ويكسبون، لكن بالحلال.

يقول: لا أكسب وآخذ ما أعطوني، يعني من بيت المال أو بعض المحسنين.

نقول: هذا لم يفعله الصحابة ولا العلماء حتى زماننا.

وقال عمر رضي الله عنه: كسب فيه بعض الدنية خير من الحاجة إلى الناس.

قد يضطر بعض الناس إلى أن يسأل، لا؛ أذهب واكسب ولو كان عملًا ممتهنًا إلا ما خرج عن حد الحلال.

---

(٢٠٨) أخرجه أبو داود: كتاب الزكاة، باب في صلة الرحم (١٦٩٢) من حديث ابن عمرو، وهو في صحيح مسلم(٩٩٦) بلفظ: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يَحْبِسَ، عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوتَهُ».

(٨٤) والصلوات الخمس جائزة خلف من صليت خلفه، إلا أن يكون جهميا، فإنه معطل، وإن صليت خلفه فأعد صلاتك، وإن كان إمامك يوم الجمعة جهميا، وهو سلطان فصل خلفه، وأعد صلاتك، وإن كان إمامك من السلطان وغيره صاحب سنة، فصل خلفه ولا تعد صلاتك.

الشرح:

هذه مسألة الإمام إذا كان جهميًا.

يقول: كل من صليت خلفه فصلاتك صحيحة، إلا الجهمية، فإنهم معطلة، ينفون الصفات، وبعضهم نفى أسماء الله وصفاته، وبعضهم نفى الصفات فقط، فهذا تعطيل، كأنه إلهٌ ليس له صفات، فهو في الحقيقة نفي.

فيقول: هذا تعيد الصلاة خلفه، فلو بليت بأنه سلطان، الأمير أو الإمام أو الخليفة، هذا تصلي وراءه، لا تمتنع، لكن أعدها في البيت، هذا مقصود المصنف.

أما إذا كان جهميًّا من أصحاب السنة، سواء كان عنده بدع أو فسق أو فجور لا تعيد، فإن الصحابة كانوا يصلون خلف الحجاج على فجوره وطغيانه ولا يعيدون الصلاة.

(٨٥) والإيمان بأن أبا بكر وعمر في حجرة عائشة مع رسول الله ﷺ قد دفنا هنالك معه، فإذا أتيت القبر فالتسليم عليهما واجب بعد رسول الله ﷺ.

الشرح:

لماذا يقول هذا الكلام؟

لأن الرافضة ينكرون أن يكون مع النبي ﷺ هناك أبو بكرٍ وعمر، فرد عليهم المصنف، هذا شيءٌ متواتر النقل معروف مشهور من زمن الصحابة إلى الآن.

فإذا أتيت القبر للسلام فسلم عليهما كما هو فعل الصحابة.

(٨٦) والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب، إلا من خفت سيفه أو عصاه.

الشرح:

كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الواسطية، لما ذكر منهج أهل السنة، قال: (**يَأْمُرُونَ: بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، عَلَى مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ**)[٢٠٩] يعني: على الضوابط التي بينها النبي ﷺ خلافًا للمعتزلة والخوارج، فالمعتزلة والخوارج عندهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولو بالسيف، ليس بضوابط الشريعة.

النبي ﷺ قال: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»[٢١٠]، وفي لفظ: «مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ»[٢١١].

هذا فيصل.

وقال ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»[٢١٢].

فهنا يقول: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب، ولكن إذا خفت السيف أو العصى أو الحبس فما يجب، ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة:٢٨٦]

لا كما يفعل بعض الناس الآن، لابد يتكلم، تجده حتى يكتب رسائل على توتير وهشتاجات وأشياء، لماذا يا أخي؟

---

(٢٠٩) العقيدة الواسطية ص/ ١٢٩.

(٢١٠) أخرجه البخاري: كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أمورًا تنكرونها» (٧٠٥٣) من حديث ابن عباس.

(٢١١) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن (١٨٥١)، من حديث عبد الله بن عمر.

(٢١٢) أخرجه البخاري: كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أمورًا تنكرونها» (٧٠٥٣).

إذا أردت أن تنكر بالذات على الولاة، فافعل كما أمر النبي ﷺ: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِسُلْطَانٍ بِأَمْرٍ، فَلَا يُبْدِ لَهُ عَلَانِيَةً، وَلَكِنْ لِيَأْخُذْ بِيَدِهِ، فَيَخْلُوَ بِهِ، فَإِنْ قَبِلَ مِنْهُ فَذَاكَ، وَإِلَّا كَانَ قَدْ أَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ لَهُ». [٢١٣] رواه الإمام أحمد في المسند، انتهى، هذه الشريعة، تريد أو لا تريد؟

تجد هشتاجات وأشياء، ما أمرك الله بهذا، وإذا خالفت أمر الله فلا تلومن إلا نفسك، لا تجد لك مع الله نصير.

بعض الناس يعرض نفسه للسلطان، كما في سنن الترمذي وغيره، قال عن حذيفة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ»، قَالُوا: وَكَيْفَ يُذِلُّ نَفْسَهُ؟ قَالَ: «يَتَعَرَّضُ مِنَ الْبَلَاءِ لِمَا لَا يُطِيقُهُ» [٢١٤].

وبينها ابن عمر لأنه قال في سياقه في التعرض لعبد الملك بن مروان، أو يزيد بن معاوية، فلا يحل لك ذلك.

---

(٢١٣)أخرجه أحمد (١٥٣٣٣) قال الأرناؤوط: صحيح لغيره دون قوله: من أراد أن يَنْصَحَ لسلطان بأمرٍ.. فحسن لغيره.

(٢١٤) أخرجه الترمذي: كتاب الفتن، باب (٢٢٥٤)، وابن ماجه: كتاب الفتن، بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ} [المائدة: ١٠٥] (٤٠١٦)، وصححه الألباني في الصحيحة (٦١٣).

(٨٧) والتسليم على عباد الله أجمعين.

الشرح:

يعني: جميع الأمة تسلم عليه، لا تقول: هذا ما أعرفه؛ لأن الرافضة لا يسلمون على المسلمين، والخوارج أيضًا يشككون، هذا منا ولا ما هو منا؛ ما يسلمون.

لماذا؟

لأنه يشك هل هو مسلم أم لا؟

أنت جميع المسلمين تسلم؛ إلا إذا رأيت هجرانه، هجر صاحب البدعة بضابطها، هجر صاحب المعصية، إذا فعل شيئًا يهجر عليه، أما أن تقول ما هو بمسلم أو تشك فيه فلا تسلم عليه، ما يجوز لك ذلك.

لأن النبي ﷺ أمر بذلك قال:«أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»(٢١٥).

(٢١٥) أخرجه مسلم (٥٤) كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، من حديث أبي هريرة.

(٨٨) ومن ترك صلاة الجمعة والجماعة في المسجد من غير عذر فهو مبتدع، والعذر كمرض لا طاقة له بالخروج إلى المسجد، أو خوف من سلطان ظالم، وما سوى ذلك فلا عذر له.

الشرح:

يقول: هؤلاء جماعة من أهل البدع.

لا، صل، ما تترك الصلاة، ما يترك الجمعة والجماعة إلا الخوارج والمعتزلة والرافضة، هم الذين يتركون الصلاة في مجامع المسلمين؛ لأن هذه من طرقهم، أما النبي ﷺ فقد نهى عن ترك ذلك.

حتى قالَ ﷺ: لأَبِي ذَرٍّ «كَيْفَ أَنْتَ إِذَا كَانَتْ عَلَيْكَ أُمَرَاءُ يُمِيتُونَ الصَّلَاةَ أَوْقال يُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا؟»، قُلْت: فَمَا تَأْمُرنِي ؟ قَالَ: «صَلِّ الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا فَإِنْ أَدْرَكْتَهَا مَعَهُمْ فَصَلِّ فَإِنَّهَا لَك نَافِلَةٌ»(٢١٦)، وَفِي رِوَايَةٍ: «فَإِنْ أُقِيمَتْ الصَّلَاةُ وَأَنْتَ فِي الْمَسْجِدِ فَصَلِّ »(٢١٧)، وَفِي أُخْرَى «فَإِنْ أَدْرَكَتْكَ مَعَهُمْ فَصَلِّ وَلَا تَقُلْ: إِنِّي قَدْ صَلَّيْتُ فَلَا أُصَلِّي »(٢١٨).

---

(٢١٦) مسلم: كتاب المساجد ومواضع السجود، باب كراهية تأخير الصّلاة عن وقتها المختار، وما يفعله المأموم إذا أخّرها الإمام (٦٤٨).

(٢١٧) مسلم: كتاب المساجد ومواضع السجود، باب كراهية تأخير الصّلاة عن وقتها المختار، وما يفعله المأموم إذا أخّرها الإمام (٦٤٨/ ٢٤١ متابعة).

(٢١٨) مسلم: كتاب المساجد ومواضع السجود، باب كراهية تأخير الصّلاة عن وقتها المختار، وما يفعله المأموم إذا أخّرها الإمام (٦٤٨/ ٢٤٢ متابعة).

(٨٩) ومن صلى خلف إمام فلم يقتد به فلا صلاة له.

الشرح:

لا حول ولا قوة إلا بالله، صلى خلف إمام ولا يقتدي به؛ لأن من أهل البدع من يأتي خوفًا ثم إذا كبر مع الإمام يكبر بنية المنفرد يقول: ما أصلي خلف هذا المبتدع أو الكافر.

فيصلي بنية المنفرد، ويكبر ويركع معهم، هذه بدعة.

يقول الشيخ: فلا صلاة له.

هذه لابد أن تنتبهوا لها: صليت مع الجماعة تقتدي؛ دعك من النفاق، هذه شريعة الله.

(٩٠) والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد واللسان والقلب، بلا سيف.

هذا للحديث: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»(٢١٩).

بلا سيف، يعني: بلا خروج عليهم، كفعل الخوارج، يقولون: لا بالسيف، نأطرهم على الحق أطرًا.

الذي يأطر على الحق أطرًا هو الوالي، الذي يزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، وليس للناس أن يأطر بعضهم بعضًا؛ لابد أن تنتبه.

(٩١) والمستور من المسلمين من لم تظهر له ريبة.

المستور من المسلمين هو مستور الحال وهو من لم تظهر منه ريبة، ما عرفنا عنه أنه صاحب ردة، أو صاحب بدعة، ليس مشهورًا بالفجور أو الفسوق، فهذا من المسلمين، وهو الذي يسميه العلماء: العدالة الظاهرة.

العلماء يقسمون العدالة إلى: باطنة وظاهرة.

العدالة الظاهرة: الذي لم يُعرف عنه إلا أنه مسلم قائم بالواجبات، عدل في الظاهر.

---

(٢١٩) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان (٤٩).

والعدالة الباطنة: هذا الذي عند الشهادات، إذا أردت أن تقبل شهادة شخص عند القاضي ينظر في عدالته، بمعنى: يأتي من يعرفه ظاهرًا وباطنًا، يعني: في تعاملاته الداخلية في بيته، أما باطن القلوب ما يعرفها إلا الله، ما يمكن أحدٌ يزكي أحدًا على ما في القلوب.

(٩٢) وكل علم ادعاه العباد من علم الباطن لم يوجد في الكتاب والسنة فهو بدعة وضلالة، ولا ينبغي لأحد أن يعمل به، ولا يدعو إليه.

هذا لما ظهرت الباطنية، الذين يقولون: هناك علم الباطن وعلم كذا، والصوفية أخذوا بهذا.

يقولون بما لا يوجد في الكتاب والسنة، ويزعمون أن للقرآن والسنة ظاهرًا وباطنًا، وأنها تدل في باطنها كذا.

لا، هذا كله إذا لم يكن على الكتاب والسنة فكله بدعة وضلاله لا يعول عليه ولا يؤخذ ولا يُعمل به.

(٩٣) وأيما امرأة وهبت نفسها لرجل، فإنها لا تحل له، يعاقبان إن نال منها شيئا، إلا بولي وشاهدي (عدل) وصداق.

هذا الذي يسمونه الآن: الزواج العرفي.

تهب نفسها للرجل، ويكتبون ورقة بينهم بلا شهود ولا ولي، هذه نكاحها باطل.

قال عز وجل: ﴿وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا﴾ [الأحزاب:٥٠] للنبي، هذه خاصة. ولذلك قال الله: خالصة لك﴿خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

هذا حكم خاص، لا يؤخذ يعمم، ويأتي شخص ويقول: أريد أن أفعل ذلك.

لا، يعاقبان، ولا تحل له.

(٩٤) وإذا رأيت الرجل يطعن على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه صاحب قول سوء وهوى، لقول رسول ﷺ: «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا»(٢٢٠).

فقد علم النبي ﷺ ما يكون منهم من الزلل بعد موته، فلم يقل فيهم إلا خيرا.

وقوله: «ذروا أصحابي، لا تقولوا فيهم إلا خيرا»(٢٢١).

ولا تحدث بشيء من زللهم، ولا حربهم، ولا ما غاب عنك علمه، ولا تسمعه من أحد يحدث به، فإنه لا يسلم لك قلبك إن سمعت.

الشرح:

نعم، صحيح، ما أكثر ما حصل من الفتن بالخوض في هذه القضايا، فيما دار بين الصحابة.

والنبي ﷺ يدري أنه سيحصل بينهم ذلك، وأخبر بالفتن التي تموج موج البحر، وقال كما في الصحيح: «**يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الرَّجُلِ غَنَمٌ، يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ وَمَوَاقِعَ القَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ**»(٢٢٢).

وقال: «**لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**»(٢٢٣).

ومع ذلك ما قال فيهم إلا خيرًا، وأثنى عليهم، وقال: «**بأصحابي القتل**»(٢٢٤) تنبيه على أنه يكفيهم في تطهيرهم ما يحصل لهم من القتل؛ شهادة، شهداء.

---

(٢٢٠) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢٤٧)، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٤).

(٢٢١) أخرج البزار شطره الأول (٣/ ٢٩٠ الزوائد)، وأخرج خيثمة في فضائل الصحابة شطره الثاني، ذكره ابن حجر في «جزء طرق حديث: لا تسبوا أصحابي» ص/ ٧٠.

(٢٢٢) أخرجه البخاري: كتاب الفتن، باب التعرب في الفتنة (٧٠٨٨).

(٢٢٣) أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب حجة الوداع (٤٤٠٥)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان معنى قول النبي ﷺ: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا» (٦٥).

(٢٢٤) أخرجه أحمد (١٥٨٧٦) من حديث سَعْدُ بْنُ طَارِقٍ، بلفظ: «بِحَسْبِ أَصْحَابِي الْقَتْلُ»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٨١٦).

وأخبر النبي ﷺ عن رجلٍ منهم قتل في هذه الفتن وأخبر أنه شهيدٌ يمشي على وجه الأرض، وهو طلحة.

وقال: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْـهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ [الأحزاب:٢٣] قال: «منهم طلحة بن عبيد الله» (٢٢٥).

وأخبر أن الزبير شهيد.

وقتل الزبير وطلحة في معركة الجمل، شهيد وهو في هذه الأمور؟

نعم، شهيد، ولا نتكلم فيه إلا أنه من العشرة المبشرين في الجنة.

ثم نأتي ونتكلم ونقول: كيف يحصل هذا؟

نقول: هذا أمر الله.

وقد نستفيد منها أنه قد يخفى على العالم الجليل الصالح بعض الأمور، ولكن نقول: بحسبهم؛ كفايتهم ما يحصل من القتل، فهم شهداء.

---

(٢٢٥) أخرجه ابن ماجه: المقدمة، باب فضائل طلحة(١٢٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع»(٦٩٩٨).

(٩٥) وإذا سمعت الرجل يطعن على الآثار، أو يرد الآثار، أو يريد غير الآثار، فاتهمه على الإسلام، ولا (تشك) أنه صاحب هوى مبتدع.

الشرح:

يطعن على الآثار عن النبي ﷺ، ويأتي إلى حديث مثلًا: «**إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي إِنَاءِ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ، ثُمَّ لِيَنْزِعْهُ، فَإِنَّ فِي أَحَدِ جَنَاحَيْهِ دَاءً وَفِي الآخَرِ شِفَاءً**»(٢٢٦).

يقول: كيف هذا؟ هذا حديث؟

نعم، حديث النبي ﷺ، وقاله الذي لا ينطق عن الهوى، ولا عيب في ذلك، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:٤].

هذا قال ذلك، وهو صادق، ولا أخبرنا إلا بما هو فيه صادق، ولا دلنا إلا على ما هو حق.

فيأتي شخص أحمق يدعي العلم، دعك من الجهال، يدعي أنه من دعاة الإسلام، ويتكلم في هذا الحديث، يقول: كيف تروون هذه الأحاديث؟

وبعضهم يقول: فشلتونا عند الغرب!

حدث سلمان بحديث أن النبي ﷺ إذا استنجى العبد يستنجي بثلاثة أحجار. فقال رجل يهودي أو مجوسي: قَدْ عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الخِرَاءَةَ؟ الخراءة: هيئة خروج الحاجة.

قال: قِيلَ لِسَلْمَانَ ؓ: قَالَ: «**أَجَلْ لَقَدْ نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ القِبْلَةَ بِغَائِطٍ، أَوْ بَوْلٍ، أَوْ نَسْتَنْجِيَ بِأَيْمَانِنَا، أَوْ يَسْتَنْجِيَ أَحَدُنَا بِأَقَلَّ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ، وَأَنْ لَا يَسْتَنْجِيَ أَحَدُنَا بِرَجِيعٍ، أَوْ عَظْمٍ**»(٢٢٧).

الصحابي يفتخر، ما قال: والله شيء محرج، يفتخر بكمال الدين هذا، الذي يعلمنا إذا وقع الذباب في إناء أحدنا أن نغمسه ونخرجه، وأن في أحد جناحيه داء وفي الآخر شفاء، نقول: هذه معجزة نبوية، هذه ما تفشل، هذا ما تحرج، هذه تدل على أنه أخبرنا عن شيءٍ ما يعرفه أحدٌ.

---

(٢٢٦) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه (٣٣٢٠).

(٢٢٧) أخرجه مسلم: كتاب الطهارة، باب الاستطابة (٢٦٢).

دعك الآن يقولون: اكتشفوا واكتشفوا.

بعد أيش، بعدما أنكروا حديث النبي ﷺ وردوه، ويطعنون على الآثار؟

لا والله، نقول: على العين والرأس، ونجلها ونعظمها ونفرح بها.

أو يريد غير الآثار، يقول: دعونا من هذا وآتونا بكذا.

بعضهم يقول: دعونا من الحديث وآتوا بالقرآن.

والنبي ﷺ قال: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ»(٢٢٨).

وفي موطأ مالك ومستدرك الحاكم: «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا؛ كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوضَ»(٢٢٩).

فإذا أردت السلامة والطمأنينة والنجاة فعليك بالكتاب والسنة وآثار الصحابة، فإذا وجدت شخصًا مثل هذا فلا تشك أنه صاحب هوى مبتدع.

أصبح الناس الآن، الذي يأتي ويتبجح بمثل هذا الكلام يعظمونه، مثل هذا المجنون عدنان إبراهيم الذي في الغرب، ويخطب ويتكلم في الأحاديث النبوية، والناس يعظمونه؛ يُعظم المبتدع الضال؟

هذا يجب أن يؤدب.

وهكذا أمثاله كثير.

---

(٢٢٨) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ١٣٠)، وأبو داود: كتاب السنة، باب في لزوم السنة (٤٦٠٤)، والترمذي: كتاب العلم، باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ (٢٦٦٤)، وقال: «هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ من هذا الوجه»، وابن ماجه: كتاب المقدمة، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه (١٢). وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي».

(٢٢٩) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ١٧٢/ ٣١٩)، من حديث أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٩٣٧).

(٩٦) واعلم أن جور السلطان لا ينقص فريضة من فرائض الله عز وجل التي افترضها على لسان نبيه ﷺ؛ جوره على نفسه، وتطوعك وبرك معه تام لك إن شاء الله تعالى، يعني: الجماعة والجمعة معهم، والجهاد معهم، وكل شيء من الطاعات فشارك فيه، فلك نيتك.

(٩٧) وإذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا رأيت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله.

لقول فضيل: لو كانت لي دعوة ما جعلتها الا في السلطان.

أنا أحمد بن كامل قال: نا الحسين بن محمد الطبري، نا مردويه الصائغ، قال: سمعت فضيلا يقول: لو أن لي دعوة مستجابة ما جعلتها إلا في السلطان.

قيل له: يا أبا علي فسر لنا هذا.

قال: إذا جعلتها في نفسي لم تعدني، وإذا جعلتها في السلطان صلح، فصلح بصلاحه العباد والبلاد.

فأمرنا أن ندعو لهم بالصلاح، ولم نؤمر أن ندعو عليهم وإن ظلموا، وإن جاروا؛ لأن ظلمهم وجورهم على أنفسهم، وصلاحهم لأنفسهم وللمسلمين.

الشرح:

الله أكبر، سبحان الله.

هذا الرجل مر معنا في مقدمة الدروس، يذكرون أنه مات وهو متواري من السلطان، والسلطان في زمنه صاحب بدع وجور وظلم، ومات وهو متواري وما صلى عليه إلا رجل واحد، ودُفن، وأصحابه متفرقون ومُتتبعون ويحبسون، ومع ذلك يقول: إذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى.

ما أكثر الناس الآن إذا رأوا شيئًا سواءً في الدين أو الدنيا دعوا عليهم، والدعاء عليهم يزيدهم شرًّا، الدعاء لهم بالصلاح يزيدهم برًّا.

والنبي ﷺ قال: «خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ»(٢٣٠) كما في الصحيح.

فينبغي لنا أن ندعوا لهم بالخير والصلاح، لعل الله أن يصلحهم، وأن يعطف قلوبهم على رعاياهم.

وإذا رأيت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله، ونقل عن السلف ذلك، وذكر عن الفضيل بن عياض المعروف، قال: لو كانت لي دعوة ما جعلتها إلا في السلطان.

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في المجلد الثامن والعشرين عن الإمام أحمد أنه قال: لو كان لي دعوة مستجابة ما جعلتها إلا للسلطان، وهكذا (٢٣١).

قال الشيخ: فأُمرنا أن ندعوا لهم بالصلاح، ولم نؤمر أن ندعوا عليهم وإن ظلموا، وإن جاروا، لأن ظلمهم وجورهم على أنفسهم وصلاحهم للمسلمين.

ولذلك ذكر الطحاوي في عقيدة أهل السنة والجماعة الدعاء لهم بالخير والصلاح.

وابن قدامة في «المغني» ذكر من سنن الجمعة، قال: (وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَدْعُوَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَلِنَفْسِهِ، وَالْحَاضِرِينَ، وَإِنْ دَعَا لِسُلْطَانِ الْمُسْلِمِينَ بِالصَّلَاحِ فَحَسَنٌ.

وَقَدْ رَوَى ضَبَّةُ بْنُ مُحَصِّنٍ، أَنَّ أَبَا مُوسَى كَانَ إذَا خَطَبَ، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ يَدْعُو لِعُمَرَ، وَأَبِي بَكْرٍ)(٢٣٢).

هذه سنة سلفية عن الصحابة منقولة؛ الدعاء لولي الأمر، حتى في الجمع.

العجيب أن تجد بعض الناس يستنكر من يدعوا للسلطان على المنبر يوم الجمعة، فتجد من الخطباء من يستنكف أن يدعو، يخشى أن يُتهم، لا؛ هذا سنة، افعلها.

---

(٢٣٠) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، باب خيار الأئمة وشرارهم (١٨٥٥).

(٢٣١) انظر: مجموع الفتاوى (٢٨/ ٣٩١) قال: (وَلِهَذَا كَانَ السَّلَفُ - كَالْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ وَأَحْمَد بْنِ حَنْبَلٍ وَغَيْرِهِمَا - يَقُولُونَ: لَوْ كَانَ لَنَا دَعْوَةٌ مُجَابَةٌ لَدَعَوْنَا بِهَا لِلسُّلْطَانِ).

(٢٣٢) «المغني»(٢/ ٢٣٠).

(٩٨) ولا تذكر أحدا من أمهات المؤمنين إلا بخير.

زوجات النبي ﷺ، فمن تكلم في عائشة أو غيرها فقد زاغ وانحرف.

(٩٩) وإذا رأيت الرجل يتعاهد الفرائض في جماعة مع السلطان وغيره، فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله.

وإذا رأيت الرجل يتهاون بالفرائض في جماعة، وإن كان مع السلطان، فاعلم أنه صاحب هوى.

لا حول ولا قوة إلا بالله.

صحيح، الذي يتعاهد الجمعة والجماعة مع السلطان وغيرهم مع أئمة المسلمين، فاعلم أنه صاحب سنة؛ لأن هذه السنة، سنة المسلمين الجماعة، ومن تركها سواءً خلف السلطان أو تركها في جماعة المسلمين فاعلم أنه صاحب هوى.

(١٠٠) والحلال ما شهدت عليه وحلفت عليه أنه حلال، وكذلك الحرام، وما حاك في صدرك فهو شبهة.

«**إِنَّ الحَلَالُ بَيِّنٌ وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ**»[٢٣٣] حديث النبي ﷺ.

ما هو الحلال البين، وما هو الحرام البين، وما هو المشتبه؟

فسرها لك في هذه الجملة.

الحلال ما شهدت عليه، وحلفت عليه؛ تشهد أنه حلال، رجلٌ باع سيارته من شخصٍ وباع الثمن، تشهد أنه بيعٌ صحيح، ويجوز لك أن تحلف، فهذا هو الحلال البين.

والحرام البين رجلٌ تعامل بالربا، وتعرف أنه ربا، فتشهد أنه حرام، إذا طلب منك الشهادة تشهد أنه حرام.

---

(٢٣٣) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه (٥٢)، ومسلم: كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات (١٥٩٩).

لكن الذي تشك فيه، ليس عندك فيه أنه حلال أو حرام فهذا هو الشبهة؛ الذي حاك في صدرك، هذا الذي يقصد به الشيخ تفسير حديث «فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»(٢٣٤).

(١٠١) والمستور من بان ستره، والمهتوك من بان هتكه.

شبه تكرار هذا، مر معنا.

المستور، في عدالته، من باب ستره، ولم يُعرف بفسوق وفجور وبدعة، فهذا هو.

والمهتوك، من اشتهرت بدعته أو فسوقه، عُرف أنه صاحب فجور وربا، هذا مهتوك، هتك الله عرضه، نسأل الله العافية والسلامة.

فلو قيل لك: تشهد له بالعدالة؟

تقول: هذا مستور الحال، أشهد له أنه عدلٌ في الظاهر، والثاني مهتوك الحال الذي عُرف بالفجور واشتُهر ولم يعرف له توبة عن ذلك، تشهد له بالفجور، وتشهد أنه صاحب بدعة.

هذا هو المقصود.

(١٠٢) وإن سمعت الرجل يقول: فلان مشبه، فاعلم أنه جهمي.

وإذا سمعت الرجل يقول: فلان ناصبي، فاعلم أنه رافضي.

وإذا سمعت الرجل يقول: تكلم بالتوحيد، واشرح لي التوحيد، فاعلم أنه خارجي معتزلي.

أو يقول: فلان مجبر، أو يتكلم بالإجبار، أو يتكلم بالعدل، فاعلم أنه قدري؛ لأن هذه الأسماء محدثة أحدثها أهل الأهواء.

هنا يريد أن يميز لك أصحاب البدع:

---

(٢٣٤) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه (٥٢)، ومسلم: كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات (١٥٩٩).

يقول: **وإن سمعت الرجل يقول: فلان مشبه،**

هؤلاء لا يطلقونها إلا على أهل التوحيد، لأن التوحيد يثبتون الأسماء والصفات، فيقولون للمثبت مشبه أو مجسم، قال: **فاعلم أنه جهمي**؛ لأن الجهمية هم الذين ينفون الأسماء والصفات ويتهمون أهل التوحيد بالتشبيه.

وإذا سمعت الرجل يقول: فلان ناصبي، فعلم أنه رافضي؛ لأن عندهم الناصبي الذي يوالي أبا بكر وعمر وعثمان؛ لأنهم يفرضون أن من يوالي أبا بكرٍ وعمر وعثمان أنه يعادي علي بن أبي طالب فيسمونه ناصبي، فاعلم أن هذه طريقة الرافضة.

وإذا سمعت الرجل يقول: تكلم بالتوحيد، واشرح لي التوحيد، فاعلم أنه خارجي معتزلي.

يقصدون التوحيد على طريقة المعتزلة؛ لأن التوحيد عندهم نفي الصفات؛ لأنهم يقولون: إذا أثبت لله صفة الرحمة والعزة والكلام فأنت أثبت آلهةً عديدةً، فإذا أردت أن توحد تنفي الصفات.

فعندهم التوحيد هو نفي الصفات، ليس التوحيد أن توحد الله كما قال النبي ﷺ، «**فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ**» وفي رواية: «**أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**».

فاعلم أنه خارجي معتزلي لأن الخوارج على مذهب المعتزلة في هذه القضية، نفي الصفات.

أو يقول: فلان مجبر، أو يتكلم بالإجبار،

الإجبار عندهم هو إثبات القدر، فالذي يثبت القدر عند المعتزلة هو الجبري، إثبات القدر عندهم هو الجبر.

أو يتكلم بالعدل، فاعلم أنه قدري، العدل عند القدرية والمعتزلة هو نفي القدر؛ **لأن هذه الأسماء محدثة أحدثها أهل الأهواء.**

قال عبد الله بن المبارك: لا تأخذوا عن أهل الكوفة في الرفض (شيئا)، ولا عن أهل الشام في السيف (شيئا) ولا عن أهل البصرة في القدر (شيئا)، ولا عن أهل خراسان في الإرجاء (شيئا)، ولا عن أهل مكة في الصرف، ولا عن أهل المدينة في الغناء، لا تأخذوا عنهم في هذه الأشياء شيئا.

يعني: لأنه انتشر في أهل الكوفة الرفض، يكثر الشيعة والرافضة خاصة في أهل الكوفة.

كذلك الإرجاء يوجد.

وأهل البصرة اشتهر عنهم القدر في الغالب.

أهل الشام اشتهر عنهم السيف، يعني: استحلال السيف في قتل الخوارج، حصل منهم ذلك؛ قتلوا بعض كذا.

والأرجاء في الأكثر في أهل خراسان.

وفي مسائل البيوع؛ الصرف، أهل مكة يرون أن الربا عندهم هو ما كان في النسيئة؛ يقصد في زمان ابن المبارك.

وأهل المدينة الغناء عندهم كانوا يستبيحون فيه، وهو ما يسمى في زماننا هذا التغني بالأناشيد، وقد ظهر عندهم أيضًا الضرب على العود، لكنه كما تعلمون ليس مستباحًا عند الفقهاء.

(١٠٣) وإذا رأيت الرجل يحب أبا هريرة وأنس بن مالك وأسيد بن حضير فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله.

هؤلاء أهل البدع؛ لأنه رأوا كثرة أحاديث أبي هريرة وأنس، تدمغهم هذه الأحاديث، يريدون الرأي والكلام، والأحاديث كثيرة عن أبي هريرة وأنس بن مالك وجابر وأسيد بن حضير، وخاصة هؤلاء تأخر زمانهم، فظهرت البدع فأدمغوها بالسنن فأبغضوهم.

وإذا رأيت الرجل يحب أيوب ابن أبي تميمة السختياني، **وابن عون** عبد الله بن عون، **ويونس بن عبيد، وعبد الله بن إدريس الأودي، والشعبي، ومالك بن مغول، ويزيد بن زريغ، ومعاذ بن معاذ، ووهب بن جرير، وحماد بن سلمة، وحماد بن زيد، (ومالك بن أنس، والأوزاعي، وزائدة بن قدامة، فاعلم أنه صاحب سنة،**

لأن هؤلاء كانوا في زمانهم أئمة أهل السنة، في زمن التابعين، ذكر طبقة الصحابة ثم ذكر طبقة التابعين فيما بعدهم؛ لأنهم صاروا أئمة يردون على أهل البدع، فكون الشخص يبغضهم إذن يبغض السنة.

وإذا رأيت الرجل يحب الحجاج بن المنهال، وأحمد بن حنبل، وأحمد بن نصر، فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله إذا ذكرهم بخير، وقال بقولهم.

هؤلاء في زمنهم كانوا أئمة السنة، ردوا على المعتزلة والجهمية.

(١٠٤) وإذا رأيت الرجل جالس مع رجل من أهل الأهواء، فحذره وعرفه، فإن جلس معه بعدما علم فاتقه، فإنه صاحب هوى.

هذه مسألة المصاحبة لأهل البدع: رجل تجده مع أهل البدع، يخالطهم، فقل له: هذا صاحب بدعة وضلالة، حذره وعرفه، فإن رأيته بعد ذلك يجالسه فاعلم أنه يواليه، فاحذره فإنه صاحب هوى.

لو كانت السنة لها في نفسه شيء لهجره وابتعد عنه.

(١٠٥) وإذا سمعت الرجل تأتيه بالأثر فلا يريده، ويريد القرآن، فلا (تشك) أنه رجل قد احتوى على الزندقة، فقم من عنده (ودعه).

صحيح، شخص تأتيه بالسنة، فيقول: لا، ما نقبل إلا القرآن، هذا زنديق، اهجره؛ لأنه رد السنة، وذكرنا الحديث في ذلك.

(١٠٦) واعلم أن الأهواء كلها ردية تدعو كلها إلى السيف، وأرداها وأكفرها: الروافض، والمعتزلة، والجهمية، فإنهم (يريدون الناس) على التعطيل والزندقة.

الأهواء كما قال أبو قلابة: إن أهل الأهواء أهل الضلالة، افترقوا في الأسماء واجتمعوا على السيف.

كلهم يبغضون السنة، ويريدون إزالتها، فلو تمكنوا قتلوا أهل السنة، كلهم يستبيحون أهل السنة، ويستبيحون الخروج على سلاطين السنة، وكلهم يدعوا إلى السيف.

ما تقول لي: هذا مبتدع ما هو بصاحب سيف.

لا، سيؤول أمره، حتى ولو كان من البدع الأخيرة، مثل التبليغ، في النهاية يكون مع أهل التفجير وإخوانهم؛ لأنهم يبغضون السنة وأهلها ويريدون نشر البدع.

(١٠٧) واعلم أنه من تناول أحدا من أصحاب محمد ﷺ، فاعلم أنه إنما أراد محمدا ﷺ، وقد آذاه في قبره.

هذه كررها المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ، لكنه إذا كان يتكلم في الصحابة فما يريد منهم، فيه خصومة بينه وبين الصحابة؛ إنما أبغضوا ما جاءوا به عن النبي ﷺ، فهم في الحقيقة مبغضون للنبي ﷺ، الذي يبغض الصحابة أو يتناولهم إنما أبغض النبي ﷺ.

(١٠٨) وإذا ظهر لك من إنسان شيء من البدع، فاحذره؛ فإن الذي أخفى (عنك) أكثر مما أظهر.

الخفي أكثر، نعم.

(١٠٩) وإذا رأيت الرجل رديء الطريق والمذهب، فاسقًا فاجرا، صاحب معاص، ضالًا، وهو أهل السنة فاصحبه، واجلس معه فإنه ليس تضرك معصيته،

يعني: في فجوره.

وإذا رأيت الرجل مجتهدا -وإن بدا متقشفا محترقا بالعبادة- صاحب هوى، فلا تجالسه، ولا تقعد معه، ولا تسمع كلامه ولا (تمش) معه في طريق،

لا يغرك أهل البدع، هذا رجل صالح، هذا زاهد، بل هو صاحب بدعة ممقوت.

أما الفاسق من أهل السنة والجماعة فهو عاص، سبيله سبيل التوبة، سبيل العفو، سبيل المغفرة، ليس كمقت الله لصاحب البدعة.

فإني لا آمن أن تستحلي طريقته (فتهلك) معه.

صحيح، يغروك، ما أكثر ما يغتر الشخص بظاهر الزهد والعبادة، والكلام المنمق.

ورأى يونس بن عبيد ابنه وقد خرج من عند صاحب هوى، فقال: يا بني! من أين جئت؟ قال: من عند فلان. قال: يا بني لأن أراك تخرج من بيت خنثى أحب إلي من أن أراك تخرج من بيت فلان، ولأن تلقى الله يا بني زانيا سارقا فاسقا خائنا أحب إلي من أن تلقاه بقول فلان وفلان.

نعم، خرج من عند عمرو بن عبيد الضال رأس المعتزلة، فقال لهم في رواية: لأن تخرج من عند هيتي، وهي المشهورة: لأن تخرج من عند هيتي، وهيتي كان يُعرف بالفسق.

المهم أنه يقول أن مذهب السلف أن مخالطة أصحاب المعاصي أهون من مخالطة أصحاب البدع.

ولذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (إِنَّ أَهْلَ الْبِدَعِ شَرٌّ مِنْ أَهْلِ الْمَعَاصِي الشَّهْوَانِيَّةِ بِالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ).

بالسنة والإجماع عُرف أن أصحاب المعاصي أهون من أصحاب البدع؛ لأن أصحاب المعاصي معاصيهم شهوانية وأهل البدع فكرية؛ فسادها على الرأي.

قال: (فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بِقِتَالِ الْخَوَارِجِ وَنَهَى عَنْ قِتَالِ أَئِمَّةِ الظُّلْمِ وَقَالَ فِي الَّذِي يَشْرَبُ الْخَمْرَ: «لَا تَلْعَنْهُ فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ» وَقَالَ فِي ذِي الخويصرة: «يَخْرُجُ مِنْ ضئضئ هَذَا أَقْوَامٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ -وَفِي رِوَايَةٍ: مِنْ الْإِسْلَامِ- كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمْيَةِ يُحَقِّرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ وَقِرَاءَتَهُ مَعَ قِرَاءَتِهِمْ أَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا عِنْدَ اللهِ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وَقَدْ قُرِّرَتْ هَذِهِ الْقَاعِدَةُ بِالدَّلَائِلِ الْكَثِيرَةِ مِمَّا تَقَدَّمَ مِنْ الْقَوَاعِدِ ثُمَّ إنَّ أَهْلَ الْمَعَاصِي ذُنُوبُهُمْ فِعْلُ بَعْضِ مَا نُهُوا عَنْهُ: مِنْ سَرِقَةٍ أَوْ زِنًا أَوْ شُرْبِ خَمْرٍ أَوْ أَكْلِ مَالٍ بِالْبَاطِلِ. وَأَهْلُ الْبِدَعِ ذُنُوبُهُمْ تَرْكُ مَا أُمِرُوا بِهِ مِنْ اتِّبَاعِ السُّنَّةِ وَجَمَاعَةِ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ الْخَوَارِجَ أَصْلُ بِدْعَتِهِمْ أَنَّهُمْ لَا يَرَوْنَ طَاعَةَ الرَّسُولِ وَاتِّبَاعَهُ فِيمَا خَالَفَ ظَاهِرَ الْقُرْآنِ عِنْدَهُمْ وَهَذَا تَرْكُ وَاجِبٍ) إلخ كلام شيخ الإسلام[٢٣٥].

المهم أنهم يرون أن الجلوس مع أصحاب المعاصي أهون مخالطة أهل البدع.

لذلك قال الإمام أحمد: **قُبُورُ أَهْلِ السُّنَّةِ مِنْ أَهْلِ الْكَبَائِرِ رَوْضَةٌ، وَقُبُورُ أَهْلِ الْبِدَعِ الزَّنَادِقَةِ حُفْرَةٌ، فُسَّاقُ أَهْلِ السُّنَّةِ أَوْلِيَاءُ اللهِ، وَزُهَّادُ أَهْلِ الْبِدْعَةِ أَعْدَاءُ اللهِ.**[٢٣٦]

أرأيت أشد من هذا الكلام؟

هذا الإمام أحمد يقول: **قبور أهل السنة من أهل الكبائر روضةٌ وقبور أهل البدعة من الزهاد حفرةٌ** من حفر النار نسأل الله السلامة والعافية، **فساق أهل السنة أولياء الله**؛ لأنهم مسلمون، **وزهاد أهل البدعة أعداء الله**.

ألا ترى أن يونس بن عبيد علم أن الخنثى لا يضل ابنه عن دينه، وأن صاحب البدعة يضله حتى يكفره.

---

(٢٣٥) مجموع الفتاوى (٢٠/ ١٠٣).

(٢٣٦) طبقات الحنابلة(١/ ١٨٤).

(١١٠) واحذر ثم احذر أهل زمانك خاصة، وانظر من تجالس، وممن تسمع، ومن تصحب، فإن الخلق كأنهم في ردة، إلا من عصمه الله منهم.

يعني في زمانه رَحِمَهُ اللهُ، لأن في زمانه انتشر مذهب الرافضة والجهمية في بغداد، فكان الأمر شديدًا جدًّا، لكن في هذا الزمان ولله الحمد الأمر أسهل، السنة ظاهرة وأهلها ظاهرون، ومنتشرة ومساجد أهل السنة قائمة، فهذا الذي أراد المصنف.

(١١١) وانظر إذا سمعت الرجل يذكر ابن أبي دؤاد، هؤلاء شيوخ المعتزلة، **وبشرا المريسي،... وثمامة** بن أشرس، **أو أبا الهذيل أو هشاما الفوطي أو واحدا من أتباعهم و أشياعهم فاحذره، فإنه صاحب بدعة، فإن هؤلاء كانوا على الردة، واترك هذا الرجل الذي ذكرهم بخير، ومن ذكر منهم بمنزلتهم.**

المهم يقول: هؤلاء، من كان يمدحهم، من يمدح ابن أبي دؤاد، وهو كان يسوم علماء السنة سوء العذاب، ويعرضهم على السيف حتى يقول بقوله، وهكذا أتباعه.

يقول: اعلم أن الذي يمدحهم فإنه مثلهم، اتركه.

(١١٢) والمحنة في الإسلام بدعة، وأما اليوم فيمتحن بالسنة، لقوله: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم، ولا تقبلوا الحديث إلا ممن تقبلون شهادته؛ فتنظر، إن كان صاحب سنة له معرفة صدوق كتبت عنه وإلا تركته.

يقول: المحنة؛ الامتحان؛ امتحان الناس كما قال كثيرٌ من السلف: الامتحان في الإسلام بدعة؟ ما تأتي لشخص وتقول: ماذا تقول في كذا؟ ماذا تقول في كذا؟ تختبره؛ لا يجوز هذا؛ لأن الناس على السنة، لكن في زمن المصنف صار أهل السنة قليلين، أفراد، والباقي مبتدعة، إما رافضة وإما جهمية وإما صوفية غالية، فأصبح كيف يأخذ العلم؛ لابد أن يعرف من يأخذ عنه العلم؟

يقول: أما الآن لا، يمتحن بالسنة، نعرف السنة، ولذلك كانوا يقولون: كان الإمام أحمد محنة؛ من يحب أحمد فهو على السنة، ومن يبغض أحمد فهو على البدعة.

قال ابن مهدي: إذا رأيت الرجل يحب مالك بن أنس فاعلم أنه صاحب سنة، وإذا رأيته يتناول مالك فاعلم أنه على خلاف السنة.

لأن مالكًا كان في زمانه رأس السنة، وأحمد كان في زمانه رأس السنة.

(١١٣) وإذا أردت الاستقامة على الحق وطريق أهل السنة قبلك فاحذر الكلام، وأصحاب الكلام، والجدال والمراء، والقياس، والمناظرة في الدين، فإن استماعك منهم - وإن لم تقبل منهم - يقدح الشك في القلب، وكفى به قبولا فتهلك، وما كانت زندقة قط، ولا بدعة، ولا هوى، ولا ضلالة، إلا من الكلام، والجدال، والمراء، والقياس، وهي أبواب البدعة، والشكوك والزندقة.

يقصد بها في أصول الدين؛ لأن أصول الدين محسومة.

(١١٤) فالله الله في نفسك، وعليك بالأثر، وأصحاب الأثر، والتقليد؛ فإن الدين إنما هو بالتقليد (يعني للنبي ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم،

لأنها منقولة بالتواتر والإجماع.

ومن قبلنا لم يدعونا في لبس، فقلدهم واسترح، ولا تجاوز الأثر، وأهل الأثر، وقف عند المتشابه، ولا تقس شيئا، ولا تطلب من عندك حيلة ترد (بها) على أهل البدع، فإنك أمرت بالسكوت عنهم، ولا تمكنهم من نفسك.

أما علمت أن محمد بن سيرين في فضله لم يجب رجلا من أهل البدع في مسألة واحدة، ولا سمع منه آية من كتاب الله، فقيل له، فقال: أخاف أن يحرفها فيقع في قلبي شيء.

شوف كيف يرد على أهل البدع؛ لا تفكر في طريقة، ما يحتاج، ما هي القضية؟

قضية جديدة محدثة، تقول: قال النبي ﷺ «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»(٢٣٧) انتهى؛ مخاصمة مطاولة مجالدة؛ لا.

السنة هذه المسألة دليلها كذا في القرآن، ودليلها كذا في السنة، أما المخاصمة لا.

---

(٢٣٧) أخرجه البخاري: كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (٢٦٩٧)، ومسلم: كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (١٧١٨)، من حديث عائشة.

ولذلك الإمام أحمد نهى، قال رجل: إني أكون في المجلس فيكون فيه الرجل من أهل البدع يتكلم في البدعة. قال: بين له السنة. قال: أخاصمه؟ قال: بين له السنة واسكت. قال: أجادله؟ قال: إنك صاحب خصومة.

يعني: أنت تريد الخصومة.

لا، بين السنة واسكت، ودع المجلس.

(١١٥) وإذا سمعت الرجل يقول: إنا نحن نعظم الله - إذا سمع آثار رسول الله ﷺ - فاعلم أنه جهمي، يريد أن يرد أثر رسول الله ﷺ، ويدفع بهذه الكلمة آثار رسول الله ﷺ، وهو يزعم أنه يعظم الله وينزهه إذا سمع حديث الرؤية، وحديث النزول وغيره، أفليس قد رد أثر رسول الله ﷺ؟ وإذا قال: إنا نحن نعظم الله أن يزول من موضع إلى موضع، فقد زعم أنه أعلم بالله من غيره،

يعني تقول له: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه:٥].

وحديث النزول، «**ينزل كل ليلة**»، وأنه نزول حقيقي، فيقول: نحن نعظم الله، ننزه الله عن هذا الحديث؛ فاعلم أنه يرد الحديث.

من الذي تكلم بهذا الحديث؟ رسول الله ﷺ، والآيات منقولة عنه كثيرة.

ولذلك لما تكلم كان الإمام إسحاق بن راهويه في مجلس ابن طاهر، وكان هناك رؤوس الجهمية وزراؤه، قال: يا أبا إبراهيم، تحدثون أحاديث عن النبي ﷺ أن الله ينزل كل ليلة، فقال له إسحاق: أثبت أنه في السماء وأنا أفسر لك هذا.

الجهمي ما يثبت أنه في السماء، ما ثبت العلو.

فقال ابن طاهر الأمير، من أمراء العامة على السنة على الفطرة، فقال: نثبت أنه في السماء. قال: ثم ذكر الحديث، «**ينزل ربنا كل ليلة...**» قال: وهو ثابت عنه ﷺ. فأخبره أنه ثابت، ثم قرأ له ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر:٢٢] سيجيء، ما الذي تستغرب أنت؟ قال: هذا يوم القيامة؟ قال: ومن يمنعه الآن؟

إذا كان يجيء يوم القيامة ما الذي يمنعه الآن؟ والرسول قد أخبر عن ذلك؟ فعند ذلك سكت.

فاحذر هؤلاء؛ فإن جمهور الناس من السوقة وغيرهم على هذا الحال، وحذر الناس منهم.

(١١٦) وإذا سألك أحد عن مسألة في هذا الكتاب، وهو مسترشد فكلمه، وأرشده، وإذا جاءك يناظرك، فاحذره، فإن في المناظرة: المراء، والجدال، والمغالبة، والخصومة، والغضب، وقد نهيت عن هذا جدا، يخرجان جميعا من طريق الحق، ولم يبلغنا عن أحد من فقهائنا، وعلمائنا أنه ناظر أو جادل أو خاصم.

ولذلك كان عمر يقول: من جعل دينه عرضة للخصومات أو غرضًا للخصومات أكثر التنقل.

غرض يعني: هدف.

وقد تكلمنا على هذا فيما مضى.

(١١٧) قال الحسن: الحكيم لا يماري ولا يداري، حكمته ينشرها، إن قبلت حمد الله، وإن ردت حمد الله.

يعني: العالم الحكيم المحكم للعلم.

وجاء رجل إلى الحسن فقال له: أناظرك في الدين؟ فقال الحسن: أنا عرفت ديني، فإن ضل دينك فاذهب فاطلبه.

ما أحتاج أن تخاصمني.

وسمع رسول الله ﷺ قوما على باب حجرته، يقول أحدهم: ألم يقل الله كذا؟ ويقول الآخر: ألم يقل الله كذا؟ فخرج مغضبا، فقال: «أبهذا أمرتم؟ أم بهذا بعثت إليكم؟ أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض؟» فنهى عن الجدال.

وكان ابن عمر يكره المناظرة، ومالك بن أنس، ومن فوقه، ومن دونه إلى يومنا هذا، وقول الله أكبر من قول الخلق، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [غافر: ٤].

وسأل رجل عمر فقال: ما الناشطات نشطا؟ فقال: لو كنت محلوقا لضربت عنقك.

وقال النبي ﷺ: «المؤمن لا يماري، ولا أشفع للمماري يوم القيامة، فدعوا المراء لقلة خيره»[٢٣٨].

---

(٢٣٨) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٦٥٩) وقال الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (١١٤): موضوع.

(١١٨) ولا يحل لرجل أن يقول: فلان صاحب سنة حتى يعلم منه أنه قد اجتمعت فيه خصال السنة، لا يقال له: صاحب سنة حتى تجتمع فيه السنة كلها.

وقال عبد الله بن المبارك: أصل اثنين وسبعين هوى: أربعة أهواء، فمن هذه الأربعة الأهواء انشعبت الاثنان وسبعون هوى: القدرية، والمرجئة، والشيعة، والخوارج.

فمن قدم أبا بكر وعمر وعثمان وعليا على أصحاب رسول الله ﷺ، ولم يتكلم في الباقين إلا بخير، ودعا لهم، فقد خرج من التشيع أوله وآخره.

ومن قال: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، فقد خرج من الإرجاء كله أوله وآخره.

ومن قال: الصلاة خلف كل بر وفاجر، والجهاد مع كل خليفة، ولم ير الخروج على السلطان بالسيف، ودعا لهم بالصلاح، فقد خرج من قول الخوارج أوله وآخره.

ومن قال: المقادير كلها من الله خيرها وشرها، يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، فقد خرج من قول القدرية، أوله وآخره، وهو صاحب سنة.

(١١٩) وبدعة ظهرت، هي كفر بالله العظيم، ومن قال بها فهو كافر، لا شك فيه: من يؤمن بالرجعة، ويقول: علي بن أبي طالب حي، وسيرجع قبل يوم القيامة، ومحمد بن علي وجعفر بن محمد، وموسى بن جعفر، وتكلموا في الإمامة، وأنهم يعلمون الغيب، فاحذرهم؛ فإنهم كفار بالله العظيم، ومن قال بهذا.

يقولون: محمد الباقر بن علي زين العابدين، يقولون: هذا يعلم الغيب، من الأئمة، لأن عندهم الأئمة اثنا عشر: عليٌّ، ثم الحسن والحسين، ثم زين العابدين، ثم محمد الباقر بن زين العابدين علي، ثم جعفر بن محمد الصادق، وموسى الكاظم، وهكذا إلى الثاني عشر الذي في السرداب.

يقول: هؤلاء مذهب الرافضة، وتكلموا في الإمامة، يعني: يقولون: الإمامة الأصل، هو الركن في الإسلام الأصل، وإمامة علي بن أبي طالب، وأن الصحابة تركوها فكفروا، وحكموا بردة المسلمين بسبب هذه، وهذا من أصول ضلالتهم.

والإمامة هنا إمامة هؤلاء الاثنا عشر، يقصدون بها، ولا تصح الإمامة إلا فيها عند الرافضة، ويزعمون أنها أصل الدين، يعني: أكبر من لا إله إلا الله، أكبر من التوحيد.

وأنهم يعلمون الغيب، فاحذرهم؛ فإنهم كفار بالله العظيم، ومن قال بهذا، يعني: حتى لو جاء شخص بعدهم فقال بهذا فهذا هو الكفر.

قال طعمة بن (عمرو)، وسفيان بن عيينة: من وقف عند عثمان وعلي فهو شيعي لا يعدل، ولا يكلم، ولا يجالس.

لأن وجد منهم من يشك في ذلك، يقول: الذي يفضل علي على عثمان أو يقف فهذا شيعي، هذا ما وصل حد الرفض.

حد الرفض أن يرفض الخلافة، خلافة أبي بكر وعمر وعثمان.

أما شيعي هنا، تشيع المحبة أو التولي، يقول: أقر بأبي بكر وعمل وأنهم حق، ولكني أفضل عليًّا على عثمان، يقول: هذا شيعي، يقول: **لا يعدل، ولا يكلم، ولا يجالس**، هذه مسألة التشيع والمحبة بين عثمان وعلي.

ومن قدم عليا على عثمان فهو رافضي قد رفض أمر أصحاب رسول الله ﷺ.

هذا أكبر من الأولى من المحبة، هذا في التفضيل، نسأل الله العافية والسلامة.

ومن قدم الأربعة على جماعتهم، وترحم على الباقين، وكف عن زللهم فهو على طريق الاستقامة والهدى في هذا الباب.

(١٢٠) والسنة أن تشهد العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة أنهم في الجنة لا شك.

هذه مسألة العشرة المبشرين بالجنة فهذا لا شك فيهم للحديث، حديث سعيد بن زيد، أن النبي ﷺ قال: «**عَشَرَةٌ فِي الجَنَّةِ: النَّبِيُّ ﷺ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ مَالِكٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ**» ولو شئت لسميت العاشر، قال: فقالوا: من هو؟ فسكت، قال: فقالوا: من هو؟ فقال: هو «**سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ**»[(٢٣٩)]، ذكر نفسه.

---

(٢٣٩) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، باب في الخلفاء (٤٦٤٩)، والترمذي: كتاب المناقب، باب مناقب عبد الرحمن بن عوف الزهري رضي الله عنه (٣٧٤٨).

هؤلاء يُشهد لهم، لا شك في ذلك قطعًا، لأن أحاديثهم متواترة.

(١٢١) ولا تفرد بالصلاة على أحد، إلا لرسول الله ﷺ وعلى آله فقط.

لأن الرافضة يفردون عليًّا وآل بيته بالصلاة، يقولون: عليٌّ عليه السلام، وكذا؛ لا؛ لا تفرده، لأن هذه صار شعارًا للرافضة.

(١٢٢) وتعلم أن عثمان بن عفان قتل مظلوما، ومن قتله كان ظالما.

لا شك في هذا، من شك في هذا فقد ضل، عثمان صحابي مظلوم، قتله الخوارج، الظلمة هم الذين قتلوه.

(١٢٣) فمن أقر بما في هذا الكتاب وآمن به واتخذه إماما، ولم يشك في حرف منه، ولم يجحد حرفا واحدا، فهو صاحب سنة وجماعة، كامل، قد كملت فيه السنة، ومن جحد حرفا مما في هذا الكتاب، أو شك في حرف منه أو شك فيه أو وقف فهو صاحب هوى. الحرف لا يعني هنا الكلمة، انتبهوا لهذا، المقصود الجملة، لأن هناك مسائل ذكرها ليس عليها دليل، لكنه يقصد جملة المسائل، كل جملة عليها معتقد.

ومن جحد أو شك في حرف من القرآن، أو في شيء جاء عن رسول الله ﷺ، لقي الله تعالى مكذبا، فاتق الله واحذر وتعاهد إيمانك.

حرف من القرآن مما ثبت متواترًا، ولو حرف واحد.

مثل قوله: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ [آل عمران:١٣٣] في قراءة: ﴿سارعوا﴾، فلو جاء وشك وقال: الواو هذه زائدة، نقول له: هذه قراءة سبعية ثابتة بالتواتر، انتبه لنفسك، فإن أصر كفر؛ لأنه شك في حرفٍ من القرآن.

(١٢٤) ومن السنة أن لا تطيع أحدا على معصية الله، ولا أولي الخير ولا الخلق أجمعين، لا طاعة لبشر في معصية الله، ولا تحب عليه (أحدا)، واكره ذلك كله لله تبارك وتعالى.

نعم، المعونة على الطاعة، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [المائدة:٢].

ليست سهلة؛ لأنه من جماعتك أو حزبك أو مذهبك أو طائفتك، فلا تعنه على الباطل.

(١٢٥) والإيمان بأن التوبة فريضة على العباد أن يتوبوا إلى الله عز وجل من كبير المعاصي وصغيرها.

يرخص فيها بعض الصوفية يقول: صحبتك لفلان تكفي، المريد صحبته للولي تكفيه.

ولذلك لا يتوب من الفجور.

لابد من التوبة مهما كان، حتى الولي الصالح يتوب إلى ربه.

وكان النبي ﷺ يتوب، قال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللهِ فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةً**»(٢٤٠).

(١٢٦) ومن لم يشهد لمن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة، فهو صاحب بدعة وضلالة، شاك فيما قال رسول الله ﷺ.

النبي ﷺ شهد للعشرة المبشرين بالجنة، وشهد لثابت بن قيس، وشهد لبلال، فنشهد لهم لأن النبي ﷺ شهد لهم.

ومن لم يشهد لهم فهو صاحب بدعة، الروافض والمعتزلة والخوارج، والرافضة لا يشهدون لأبي بكر ولا لبقية الصحابة، والخوارج لا يشهدون لعثمان ولا لعلي ولا كذا ويرون أنهم ضلوا.

نسأل الله العافية.

وقال مالك بن أنس: من لزم السنة، وسلم منه أصحاب رسول الله ﷺ ثم مات، كان مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وإن كان له تقصير في العمل.

لأنه مسلم، صلاحه بإسلامه؛ لأنه إما أن يكون في الجنة مع هؤلاء، وإما أن يكون في النار.

متى يكون المسلم في النار؟

قد يعصي ويذنب ويدخل النار يعذب ثم يخرج منها، المسلم لا يخلد في النار، هذا مقصوده.

وقال بشر بن الحارث: الإسلام هو السنة، والسنة هي الإسلام.

هذا بشر الحافي، مشي حافيًا فسمي بالحافي.

---

(٢٤٠) أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه (٢٧٠٢).

وقال فضيل بن عياض: إذا رأيت رجلا من أهل السنة، فكأنما أرى رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ، وإذا رأيت رجلا من أهل البدع، فكأنما أرى رجلا من المنافقين.

لأنهم تظاهروا بالإسلام وهم على البدعة والشك في أمر رسول الله ﷺ وسنته.

وقال يونس بن عبيد العجب ممن يدعو اليوم إلى السنة، وأعجب منه من يجيب إلى السنة فيقبل.

وكان ابن عون يقول عند الموت: السنة السنة، وإياكم والبدع، حتى مات.

ولما جاءه ابنه حزين، قال له: مالك؟ قال: مات صاحبي. قال: يا بني مات على السنة؟ قال: نعم. قال: لا تحزن عليه، هو في الجنة.

مادام على السنة فهو في الجنة.

وقال (أحمد بن حنبل): ومات رجل من أصحابي فرئي في المنام، فقال: قولوا لأبي عبد الله: عليك بالسنة؛ فإن أول ما سألني الله عن السنة.

وقال أبو العالية: من مات على السنة مستورا، فهو صديق.

مستور لم يُعرف عنه فجور، فهو على السنة، فهو من الصديقين؛ لأنه صدق النبي ﷺ، وصدق السنة، ولزمها.

ويقال: الاعتصام بالسنة نجاة.

يقول الزهري: السنة كسفينة نوح من ركبها نجا.

السنة من تعلق بها نجى.

وقال سفيان الثوري: من أصغى بأذنه إلى صاحب بدعة، خرج من عصمة الله، ووكل إليها -يعني إلى البدع-.

لأن الله نهانا عن الجلوس معهم.

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾ [النساء:١٤٠].

تُرفع عنه العصمة، ويُوكل إلى نفسه.

وقال داود بن أبي هند: أوحى الله تبارك وتعالى إلى موسى بن عمران: لا تجالس أهل البدع، فإن جالستهم، فحاك في صدرك شيء مما يقولون، أكببتك في نار جهنم.

حتى الأنبياء يهددون بذلك، نعم.

وقال الفضيل بن عياض: من جالس صاحب بدعة لم يعط الحكمة.

سبحان الله، هذا من مجرد المجالسة معه.

وقال الفضيل بن عياض: لا تجلس مع صاحب بدعة، فإني أخاف أن تنزل عليك اللعنة.

لأن صاحب البدعة معلون.

وقال الفضيل بن عياض: من أحب صاحب بدعة، أحبط الله عمله، وأخرج نور الإسلام من قلبه.

لأن الإسلام هو السنة، والسنة هي الإسلام، فإذا كان كذلك، فالبدعة تطفئ هذا النور، والإسلام نور.

وقال الفضيل بن عياض: من جلس مع صاحب بدعة، ورثه العمى.

وقال الفضيل بن عياض: إذا رأيت صاحب بدعة في طريق فجز في طريق غيره.

وقال الفضيل بن عياض: من عظم صاحب بدعة، فقد أعان على هدم الإسلام، ومن تبسم في وجه مبتدع فقد استخف بما أنزل الله عز وجل على محمد ﷺ، ومن زوج كريمته مبتدع فقد قطع رحمها، ومن تبع جنازة مبتدع لم يزل في سخط الله حتى يرجع.

وقال الفضيل بن عياض: آكل مع يهودي ونصراني، ولا آكل مع مبتدع، وأحب أن يكون بيني وبين صاحب بدعة حصن من حديد.

يقول: يأكل مع يهودي ونصراني؛ لأنه مأذون له، ولا يخشى من فتنتهم؛ لأنه يعرف أنهم أهل ضلالة، أما صاحب البدعة فلا؛ حريص على نصر بدعته، وقد يشبهها بالحق، فإنه يشبهها بالحق، لأنه يستدل بالقرآن والسنة، واليهودي ما يستدل بالقرآن والسنة.

وقال الفضيل بن عياض: إذا علم الله عز وجل من الرجل أنه مبغض لصاحب بدعة غفر له، وإن قل عمله.

ولا يكن صاحب سنة يمالئ صاحب بدعة إلا نفاقا.

ومن أعرض بوجهه عن صاحب بدعة ملأ الله قلبه إيمانا، ومن انتهر صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الأكبر، ومن أهان صاحب بدعة رفعه الله في الجنة مائة درجة.

فلا تكن تحب صاحب بدعة في الله أبدا.

نسأل الله تعالى أن يجنبنا الفتن ما ظهر منه وما بطن، وأن يلزمنا السنة والجماعة، وأن يصلح أحوالنا وأحوال المسلين، وأن يرحم المؤلف رحمةً واسعةً، وأن يلحقنا به في دار كرامته، وأن يرحم علمائنا أهل السنة والجماعة، وأن يصلح ولاة أمور المسلمين، وأن يصلح أئمتنا وولاة أمورنا وأن يحفظهم بحفظه، إنه جواد كريم.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته